السكان والبيئة

نظرة اجتماعية تحليلية

الأستاذ الدكتور

طلعت مصطفى السروجي

رئيس قسم التخطيط الاجتماعى ووكيل كلية الخدمة
الاجتماعية لشئون التعليم والطلاب - جامعة حلوان

الدكتور

عاطف مصطفى مكاوى

قسم التخطيط الاجتماعى

الدكتور

فؤاد حسين حسن

قسم التخطيط الاجتماعى

الدكتوره

نادية عبد الجواد الجروانى

قسم التخطيط الاجتماعى

الدكتور

مصطفى رضا أحمد

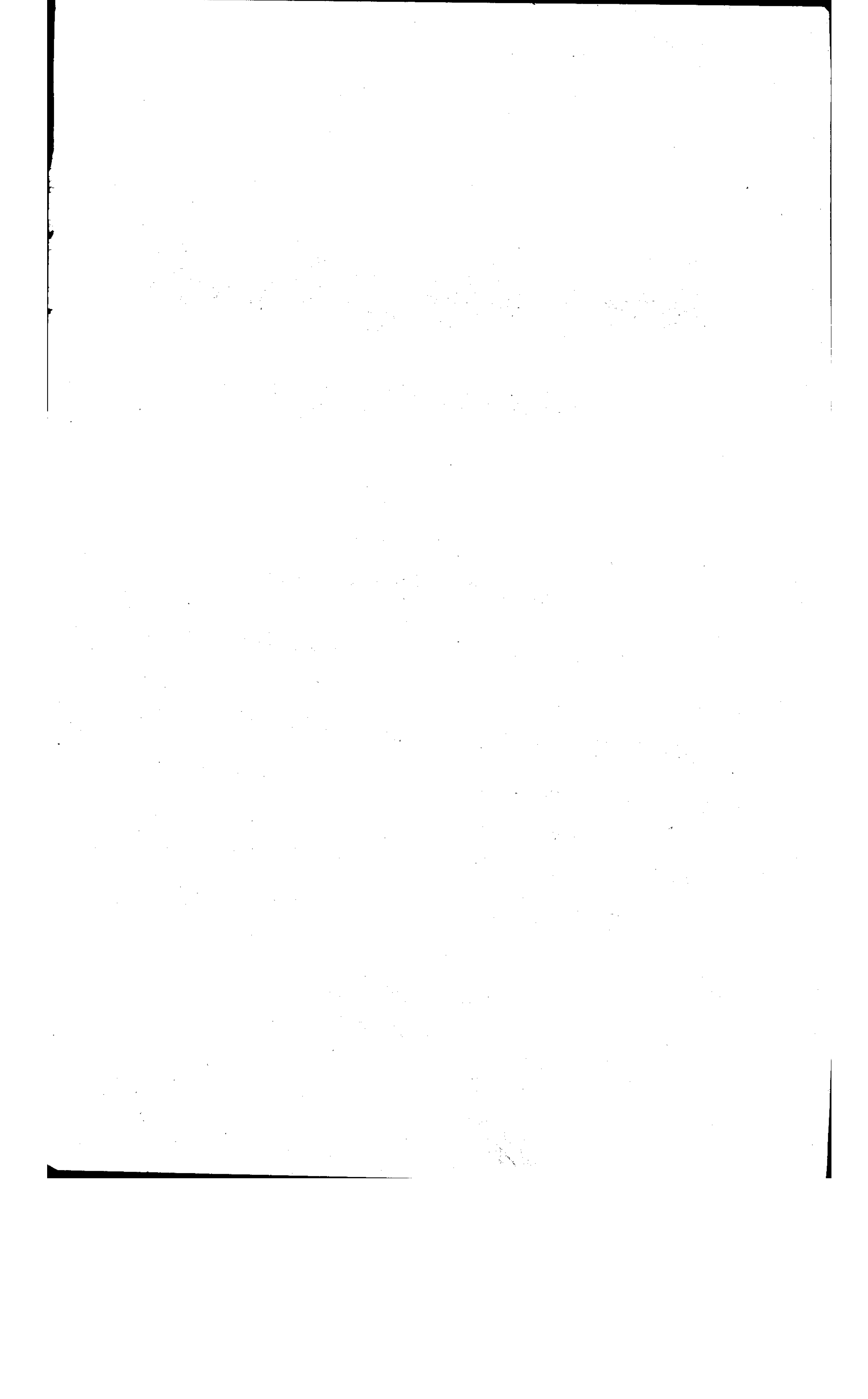
قسم التخطيط الاجتماعى

الناشر

مركز نشر و توزيع الكتاب الجامعى

جامعة حلوان

٢٠٠١م



مقدمة:

تحظى الدراسات السكانية والبيئية باهتمام متزايد على المستوى العالمى والإقليمي والمحلى.

ونظراً للتأثير المتبادل والوثيق بين الإنسان والبيئة التى يعيش فيها مؤثراً فيها ومتأثراً بها - فقد تم عقد العديد من المؤتمرات الدولية، وساهم العلماء والمفكرين والباحثين بدراساتهم وآرائهم حول هذه العلاقة الدائمة والمستمرة بين الإنسان وبيئته.

ولقد أولت جمهورية مصر العربية قضايا السكان والبيئة جل اهتمامها، وتمثل هذا الاهتمام فى إنشاء وزارة متخصصة لشئون البيئة ، ومجلسا قوميا للسكان.

كما تم عقد العديد من المؤتمرات والندوات لمناقشة قضايا السكان والبيئة والوصول إلى استراتيجيات طويلة الأجل للتعامل معها ووضع حلول فعالة لمشكلات التلوث البيئي.

ومع تعاظم الاهتمام بقضايا السكان ومشكلات البيئة والناتجة عن التلوث بصوره المختلفة (المائى . الهوائى . المسعى والبصري ... الخ).

أنشئت المؤسسات العلمية والأكاديمية كما قامت العديد من الجامعات المصرية بإنشاء أقساما علمية متخصصة للدراسات البيئية والسكانية كما شملت مناهج ومقررات الدراسة ببعض الأقسام العلمية مواد علمية للدراسات السكانية والبيئية.

وانطلاقا من اهتمام الخدمة الاجتماعية بقضايا السكان والبيئة فقد تضمنت برامج إعداد الأخصائيين الاجتماعيين مقررات للدراسات السكانية والبيئية.

ويعد هذا المؤلف أحد الإسهامات المتواضعة فى هذا المجال.

وأملا فى تحقيق استفادة أبنائنا الطلاب دارسى الخدمة الاجتماعية من هذا المؤلف فقد ركزنا على موضوعات ترتبط بالبيئة والوعى البيئي وسلوك الإنسان فى التعامل مع البيئة.

كما تضمن المؤلف بعض قضايا ومشكلات السكان والسياسات البيئية والسكانية فى مصر.

ونأمل أن يكون هذا الإسهام المتواضع بداية جادة على طريق طويل وتحسين علاقة الإنسان بالبيئة مؤثرا فيها بشكل إيجابى حتى يكون العائد من هذه العلاقة الإيجابية تنمية شاملة لمصرنا الحبيبة ...

والله الموفق

المؤلفون ،

الفصل الأول

علاقة وتفاعل الإنسان بالبيئـــة

الأستاذ الدكتور

طلعت مصطفى السروجي

محتويات الفصل

- أولا: مفهـــوم البيئـــة .
- ثانيا: التـــوازن البيئـــي .
- ثالثا: عناصـــر النظـــام البيئـــى .
- رابعا: لمحة تاريخية لعلاقة الإنسان بالبيئة.
- خامسا: عائد وآثـــار العلاقـــة بين الإنسان والبيئة

أولاً: مفهوم البيئـــــة :-

يعيش الإنسان دائما فى بيئة تحيط به يؤثر ويتـــأثر بـــها، وتتعـــدد مكونات البيئة المحيطة بالإنسان ولكل مكون من هذه المكونــــات عنــاصر متعددة و يرتبط تفاعل الإنسان مع البيئة ارتباطا وثيقا بتطور فكر الإنســـان فى التأثير فى البيئة وتغييرها وأساليب واتجاه التأثر بالبيئة بهدف الاســتفادة من مكوناتها وما يحيط به .

باعتبار البيئة هى كل ما يحيط بالإنسان من مكونات مثـــل النبـــات والحيوان والصخور والمياه والمعادن، والهواء والطقس.. وغير ذلك ويؤثـــر فيها الإنسان ويتأثر بها ــ فى الإطار الذى يتمثل فيما يحيط بالإنسان من ماء وهواء وتربة وكائنات حية متعددة الأنواع، وبما تزخر بها السماء من شمس هى مصدر الحياة على كوكب الأرض، ونجوم تبتعد عنا بمسافات شاســـعة والبحار، والبيئة أيضا تشتمل على الكائنات الحية وغير الحية مـــن طقــس ومناخ يتمثل فى فصول السنة واختلاف درجات الحرارة والرطوبة وســرعة الرياح. (١)

وتشتمل البيئة أيضا ما يسود من تغيرات نفسية واجتماعية تؤثر فـــى الإنسان وتتأثر بوجوده فى إطار البيئة.

إن البيئة تشمل عناصر طبيعية وأخرى غير طبيعية ومنـــها البعــد المكانى الأيكولوجي فى البيئة والأبعاد الاقتصادية ، الاجتماعيـــة، الثقافيـــة، السياسية، ويمثل كل بعد من هذه الأبعاد بناء وله وظيفة ويتفـــاعل الإنســـان بفكرة وعلمه وخصائصه الديموجرافية مع هذه الأبعاد المختلفـــة لمكونـــات البيئة لبناء وتطوير حضارته الإنسانية.

ومن ثم فإن مفهوم البيئة مفهوم كلى يتمثل فى عـــدد مـــن الأبعـــاد والأبنية التى تتكامل وظائفها فى اتســـاق تـــام واللازمـــة لبقـــاء الإنســـان واستمراريته وتؤثر فيه وتتأثر بفكره ونشاطاته المتعددة.

ونجاح الإنسان فى البيئة مرتبط بمدى فهمـــه لـــها وتحكمـــه فيـــها واستثماره لمواردها، فيستفيد مما هو نافع من موارد حية وغير حية دائمـــة ومتجددة ومستنفذة، ويتخلص من الملوثات التى أثبت أنها تؤثر على الإنســان تأثيرات ضارة ذات أبعاد مختلفة.

ويعمل الإنسان دائماً على استغلال عناصر البيئة التى يعيش فيـــها، ويعتبر تفاعله مع تلك العناصر ما يسمى بعملية التنمية.. فلولا تفاعل الإنسان مع موارد البيئة النباتية والحيوانية والمعدنية، ما كان لها أى قيمة فى حياتـــه، إلا أنه يعتمد اعتماداً مطلقاً فى حياته وتقدمه على البيئة وما فيها من مـــوارد طبيعية و عليها يعتمد فى تطوير معيشته ومؤسساته الاجتماعية والاقتصاديـــة بل ووجود ضوء الشمس والهواء والماء والتربة ، هى العناصر التى لا يمكن لإنسان أن يحيا بدونها، فالهواء وضوء الشمس والماء لازمة لبقائه حياً، مـــا يحتاج إلى التربة والعوامل السابقة لكى تقوم عليها حياة النبـــات والحيـــوان كمصادر لغذائه ... وهكذا .

وتتغير حاجة الإنسان إلى موارد البيئة بتغير قدرته على اســـتغلالها والمثال على ذلك أن المصادر المعدنية من فحم وبترول ومعادن ظلت تحـــت سطح الأرض وفوقها لملايين السنين دون أن يتنبه إليها أو يستغلها ولم يكـــن لها حينئذ أثر على حضارة.الإنسان.

ومع زيادة وتطور فكر الإنسان واهتمامه بالبيئة والاستفادة والتحكم مما فى البيئة من موارد وطاقات ظهر علم البيئة أحد فروع علم الأحياء الهامة، ويهتم بالبحث فى كل ما يحيط بالكائنات الحية مواطن تواجدها.

ويعرف بأنه العلم الذى يبحث فى العلاقة التى تربط الكائنات الحية ببعضها وعلاقتها كذلك بالعوامل الغير حية المحيطة بها.

وكلمة بيئة فى اللغة العربية مشتقة من الفعل " بوأ " أى نزل وأقام ، وقد جاء ذكر هذا الفعل فى القرآن الكريم فى أكثر من موضع " واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين" (الآية ٧٤ سورة الأعراف) وفى آية أخرى يقول الله تعالى " والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا " (الآية ٥٨ سورة العنكبوت).

ويقابل هذه الكلمة فى اللغة الإنجليزية كلمة **Ecology** وهى تعنى علاقة الكائن الحى مع المكونات العضوية واللاعضوية فى البيئة.

ومصطلح البيئة لا يبحث فقط فى المحيط الذى تعيش فيه الكائنات الحية ولكنه يبحث كافة العوامل الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التى لها تأثير مباشر على الإنسان وعلاقته بالكائنات الأخرى فى الكون وتفاعله مع هذا المحيط بمكوناته الشاملة.

وهنا يكمن الفرق بين مصطلح البيئة **Ecology** والبيئة المحيطة **Environment** والتى تتحدد على أنها مجموعة النظم الطبيعية والاجتماعية

التى تعيش فى إطارها الكائنات الحية وتستمد منها حاجاتــها وتــؤدى فيــها أنشطتها وتؤثر فيها وتتأثر بها.

وقد اتسع علم البيئة ليشمل العديد من الفروع المتعلقة به . وارتبــط هذا التوسع بتطور أسلوب حياة الإنسان على الأرض وازدياد حاجاته . ومن العلوم المنبثقة عن علم البيئـــة : علـــم إدارة الحيـــاة البريـــة **Wiwildfire Management** وعلم الغابات **Forestry** وعلم المحيطـــات **Oceonography** وعلم الجغرافية الحيوية **Biogeography** وعلم التقنيات البيئيـــة **Ecological Technology** وعلم تلوث البيئة **Pollution Ecology** وعلم فسيولوجية البيئــة **Physiological Ecology**.

وعلم البيئة عموما يرتبط بالكثير من العلوم الأخـــرى مثـــل علـــوم الأحياء والتطور والوراثة وعلم السلوك وكذلك علـــوم الكيميـــاء والفيزيـــاء والجيولوجيا والطب والزراعة والإحصاء،. فمثلا علم وظـــائف الأعضـــاء **Physiology** يوفر المعلومات عن تأثير العوامل البيئية على الناحية الوظيفية فى الكائن الحى (٣) ويتم تغيير سلوك الإنسان فى البيئة وتوجيه تفاعله معها والتدخل لتوجيه هذا التفاعل، وتنمية الوعى البيئي وتحديـــد درجـــة تـــأثير الإنسان فى البيئة وتأثره بها وما ينتج عن ذلك من إشباع حاجات أو ظـــهور مشكلات بالاستعانة بالخدمة الاجتماعية.

كما يعطى علم التصنيـــف **Taxonomy** المعلومـــات التـــى تتعلـــق بتأثيرات العزل والسلالات الجغرافية. ويتم تفسير التغيرات الجينية والشـكلية المرتبطة بالظروف البيئية بالاستعانة بعلوم التطـــور **Evolution** والوراثـــة **Genetics** والبيولوجيا الجزيئية **Molecular Biology** ، كما يرتبط علم كعلـم

التربة Pedology ارتباطا وثيقا بعلم البيئة حيث أن نوع التربة وخواصها الكيميائية والفيزيائية كدرجة الحموضة والمحتوى المعدنى والعضوى وحجم حبيباتها يعتبر من العوامل الهامة التى تحدد مدى توزيع النباتات والحيوانات، وعلم الإحصاء Static's لا يمكن إنكار أهميته فى معاملة النتائج وبالتالى تفسير بعض الظواهر البيئية مثل ازدياد التعداد والهجرة.

ويمكن تقسيم البيئة اعتمادا على نوعية الموطن البيئي كدراسة بيئة المياه العذبة Freshwater Ecology أو بيئة البحار والمحيطات Marine Ecology وبيئة اليابسة Terestrial كذلك يمكن تقسيم علم البيئة بصورة مبسطة إلى قسمين رئيسيين هما البيئة النباتية Plant Ecology والبيئة الحيوانية Animal Ecology. (٤)

ومن ثم فإن البيئة تتطلب من الإنسان أن يكون لديه وعيا بيئيا، وفكرا يساعده على التفاعل الإيجابي والاستثمار الأمثل والمستديم لعناصر البيئة المختلفة وأن يكون تدخله وتفاعله مع البيئة بهدف إحداث التوازن البيئي وليس الخلل فى هذا التوازن الطبيعي.

ثانيا: التوازن البيئي :-

تعتبر البيئة متوازنة بطبيعتها كما أوجد نظامها الله سبحانه وتعالى، فى نظام متكامل متزن، وبذلك يمكن أن يطلق على هذا المفهوم إتزان النظام البيئي Ecosystem Honneostasis .

- **ومن أهم خصائصه أنه اتزان ديناميكي وبذلك فإن التوازن البيئي هو:-**

اتزان طبيعي ديناميكي وعائد أو أثر التغير المستمر المرتبط بمحصلة تفاعل قوى البيئة، وعند حدوث خلل فى هذه القوى، تظهر طبيعيا قوى أخرى لتلافى هذا الخلل، إلا إذا تدخل الإنسان بغير وعى لمنع هذا التوازن الديناميكي، ويؤثر هذا التدخل فى إيجاد خلل فى التوازن يؤثر بطبيعته على الإنسان.

ولقد خلق الله الكون ووضع له القوانين التى تنظم حركته وخلق الأرض بما فيها من جبال وبحار وأنهار وما عليها من مخلوقات، وقد حفظ الله الأرض التى نعيش عليها من مخاطر كثيرة مثل الإشعاعات الكونية والنيازك والشهاب بالغلاف الجوى الذى يحيط بالكرة الأرضية لحمايتها.

وقد نظم الخالق سبحانه وتعالى العلاقة بين هذه المخلوقات جميعها تنظيما دقيقا وجعل بينها اتزانا طبيعيا يضمن لها البقاء والاستمرارية الذاتية إلى أن يرث الله الأرض وما عليها وقد جاء هنا المعنى فى القرآن الكريم فى قوله تعالي " **الشمس والقمر بحسبان (٥) والنجم والشجر يسجدان (٦) والسماء رفعها ووضع الميزان(٧) ألا تطغوا فى الميزان (٨) وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان (٩)**" (الآية ٥-٩ سورة الرحمن).

وهذا الاتزان يظهر فى جميع مستويات التنظيم الحيوي ويبدأ من الكائنات وحيدة الخلية وحتى أعقد الكائنات الحية وهو الإنسان، ويظهر كذلك فى العلاقات التى تربط بين الكائنات الحية والعناصر الطبيعية الموجودة حولها.

وحتى نقترب من إدراك طبيعة العلاقة التى تربط بين مكونات البيئة يجب أن نعرف أن كمية المادة الموجودة الكلى للبيئة ثابتة، بمعنى أنها تكون قابلة للتحول من صورة إلى أخرى، فهى لا تفقد ولا تأتى من العدم ولكنها تتحول من صيغة كيميائية إلى أخرى. وكمثال لذلك فإن الكربون يوجد فى الحالة الصلبة وهو على الهيئة العنصرية ولكنه يتحول إلى غاز عند احتراقه فى جو من الأكسجين وتحوله إلى ثانى أكسيد الكربون.

كما أن المادة ممكن أن تتحول من صورة فيزيائية إلى أخرى دون تغير فى تركيبها الكيميائي مثل الماء فهو يتكون من ذرة أكسجين وذرتين هيدروجين ويجد فى الحالة الغازية والسائلة والصلبة تبعا لاختلاف درجة الحرارة.

فإذا نظرنا الآن للنظام البيئي الحيوي نظرة مبسطة أمكننا تصويره على أنه معادلة كيميائية انعكاسية متزنة الطرفين، فى الطرف الأول تسود الطاقة الشمسية والغازات الأساسية كالأكسجين وثانى أكسيد الكربون والنيتروجين ثم الماء والعناصر الغذائية وفى الطرف الثانى توجد نفس هذه المكونات ولكن بدلا من طاقة الشمس توجد طاقة حرارية، وما بين طرفى هذه المعادلة يكمن سر حياة المخلوقات وتنظيم السلسلة التى تربط بين الكائنات الحية من الأبسط إلى الأعقد ثم إلى الأبسط مرة أخرى، فعناصر الإنتاج تنتج المواد الغذائية لتتغذى عليها عناصر الاستهلاك إلى أن تموت ثم تأتى عناصر التحلل أجسام النباتات والحيوانات لتعيدها إلى سيرتها الأولى، بما يعرف بالسلسلة الغذائية وهكذا تعود العناصر الأولية كما بدأت لتدخل دورة الحياة مرة أخرى.

والنظام البيئي له القدرة على استيعاب التغير الطارئ عليه للحفاظ على بقائه ثم العودة إلى الوضع الطبيعي عند تغير الظروف وتعويض أى نقص أو خلل فى أى من العناصر النباتية أو الحيوانية (٥) .

إن تدخل الإنسان غير الواعى فى التوازن الطبيعي كما أوجده الله سبحانه وتعالى يؤثر على الإنسان والتنمية حاضرا ومستقبلا ، وتوجد العديد من الأمثلة على ذلك فى كثير من المجتمعات مثل القضاء على بعض الطيور كالبوم مثلا على أنه طائر ينذر بالشؤم، ولا يعتمد ذلك على سند علمى فى حينَ أنه يقوم بدور رئيسي فى حفظ التوازن والحد من تكاثر بعض الحيوانات الضارة مثل الفئران وبعض الطيور كالعصافير.

وفى قرية فى السودان كانت تعيش آمنة إلى أن هاجم نمر سيدة من سكانها، فقتله سكان القرية، وبعد فترة من الزمن، بدأت أسراب من القرود تهاجم القرية حتى طردت السكان منها، وهذا يشير إلى نوع الخلل البيئي ولتفسير ما حدث، فإن النمر كان يعمل كعامل تحكم واتزان فى عدد القرود نتيجة صيدها والتغذى عليها، ولما قتل النمر تكاثرت القرود بأعداد أدت إلى خلل الاتزان ، فهاجمت القرية.

وزاد عدد الأسود فى جبال أمريكا فى مرحلة من المراحل، فقررت السلطات تشجيع صيده، ورصدت مكافآت مالية لذلك، ولكن المسئولين اكتشفوا بعد فترة انتشار بعض الأوبئة بين قطعان الغزلان لم تكن معروفة من قبل، فقرروا تحريم صيد الأسد ، وقد وجدوا أن وجود الأسد عامل توازن بين قطعان الغزلان، فهى عندما تهاجمها تفترس البطئ الضعيف المريض منها، وبذلك تكون عامل من عوامل الإبقاء على القوى السليم.

وتتعدد الأمثلة فى المجتمعات البشرية التى تحدد أن تدخل الإنسـان غير الواعى يؤدى إلى إحداث خلل فى التوازن البيئي الطبيعي وتلوث المياه، الهواء، التربة، وعدم قدرة النظام البيئي على استيعاب التغير غير الواعـى الذى يحدثه الإنسان فى علاقته بالبيئة.

ثالثا: عناصر النظام البيئي : (٦)

يتكون النظام البيئي فى أبسط صورة مـن مكونـات غـير حيـة ABIOTIC COMPONENTS ومكونات حية BIOTIC COMPOENTS وهما يشكلان نظاما ديناميكيا متزنا حيث يؤثر كل منهما فى الآخر ويتفـاعل معه ليكون ما يسمى بالنظام البيئي ECOSYSTEM ، والمكونات غير حيـة تشمل المواد غير العضويـة مثـل الكربـون والأكسـجين والـهيدروجين والنيتروجين، والمواد العضوية مثل البروتينات والكربوهيـدرات والدهـون بالإضافة إلى العناصر المناخية كالحرارة والرطوبة والضـوء والعنـاصر الفيزيائية مثل الجاذبية والإشعاع. أما العناصر الحية فتشمل عناصر الإنتـاج وعناصر الاستهلاك وعناصر التحلل. وسنقوم بإلقاء الضـوء علـى هـذه العناصر لنتعرف على الدور الذى تقوم به كل منها:-

(أ) عناصر الإنتـاج PRODUCERS

وتشمل الكائنات التى لها القدرة على تحويل المركبات غير العضوية البسيطة إلى مركبات عضوية معقدة، وتشمل جميـع النباتـات الخضـراء، بالإضافة إلى الطحالب الدقيقة وبعض أنواع البكتريا التى قد تقـوم بعمليـة البناء الضوئي PHOTOOSYNTHETICBACTERIA أو البناء الكيميـائي CHEMOSYNTHESIS BACTE RIA وفى عمليـة البنـاء الكيميـائي

تستطيع البكتريا استخدام مركبات كيميائية معينة لتصنيع غذائها دون الحاجة لوجود الضوء، فمثلا بعض أنواع البكتريا التى تعيش فى التربة تقوم بأكسدة الأمونيا إلى نتريت والتى تتأكسد بعد ذلك إلى نترات وبعض الأنواع الأخرى تقوم بأكسدة أيونات الحديوز إلى حديديك.

أما البناء الضوئي فيتضمن امتصاص الضوء بواسطة مركب الكلورفيل CHLOROPHYLL (وهى المادة التى تعطى النبات لونه الأخضر) الذى يحول الطاقة الضوئية إلى طاقة كيميائية يتم فيها اتحاد الهيدروجين بثانى أكسيد الكربون فى وجود الأكسجين لتكوين جزئيات الجلوكوز وهو سكر أحادى ويعتبر أساس تصنيع المركبات الأخرى الأكثر تعقيدا مثل السكريات الثنائية والعديدة (النشويات) والدهون والبروتينات. ويحتاج بناء جزئيات البروتين بجانب ذلك إلى النيتروجين وأحيانا الكبريت، كما تحتاج الأحماض النووية إلى الفسفور والنيتروجين ولذلك فالكربون والأكسجين والهيدروجين والنيتروجين والكبريت والفسفور تمثل العناصر الكيميائية لصناعة المواد العضوية الأساسية. وبذلك تعتبر الكائنات النباتية هى المصنع الأول لكل المواد الحيوية اللازمة لحياة النبات ثم الحيوانات التى تتغذى عليها.

(ب) عناصر الاستهلاك CONSUMERS

هى الكائنات التى تعتمد فى غذائها على المواد العضوية المنتجة بواسطة الكائنات الحية سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة وتشمل معظم انواع البكتريا والفطريات والحيوانات بما فيها آكلات الأعشاب HERBIVORES كالخيول والمواشى وبعض أنواع الطيور والحشرات

وبعـض أنـواع الأسـماك التـى تتغـذى علــى الـــهوائم النباتيـــة PHYTOPLANKETS ، والتع الثانى من المستهلكات هو آكلات اللحـــوم CORNIVORES مثل الحيوانـــات المفترســة وبعــض أنــواع الأســماك والضفاضع والثعابين أما النوع الأخير فــهو آكــلات الأعشــاب واللحــوم OMNIVORES وهى الكائنات التى تعتمد فى غذائها على النباتات واللحـوم مثل الإنسان.

(حـ) عناصر التحلل DEECOMPOSERS

وهى كائنات غير ذاتية التغذية تقوم بتحليل الكائنات الميتة للحصـول على الطاقة اللازمة لحياتها وتشمل البكتريا والفطريات وتنقسم إلــى ثلاثــة مجموعات حسب ما تحتاجه من أكسجين لإتمام عملية التحلل.

* الكائنات الهوائية AEROBIC MICROBES

وهى الكائنات التى تحتاج لاستمرار حياتها ونشاطها إلى كمية كافيــة من الأكسجين.

* الكائنات اللاهوائية ANAEROBIC MICROBES

وهى التى تحتاج لاستمرار حياتها ونشاطها وســطا لا يتوفــر فيــه الأكسجين وفى حالة وجود الأكسجين يكون ساما وقاتلا لها.

* الكائنات الاختيارية FACULTATIVE HOMEOSTASIS

وهى تلك التى تستطيع تكييف نفسها حسب الوسط الذى تعيش بــه، فإذا توافر الأكسجين كانت هوائية، وإذا لم يتوافر أصبحت لا هوائية.

إن دور الإنسان وتفاعله مع البيئة يجب أن يكون ليس لحدوث خلل في التوازن الطبيعي الديناميكي لعناصر البيئة ولكن يجب أن يكون تدخلا بوعى للمحافظة على هذا التوازن الطبيعي حتى لا يتأثر الإنسان سلبيا بهذا الخلل من مشكلات تؤثر على حياة الإنسان والتنمية فى المجتمع، حاضرا ومستقبلا.

رابعا: لمحة تاريخية للعلاقة بين الإنسان والبيئة:-

تعتبر الثقافة والزمن والبيئة ثلاث مصطلحات مترابطة في حلقة واحدة تفسر الرؤية التاريخية للعلاقة بين الإنسان والبيئة، الثقافة بما تحمله من فكر إنسانى وفهم، والزمن بما ينطوى عليه من ارتقاء لهذا الفكر والبيئة بعناصرها المختلفة التى تستقبل النشاط البشري ومرآة لعائد هذه الأنشطة.

ويمكن القول إذن أن مستقبل البيئة الطبيعية وثيق الارتباط بالثقافة البشرية.

إن مراجعة التاريخ البيئي لأى مجتمع كان سواء محلى صغير أو قوى أو إقليمي أو حتى العالمى يجد بسهولة تغيرا ملموسا فى واقع أبعاده المختلفة من طبيعي إلى دون الطبيعي بفعل النشاط البشري وهذه التحولات دائمة ولا تسير بسرعة ووتيرة واحدة.

ومع تطور فكر الإنسان وازدياد فهمه لهذه المصادر استطاع أن يستفيد منها ويتحكم فى مدى تطوير استفادته من هذه المصادر للثروة التى تتجمع لديه من المعرفة الطبيعية، والقدرة التكنولوجية، ويتطور هذه المعرفة تختلف أهمية المصادر الطبيعية، فتقل أهمية ما كان منها فى غاية الأهمية

فى يوم من الأيام وتتزايد أهمية مصادر أخرى كانت مجهولة ومهملة من قبل، مثل البترول والمواد المشعة.

حدد تومسون THOMPSON خمس مراحل للتمييز بين عدد من الفترات التى توضح الثقافات الإنسانية والتفاعلات البيئية هي:-

١-القنص وجمع الغذاء وأوائل الزراعة.

٢-الحضارات النهرية، وهى اقتصادات كبرى اعتمدت على الرى على ضفاف نهر النيل وبلاد ما بين النهرين واستمرت حتى القرن الأول الميلادى وحاولت هذه الحضارات من خلال التكنولوجيا التغلب على بعض الصعاب .

٣-الإمبراطوريات الزراعية.

٤-العصر الصناعى الأطلنطى وفى هذه الفترة بلغ تأثير النوع البشرى على البيئة أقصاه.

٥-العصر الصناعى الهادي-العالمي. وبدأ منذ الستينات حيث المحيط الهادى مركزا رئيسيا للاقتصاد الصناعي وظهور ما يسمي بالعولمة متأثرا بوسائل الاتصالات والتقدم التكنولوجي ومظاهر العولمة العديدة ونشؤ ما يسمي اقتصاد عالمى متكامل.

والعلماء يقدرون أن أول مراحل حياة الإنسان على الأرض هى مرحلة الجمع، وعاش البشر فى هذه المرحلة على القنص ففى سنة ١٠ آلاف قبل الميلاد كانت جماعات الجنس البشرى كلها تشتغل بالقنص، وجمع الغذاء

لا على إنتاج الغذاء، فكان الإنسان يقتنص ويجمع طعامه كالكائنات الحية الأخرى وكان لا يتطلب ذلك مشقة أو تفكير وتوجد العديد من الشواهد تدل على ذلك، والجماعات البشرية فى هذه المرحلة كانوا أبناء الطبيعة أكثر من كونهم مغيرين فى البيئة.

والمرحلة التالية بعد ذلك هى مرحلة الصيد، وكانت مرحلة مهمة فى تطوره، إذ بدأ الإنسان ينفرد عن غيره من الحيوانات باستخدام قدراته العقلية، كما بدأ يستخدم ملاحظاته، وخبراته، وهى بداية العلم، وبزوغ ضوئه. فكان الإنسان يتعرف على ما يريد صيده من حيوانات ويدرس تحركاتها اليومية والموسمية، وطرق تكاثرها، ويستغل هذه المعلومات لكى يصل لأماكن تواجدها فى الأوقات التى تتضح له، كما بدأ فى استخدام أدوات الصيد الحجرية وغيرها، فبدأ يحسن مادتها ونوعياتها، كما طور أيضا طرق الصيد التى تناسب الفريسة.

ويعتبر اكتشاف الإنسان للنار من أهم المراحل فى تاريخ علاقته بالبيئة التى يعيش فيها، فقد طورت من مختلف وسائل حياته، ويختلف العلماء فى تفسير اكتشاف النار، من أنها كانت نتيجة عوامل طبيعية مثل الصواعق وغيرها، وقد وجد الإنسان بعض الحيوانات المحترقة وطاب له طعمها واكتشاف النار واستئناسها هو الأمر الذى مكن الإنسان الأول من إشعالها وإخمادها واستمرارها، واستغلالها وغير ذلك فقد استغلها فى تحسين نوعية طعامه، وكذلك فى إضاءة ليله شديدة الظلمة، ثم بعد ذلك وجد آثارها على بعض المواد وخاصة المواد المعدنية فاستخدمها فى تحسين وسائل الصيد، وغيرها من الأدوات، وكان من فوائد النار أيضا أن أبعدت عنه الحيوانات المفترسة التى كانت تهدد حياته وخاصة أثناء الليل.

وبذلك بدأ الإنسان كما يقول سيمونز I. G. SIMMONS فى إنشاء أولى المناظر غير الطبيعية من خلال ما أحدثه البشر من تغيير فى المناظر الطبيعية فنحن إذا نظرنا إلى الجنس البشرى وجدنا أنه لكى يستطيع أن يحول المجموعات الطبيعية من النبات والحيوان إلى مجموعات دون طبيعية أو شبه طبيعية كان على شبيه الإنسان HOMINID أن ينتهج أحد طريقين يتطلب أولهما القدرة على استنفاد مجموعة محلية من الحيوان أو النبات إلى درجة تحدث فى النظام الأيكولوجي المحلى تأثيرا يبقى فترات من الزمن كاحتمال استهلاك نوع معين من النبات بمعدل يفوق معدل قدراته على النمو والتكاثر، والأداة الثانية لإنتاج منظر متسم بالطابع البشري هى النار، والتى تحدث آثارا شتى كأداة تغيير محتملة فى أيدي أشباه الإنسان الأوائل فيما يتعلق مثلا بالإنسان المنتصب HOMO ERECTUS وجماعات العصر الحجرى (٨) .

أعقب ذلك مرحلة الرعى واستئناس الحيوان وما صاحب ذلك من أيكولوجيا حياة الرعى، والقيام ببعض عمليات الزراعة البدائية.. ويرى العلماء أن اختيار الإنسان لطعامه من النبات كان يتم عن طريق التجربة، ويقدرون أنه عانى من الحيوانات الضارة التى تزعج صحته وراحته، لذلك كان ينتقى من بين النباتات ما لذ له طعمه ويحاول زراعته بطرق بدائية.(١٠)

وتوجد شواهد كثيرة لاستخدام البشر للنار وآثارها ففى استراليا مثلا استخدام السكان الأصليون النيران لأغراض القنص وتهيئة الأرض للزراعة والاتصال وفى أوائل القرن التاسع عشر قدرت حرائق الإحراج بخمسة آلاف حريق فى السنة، وتحويل غابات الزان فى الجنوب إلى غابات تتحمل

الجفاف ويوجد انقسام فى الرأى عما إذا كان القناصون قد حافظوا على الطبيعة أو لم تكن لديهم الشعور بالمسئولية العامة (٩).

وهيأت هذه المرحلة للإنسان تدعيم قدراته العقلية فيما يختص بتأملاته ودراساته للأحوال الطبيعية والظواهر البيئية- كما يصاحب هذه المرحلة أيضاً تحولات هامة من النواحى الحضارية والاجتماعية، كان من نتاجها أن بدأ الإنسان يكون بعض المجتمعات البدائية ويمهد إلى حياة الاستقرار خاصة حول الأنهار، وطرأت تحولات فى الأرض والمياه بصورة مفاجئة نظرا لاختلاف اقتصاد الرعي ونمط وأسلوب الحياة الرعوية.

وبدأ الإنسان يبحث عن كسائه من ناتج النباتات والحيوانات التى يستأنسها، واستعمل لرى زراعاته مياه الأنهار التى كان يعيش حول ضفافها، وعمل على التحكم فى هذه الأنهار وتطور تقنيات الرى والتحكم فى المياه وحفظها كما حدث فى الحضارات النهرية بقدر ما سمحت به قدراته وتكنولوجيته، فأقام السدود والقنوات ثم شيد المساكن من مكونات البيئة المحيطة به لتحميه من الأحوال المناخية .

ثم اتسعت دائرة معرفته فى مجال حياة الحيوان والنبات وكذلك بالأحوال البيئية السائدة من حوله وبما كان هناك نمط من التكامل بين زراعة المحاصيل وتربية الماشية كما وجدت شواهد تؤكد ذلك فى الحضارات النهرية وأتاح ذلك للإنسان بعض الاستقرار فى البيئة .

وخلاصة القول أن العالم فى سنة ٥٠٠٠ ق.م. مثلا كان قد تأثر بالتأكيد من حياة القناصين الجماعيين والزراع الأوائل غير أن طابعها كان خفيفا ومؤقتا على البيئة وأفلتت أماكن كثيرة من تأثيراتهم كالبحار مثلا

وأسهمت المجتمعات النهرية إسهاما كبيرا فى التطــور البشــرى لا تــزال أصداؤه تتردد حتى اليوم.

وقد اكتشف الإنسان العجلة وسخرها فى أداء الكثير من أعماله، حيث كانت تستخدم بكفاءة عالية فى عصور قدماء المصريـيــن الذيــن صمموا المركبات والعربات واستخدموا نظرية العجلة فى الكثير من الأعمال التــى أنجزوها ومن بينها بناء الأهرامات.

وفى أواخر القرون الوسطى صناعة البارود، واختراع البوصلة، وقد ترتب على كشف البارود أن استطاعت بعض المجموعات البشرية إخضــاع مجموعات أخرى، كما أن اكتشاف البوصلة البحرية كان له نفس الأثــر، إذ يرتاد المحيطات ويحتل بُلادا بعيدة مثل الهند وأندونيسيا وبذلــك ســيطرت مجموعات بشرية على مجموعات أخرى فى شتى بقاع الأرض.

ومنذ أن وجد الإنسان علي سطح الأرض وهو يتأمل النجوم والقمــر والشمس وهى أجزاء من البيئة بدأ يستخدم الأدوات فى النظــر إلــى تلــك الأجسام البعيدة جدا، فعندما بنى جاليليو التلسكوب البدائى ليرصد الكوكــب ويرى ما حوله من أقمار، رماه الناس بالجنون وسخروا منه، لكنه اكتشف أن كوكب المشترى وهو أحد كواكب المجموعة الشمسية يدور حولــه أربعــة أقمار، كما استنتج لأول مرة أن الأرض تعكس ضوء الشمس.

ثم عصر البخار، واستطاع الإنسان أن يكتشف القوى الهائلة التــى يمكن استغلالها نتيجة تبخير الماء، وبعد مدة بدأ رجال الصناعــة يدركــون احتمال استخدام البخار فى أداء أعمالهم بدلا من قوة الإنسان أو الحيوان.

وعلى الرغم من كل السخرية التى قوبل بها اختراع جيمــــس وات، (حوالى ١٧٦٩م) وآلته البخارية البدائية، فإن جيمس وات كان حينئذ يقــــدم للبشرية عملاقا فى مرحلة الطفولة، غير فيما بعد معالم حياة الناس وظروفهم الاجتماعية والاقتصادية، فقد استخدم البخار فى أغراض متعددة، وقامت بذلك الثورة الصناعية، وبدأ الإنسان يهتم بتطوير تلك القوة المحركة الجديدة.

ثم اكتشف الإنسان الكهرباء، التى استغلت فى العديد من الأغــراض واستطاع أن يرفع من مستويات معيشته ونوعية حياته وما ترتب على ذلــك من تغير بيئي.

ثم فجر الإنسان بعد ذلك الذرة وغزا الفضاء بحيث استطاع الـنزول على سطح القمر واستخدم الأقمار المختلفة لشتى الأغراض فى المواصـلات ونقل الإرسال التليفزيوني والتنبؤ بحالة الطقس لفترات طويلة ثم أرسل سـفن الفضاء التى تكتشف الكواكب وتدور حولها وتصور جوانبها لأول مرة فـــى تاريخ البشرية، كما طور نوعيات الصواريخ والسفن التى تعود من الفضـــاء ومحطات الفضاء التى تدور بانتظام فى مدارات حول الأرض ممـــا ظـــهر معه الثورة الاتصالية الهائلة التى حولت الكرة الأرضية كقرية واحدة ومــــا استتبع ذلك من ظاهرة العولمة ومظاهرها المختلفة إلــــى غــير ذلــك مــن الإنجازات التى غيرت موازين علاقة الإنسان ببيئته ومقوماتــــها المختلفــة والآثار التى ترتبت على المنجزات العلمية.

خامسا: عائد وآثار العلاقة بين الإنسان والبيئة:

تتنوع الطرق التى تغير بها المجتمعات البشرية العالم الطبيعي بغض النظر عن تأثير الفئات الاقتصادية التقليدية ومن ثم تأثير النشاط البشري فـى النظام الأيكولوجي ويمكن وصف بعض هذه الطرق والعمليات فى:

(أ) التحريف DEFLECTION وهى طريقة لمنع التعاقب الطبيعـي مـن تجاوز مرحلة معينة، وتعتبر النار أداة مثلى لأساليب التحريف حيث تـؤدى إلى إنتاج مزيج مختلف أو نمط متباين وتؤدى إلى تحريف تطـور النظـام الأيكولوجي.

(ب) الإزالة OBLITERATION وترتبط بمناطق شبه جافة حيث يعـد أحد عناصر العملية المعروفة باسم " التصحر" وتنشأ الأيكولوجيا المحليـة لتلـك العملية من قطع الأشجار بكثافات تعجز النباتات عن إعالتها.

(جـ) التدجين DOMESTICATION وهى عمليـة المواءمـة الجينيـة للأنواع على أيدي البشر ويعنى ذلك تغيير الجينات على نحو يكفـل انتقـال خصائص منشودة معينة إلى الأجيال التالية من النبات أو الحيوان المعني.

(د) التنويع DIVERSIFICATION والإنسان مسئول عن نقل الكائنـات حول العالم طالما تنقل هو ذاته، وما يستتبع ذلك من نقل الأمراض، وتوجـه أنواع شتى أدخلت عرضا فى أجزاء من العالم لم تكن تنتمى إليها بصـورة "طبيعية" كما نقلت قصدا أنواع أخرى إلى مناخات غريبة لأسباب عدة.

(هـ) الصـون CONSERVATION وتستهدف أساسا إعفاء بعض مناطق من العالم من عمليات بشرية معينة كالمجتمعات الطبيعيـة، منـع تجريـف

الأرض الزراعية، منع صيد حيوانات وطيور معينة، ويتطلب ذلك مرحلتين رئيسيتين هما التشريع، الإدارة . (١١)

ويمكن تحديد هذه الآثار فى :-

(١) الآثار الاقتصادية:

أدت الثورة الصناعية وتحديث الأدوات والتكنولوجيا إلى تغييرات أساسية فى الإنتاج، حيث أدت إلى :

أ- زيادة الإنتاج. ب- تحين نوعية الإنتاج. حـ- تخفيض تكاليف الإنتاج

ولذلك توافرت المنتجات الصناعية بأسعار زهيدة. ومن هنا أدى العلم إلى توفير السلع بأسعار رخيصة فى متناول الناس جميعا.

وقد ترتب على الثورة الصناعية قيام صناعات لم تكن معروفة من قبل، واندثار صناعات كانت مزدهرة، قبل إحلال القطارات محل عربات الكارو، وقد ترتب على انقراض تلك العربات انقراض صناعتها والحرف التى كانت تقوم على صيانتها، وفى مقابل ذلك، قامت صناعات عديدة لخدمة السكك الحديدية مثل صناعة قضبان الحديد وصناعة الماكينات وعربات الركاب والبضائع .. كذلك قامت مهن متعددة لتيسير القاطرات وصيانتها وخدمة محركاتها، بالإضافة إلى ذلك نجد أن مرور السكك الحديدية فى أماكن معينة أدى إلى نقل المحاصيل بسرعة ويسر، فاستطاع الفلاح أن يعيش فى مزرعة تبعد مئات الكيلو مترات عن المدينة يزرع الفاكهة والخضروات لاستهلاك المدينة.

كذلك بدأت المدن والقرى تتمركز حول مسار السكك الحديدية، إذ أصبحت الشريان الذى يصلها بغيرها من المدن والقرى.

وظهور قاطرات الديزل والطائرات أحدثت آثارا أكثر فى حياة المجتمع، إذ أصبحت المسافات التى تستغرق وقتا طويلا تقطعها الطائرة فى ساعات عابرة بذلك الجبال والمحيطات ناقلة البضائع من بلد لآخر.

ومن حيث المصادر الطبيعية واستثمارها نجد أن المصادر الطبيعية تنقسم إلى:

- **المصادر المتجددة** : وهى ما تتجدد دوريا مثل المصادر النباتية والحيوانية فهى متجددة فى كل محصول أو فى كل جيل من الحيوانات، وكذلك مصادر المياه هى الأخرى مصادر متجددة، فالفرات ودجلة يجلبان حصيلة متجددة من المياه كل عام، وكذلك نهر النيل، ومن المصادر المتجددة أيضا مصادر الطاقة من الرياح أو من مساقط المياه.
- **المصادر غير المتجددة**: وهى المصادر التى تكونت فى فترة من الفترات ولا تتكون بعد ذلك، فحصيلة معدن من المعادن محدودة، وكلما استهلك جزء منها لا يحل محله جزء آخر، بل انقصت بمقدار ذلك الجزء. والبترول أيضا عبارة عن مصدر معدنى لا يتجدد.

وهناك ارتباط وثيق بين استغلال العلم لمصادر الثروة على اختلافها وبين تطور المجتمع نفسه، فاستغلال المعادن وأنواع الوقود المختلفة أدى إلى الثورة الصناعية التى غيرت صورة المجتمع وأن العلم توصل إلى استغلال

المصادر فى أغراض متعددة، فلم يعد البترول مثلا وقودا فحسب، ولكن منه تصنع الملابس والأدوية والمستحضرات الأخرى.

وبعد أن كان الإنسان يسئ استخدام المصادر المتوفرة لديه فتنضب بسرعة، نجد أن العلم الحديث توصل إلى سبل عديدة لحسن استغلال التربة الزراعية والمصادر المعدنية وغيرها من الثروات (١٢) .

وأدى التطور العلمى والتكنولوجي إلى ظهور ما يسمى بتقسيم العمل والتخصص الدقيق ويوجد تشعبات تخصصية دقيقة فى كل مجال. وما ترتب على التكنولوجيا فى الصناعة والزراعة من آثار سلبية كنفايات المصانع وتلوث الهواء والتربة، والبطالة واختفاء مهن وحرف قد تكون تراثية وظهور أخرى لا يعتادها المجتمع غالبا (١٣).

وظهر الاهتمام باحترام العمل اليدوي بدلا من احتقاره ويتطلب هذا من الأخصائيين الاجتماعيين عند تعاملهم وتدخلهم مع عملائهم أن يغرسوا حب العمل اليدوى واحترامه، فلا ينظر الطفل إلى العامل أو الفلاح إلا نظرة احترام وإكبار، فلولا أيدى الفلاحين التى يلطخها طين تربتنا الطاهرة لمات هذا الطفل جوعا، ولو قدر الطفل التعب الذى يعانيه الفلاح لكى يزرع القمح ويحصده لاحترم رغيف الخبز ولم يبدد منه شيئا فى مأكله.

(٢) الآثار الاجتماعية :

تترتب على تقدم العلوم وتطبيقاتها، أثار اجتماعية كبيرة، على الأسرة والقرية والمدينة، وكذلك المجتمع ، ومن أمثلة ذلك تغير النظام الأسرى فى المجتمع حيث الأسرة منذ مئات السنين كانت وحدة مكتفية اكتفاء

ذاتيا، تقوم بكل وظائفها، فالتماسك بين أعضائها كان قويا ، إذ كثيرا ما كانت الأسرة تعيش فى بيت واحد يضم ثلاث أجيال من أعمام وأخوة وأبناء وكانت هذه الأسر تقوم بإنتاج الغذاء من الحقل وتربية الحيوانات والطيور، كما كانت غالبا تجهز الكساء من صوف الحيوانات وغيرها، وكان التعليم للأبن والأبنة جزءا رئيسيا من وظائفها، كما أنها كانت تقوم بدورها فى الترفيه وغير ذلك من الوظائف كما تصورها الأسرة الممتدة.

وبظهور المجتمعات الصناعية نتيجة للتطور العلمي، ظهرت أسرة صناعية نووية، تعيش فى مسكن محدود نسبيا كشقة فى عمارة وعدد أفرادها قليل نسبيا، وتعتمد فى غذائها وكسائها وتعليم أولادها على مؤسسات اجتماعية قامت لهذا الغرض، ثم زاد الإنتاج ولم يتمكن السوق من امتصاص الفائض، كما ان العلاقات الأسرية نفسها لم تعد من القوة فى الأسرة الصناعية مثلما هى عليها الأسرة فى المجتمع الزراعي.

وازداد حاجة المجتمع إلى المنظمات والتنظيمات التى من خلالها يمكن تقديم خدمات الرعاية الاجتماعية .

إن التوسع فى استخدام التكنولوجيا فى العمل وإحلالها محل المهارة الشخصية قلل من شعور الإنسان باهميته وقدرته على الابتكار والتجديد وزاد من إغفال العنصر البشري فى العمل مما يفقد الموارد الإنسانية (٤٠، ١٤: ١٥) .

أدت العلوم إلى تطوير حياة المدينة والقرية على حد سواء من حيث سبل المواصلات المختلفة ووسائل الاتصال سواء كانت بواسطة التليفون أو البريد أو الصحف والإذاعة والتليفزيون والفاكس والتلكس وغير ذلك من

الوسائل، وقد انتشرت الكهرباء واستخدمت فى الإضاءة والمصانع ووسائل المواصلات فدخلت كل بيت تقريبا، ولابد أن يتعلم المواطن كيف يستخدمها ويسيطر عليها ويتقى شرها (١٥) .

كما أدى تطور وسائل الاتصال والنقل إلى تقوية الحكومات المركزية إذ عن طريق تلك الوسائل تستطيع الحكومات الاتصال بالمناطق النائية وتوفر لها الرعاية والأمن والخدمات، وقامت تلك الحكومات بمسح ودراسة الإمكانيات والمصادر الطبيعية وخططت لتنميتها، وكذلك بدأت فى دراسة السكان وتنظيم الهجرة وتعمل على التخطيط السكانى، والوسائل التى تؤدى إلى رفع مستويات حياة الناس، وأصبح واجبا على الحكومات توفير التعليم والرعاية الصحية والاجتماعية وأمن المواطنين.

كما أدى التطور فى وسائل النقل والاتصال إلى تطور المجتمع الدولى بدرجة كبيرة فقد أصبح العالم بفضل الطائرات والراديو والتليفزيون والأقمار الصناعية والإنترنت التى تنقل الأخبار والصور يختلف كثيرا عن الماضى .. فالحدث الذى يحدث فى أقصى أنحاء الأرض يذاع على الناس ويسمع فى كل مكان فى لحظة إذاعته.

كما ان تطور العلوم والوسائل الصحية والصناعية أدى إلى أن تتعاون دول العالم أكثر من أى وقت مضى، فالوباء الذى يجتاح دولة من الدول أصبح يهم دولا تبعد عنها آلاف الكيلومترات، ولابد لها من أن تتعاون للقضاء عليه وإلا هددها نتيجة سرعة الانتقال بالوسائل الحديثة من وإلى أى مكان، وتوجد شواهد دولية عدة تؤكد ذلك فى العصر الحاضر.

إنّ زيادة توثيق علاقة التكنولوجيا بـالعلم أحـدث تغيـيرات بيئيـة واجتماعية واهتزاز لدور الفرد فى المجتمع وأهمية متزايدة للعقل والتفكـير البشرى واعتبر أساسا لثروات الأمم (١٦) وما نجم عن ذلـك مـن الآثـار والخسائر الناجمة عن هجرة العقول والكفاءات خـارج مجتمعاتـها (أنظـر بالتفصيل (١٧) .

وقد ترتب على التقدم العلمى أن عرف الإنسان أسباب الكثـير مـن الأمراض وتمكن من الوقاية منها ومحاربتها، كما أن العلم أدى عن طريـق تحسين نوع الغذاء والدواء وكذلك عن طريق تحسين المسكن ومياه الشـرب وتصريف الفضلات إلى أن أصبح معدل العمر أحسن مما كان عليه فـى أى وقت مضى، ونتج عن ذلك ارتفاع كبير فى معدل الزيادة فى السـكان فـى مختلف أنحاء العالم، نتيجة قلة وفيات الأطفال من جهة وارتفاع معدل النمـو من جهة أخرى.

وعرفت مسببات الأوبئة واختراع الأمصال الواقية منها، فالدفتريـا وشلل الأطفال تصبح فى وقتنا الحاضر من الأمراض التاريخية التى ليس لها أثر يذكر.

ومن ناحية أخرى ، فقد أدى التطور العلمى إلى بعض الظواهر التى تهدد صحة الناس، فقد انتشرت المصانع فى كل مكـان وتصـاعدت منـها غازات كثيرة وسامة ومضرة بالصحة، كما أن وسائل النقل الحديثـة مثـل السيارات قد لوثت أجزاء المدن بغازات أول وثانى أكسيد الكربون.

وقد أدى العصر الذرى، وما ترتب عليه من ظهور مشـكلات لابـد للعلم أن يواجهها من حيث المحافظة على أرواح الناس من ازديـاد* التلـوث وازدياد النشاط الإشعاعي.

كما أن الحياة فى المجتمعات الصناعية أثرت على صحـة النـاس بصورة أخرى، وهى التأثير على صحتهم النفسية، فالأمراض النفسية أكـثر انتشارا فى المجتمعات الصناعية، كما تنتشر الجرائم والانحرافات المختلفـة، لذلك كان على العلم أن يقدم من الأبحاث والوسائل ما يعمل علـى تحسـين مستويات الصحة النفسية للناس (١٨) .

كما أدت التكنولوجيا إلى قلق الأباء على مستقبل أبنائهم، وعدم قـدرة الآباء على تعليم أبنائهم التكنولوجيا اللازمة لأصحاب الأعمال مستقبلا.

. فضلا عن ظهور الازدواجية التكنولوجية نتيجـة للاسـتخدام غـير المتوازن للتكنولوجيا فى الدول النامية حيث الازدواجية التكنولوجيـة بيـن القديم والحديث والميل إلى التقليد والمحكات والفهم الخاطئ للتحديـث فـى المجتمعات النامية (١٩) .

(٣) الآثار الثقافية والقيمية:-

ومن أهم هذه الآثار القضاء على الخرافات حيث من أهم أثار العلـم تلك التطورات التى طرأت على تفكير الإنسان ومعتقداته وقيمة نتيجة تطـور الفكر وتقدم الأسلوب العلمي.

كان الإنسان فى الماضى لا يعرف تفسير الكثير من الظواهر التـى تحيط به، ولذلك نسب الأمراض إلى السحر وكساد المحصولات إلى الأرواحَ

الشريرة، وأن فيضان النهار فى أوقات منتظمة كان يعزى إلى أسباب مجهولة، وقد فسر الرعد والبرق بغضب الآلهة.

وكان الإنسان يخاف من بعض الظواهر كالخسوف والكسوف على اعتبارهما تنبئ بالفاجعة وكم من خرافات ربطها ببعض الحيوانات أو الأرقام، كما أن علاج الأمراض فى كثير من المجتمعات كان بطريقة كتابة الكهنة أو بقص الهواء بمقصات لقطع الأرواح الشريرة .. هذه وغيرها كانت صورة من الخرافات التى تسود تفكير الناس فى الماضى، وقد يكون بعضها ما زال فى بعض المجتمعات فى الوقت الحاضر ولكنها نادرة.

ولقد كان من آثار العلم أن أثبت عدم صحتها وأوجد التفسيرات الصحيحة للظواهر، فالكسوف والخسوف ظاهرتان تنشأن عن تحركات الشمس والقمر والأرض.. كما أن فيضان الأنهار يأتى من انصهار الجليد فى بعض الحالات أو من الأمطار الغزيرة عند منابعها .. والأمراض على اختلافها لها مسببات من الكائنات الدقيقة أو من الطفيليات أو أسباب فسيولوجية أو غيرها من الأسباب ووجد العلم تفسيرا للبرق والرعد .. وبذلك قضى على الخرافات والسحر الذى كان سائدا فى الماضى (٢٠) .

كما أدى التطور العلمى والتكنولوجي السريع إلى تفكك العلاقات الاجتماعية ، وضعف التعاون كقيمة اجتماعية بين الناس، التواكلية والسلبية (٢١) .

وساعد العلم الحديث الإنسان أن يتمسك بالوصول إلى الحقيقة العلمية على أساس من الملاحظة والبحث – ويندر أن نجد شخصا مثقفا ينفى أهمية التثبت من الحقائق بالطرق المختلفة.

إن تقدير البشر للبيئة من المسائل الجوهرية وترتبط بالقيم الإنسانية وأدى ذلك بدوره على حد تمييز سيمونز SIMMONS إلى ظهور أشكال سياسية واقتصادية معينة وربما تمثل ثلاث نظريات متمايزة بشأن قيمة الطبيعة :

١-مذهب اعتبار الإنسان غاية الكون ANTHROPRCENTRISM
وتساند هذه النظرية الرأسمالية وكذلك النظم القيمية المادية ففى الطبيعة غير البشرية تعتبر جميع القيم قيما وسيلية تتوقف على مدى إسهامها فى القيم البشرية وبذلك تصبح الطبيعية إما موارد أو لا موارد غير ذات قيمة.

٢-مذهب التلازم INHERENTISM تسلم هذه النظرية أن مفهوم القيمة نفسه مفهوم إنسانى وأن أى إسناد له إلى الطبيعة إنما يتوقف على الوعى البشرى والإنشاءات التى يصنعها ومع ذلك فإن عقولنا بإمكانها أن تتكيف لحقيقة أن بعض القيم الماثلة فى الطبيعة قيم ليست مشتقة من البشر بل من الطبيعة فى حد ذاتها.

٣-مذهب الباطنية INTRINSICALISM

وتعترف هذه النظرية بأن بعض القيم الماثلة فى الطبيعة مستقلة عن القيم الإنسانية وعن الوعى البشرى ذاته وللبيئة قيمة ملازمة لا تمت بصلة أو شئ يتعلق بالبشر.

وفى الوقت الحاضر يعتبر المذهب والنظرية الأولى هى النموذج السائد ويميل معظم البيئيين إلى المذهب أو النظرية الثانية بينما المذهب

الثالث يقتصر على أنصار حركة الأيكولوجيا العميقة **DEEP ECOLOGY MOVEMENT**. (٢٢).

ولأهمية العلاقة بين الإنسان والبيئة، ودراسة الإنسان قيمه وسلوكه، ونتيجة لآثار وعائد العلاقة بين الإنسان والبيئة جاء دعوة جيرمين **C. GERMAIN** إلى أهمية وضرورة مراعاة الخدمة الاجتماعية للمتغيرات الأيكولوجية البيئية عند ممارسة الخدمة الاجتماعية (أنظر ٢٣) .

وبذلك فإن أى خلل قد يطرأ على التوازن البيئي يعتبر عائدا للنشاط والتفكير الإنساني وأن أى تغير أو خلل يؤثر على الإنسان فى البيئة والتنمية حاضرا ومستقبلا.

كما يعكس هذا الخلل بشكل أو بآخر أن الإنسان ليس كائنا مخططا لا يفكر فى مستقبله، باعتبار التخطيط والتفكير من السمات المميزة للإنسان والإنسانية.

فكيف يمكن الحفاظ على البيئة وصيانتها وفى نفس الوقت استثمار مواردها فى توازن دون خلل؟

المراجـــــع

(١)أنـــظر :

- عبد العزيز سليمان : مرجع فى التعليم البيئي، المنظمة العربيـــة للثقافة والعلوم ، تونس، ١٩٨٨، ص (١٧٣).
- أحمد زكى بدوى ، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، لبنـــان، بيروت ، ١٩٧٧، ص ص(١٣٥-١٣٦).
- نخبة من الأساتذة : الإنسان والبيئة، قسم علم النفـــس، جامعـــة المنصورة،٢٠٠٠ ، ص ص (٣-٤).

(٢)أنـــظر :

- أحمد زكى بدوى: مرجع سابق ، ص (٢٦).
- نخبة من الأساتذة: مرجع سابق ، ص (٤) .

(٣) المرجع السابق : ص (٦).

(٤) المرجع السابق : ص (٧)

(٥) المرجع السابق : ص ص (١٠-١١).

(٦) المرجع السابق : ص ص (٨-٩).

(7) W.I. Thompson, Imaginary Lasdscapes, Making worlds of Myth and Science, New York, Martin Press, 1989.

(٨) إيان ج. سيمونز: البيئة والإنسان عبر العصور، ترجمة السيد محمد عثمان ، عالم المعرفة ، الكويت ، العدد ٢٢٢،يونيو ١٩٩٧، ص ص (١١٥-١١٦)

(٩) المرجع السابق : ص ص (٢١-٢٢).

(١٠) أنظر بالتفصيل :

- المرجع السابق.

- نخبة من الأساتذة مرجع سابق.

(١١) إيان ج. سيمونز : مرجع سبق ذكره، ص ص (٨٣-١٠٢).

(١٢) أنظر نخبة من الأساتذة : مرجع سبق ذكره، ص ص (٧-١١).

(١٣) طلعت مصطفى السروجي: الآثار الاجتماعية لاستخدامات التكنولوجيا في الميكنة الزراعية والصناعات الصغيرة فى الريف، المؤتمر العلمى الثانى، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة القاهرة، ١٩٨٩.

(14) Leon C. Megginson, Personnel A behavioral Approach to Adminstration, N.Y., Richard D. Irwin Inc., Homewood, Illinois, 1972, p.p.(14-15).

(١٥) أنظر بـــالتفصيل : نخبـــة مـــن الأســـاتذة ، مرجـــع ســـبق ذكـــره، ص ص (١٦-١٧).

(١٦) طلعت مصطفى السروجي: مرجع سبق ذكره، ص ص (٢٩-٣٠).

(١٧) رمزى زكي: المشكلة السكانية وخرافة المالتوســـية الجديـــدة، عـــالم المعرفة، الكويت، ديسمبر ١٩٨٤، ص ص (٤١٦-٤١٧).

(١٨) نخبة من الأساتذة: مرجع سبق ذكره، ص ص (٢١-٢٢).

(١٩) طلعت مصطفى السروجي: مرجع سبق ذكره، ص (٣٨).

(٢٠) نخبة من الأساتذة : مرجع سبق ذكره ، ص (٢٣).

(٢١) طلعت مصطفى السروجي: مرجع سبق ذكره.

(٢٢) إيان ج. سيمونز : مرجع سبق ذكره، ص ص (٢٤٩-٢٥٠).

(23) Carel B. Germian, Space: An Ecological Variable in Social work Practice, Social Case work, November, 1978

الفصل الثانى

العلاقة بين التنمية والبيئة

نظرة تحليلية

إعداد

أ.د/ طلعت مصطفى السروجى

محتويات الفصل

أولاً : متطلبات عملية التنمية .

ثانياً : العلاقات بين التنمية والبيئة .

ثالثاً : التنمية المتواصلة أو المستدامة .

رابعاً : التنمية ومشكلات البيئة .

خامساً :أساليب التوفيق بين التنمية ومشكلات البيئة .

أولاً : متطلبات عملية التنمية :-

تتطلب عملية التنمية بالضرورة استخدام المزيد من الموارد الحقيقة "العمل ورأس المال والأرصدة " بصورة لا تحدث خلل فى التوازن البيئى أو تدهور فى موارد الطبيعة بما يؤثر على حاضر التنمية ومستقبلها .

ومن ثم فإن النشاط الإنسانى لإحداث التنمية يتطلب بالدرجة الأولى التدخل فى البيئة باستخدام مواردها المختلفة بهدف إحداث التوازن أو استعادة هذا التوازن البيئى الطبيعى .

وتتطلب كذلك عملية التنمية حساب وتقدير النشاط الإنسانى وآثار استخدامه للموارد حاضراً ومستقبلاً ومن ثم فإن تقدير استخدام الإنسان لموارد البيئة الطبيعية من خلال التخطيط لإحداث التنمية مطلباً أكثر إلحاحا لاستمرارية التنمية للأجيال الحالية والمستقبلية بدلا من تدهور ونفاد بعض الموارد الطبيعية اللازمة لمسيرة ومستقبل التنمية.

ومن ثم فأن الاعتماد على مفهوم التنمية المتواصلة أو المستدامة من المتطلبات الأكثر إلحاحا فى العصر الحاضر الذى يشهد خللا وتدهوراً فى التوازن البيئى.

أن تقدير عائد وآثار الأدوات والتكنولوجيا التى يستخدمها الإنسان لإحداث التنمية قبل استخدامها من المطالب الهامة تداركاً لآثارها السلبية على البيئة ، والتفكير فى التكنولوجيا المضادة لهذه الآثار السلبية أن تعتمد التنمية القابلة للاستمرار Sustainable Development بدرجة كبيرة على الحدود التى تفرضها حالة التكنولوجيا والتقنية الراهنة والنظم الاجتماعية التى

تتحكم فى الموارد البيئية ومقدرة المحيط الحيوى للكــــرة الأرضيـــة علـــى امتصاص آثار النشاطات البشرية [١]

يجب ألا تركز التنمية فى غاياتها على المشكلات البيئية فقط التـــى تنجم عن الخلل البيئى والآثار السلبية لأنشطة تفاعل الإنسان مـــع البيئـــة ، وتتجاهل الارتقاء بالإنسان ونوعية الحياة والقيم الإنسانية باعتبار الإنســـان غاية التنمية حتى لا تتشتت الجهود وبذلك يجب التوفيق بين التنمية ومشكلات البيئة وإيجاد الأساليب التى تحقق درجة عالية من التوافق يعتبر مطلبا مـــن متطلبات التنمية فى العصر الحاضر .

ثانيا :- العلاقة بين التنمية والبيئة :-

إن العلاقة بين التنمية والبيئة علاقة متبادلة فالتنمية لا تحـــدث مـــن فراغ وإنما تعتمد على مدخلات بيئية يلعب التخطيط دورا حيويا وهاما فـــى حسن استثمار وتوجيه هذه المدخلات.

كما أن عائد التنمية ومخرجاتها تحدث تغييرا فى البيئة قـــد يكـــون مرغوبا ومستهدفا أو له آثار سلبية ومشكلات تؤدى إلى تدهور البيئة وليـــس التنمية الحقيقية فى نوعية الحياة Quality Of life .

ومن أهم المشاكل البيئية هى تلك المتعلقة بتدهورها وتلوثها ولـــو أن الحياة تسير سيرها الطبيعى بدون تدخل الإنسان المكثف لتنمية موارده مـــن أجل زيادة إنتاجيتها وتسهيل سبل الحياة وزيادة مستويات الرفاهيـــة بـــالقدر الذى نشاهده حاليا لقلت المخاطر المرتبطة بتلك المشاكل .

بل لو أن التنمية تسير بمعدلات مثلى لتمكنت البيئة نفسها من امتصاص آثار تدهورها وتلوثها التى تصاحب الكثير من مشروعات التنمية ولكن ازدياد معدلات التنمية وعدم اكتفاء الإنسان بقدر من السلع والخدمات يكفى لمسيرة الحياة ، بالإضافة إلى تزايد معدلات الزيادة فى أعداد السكان باطراد جعل معدلات تراكم النفايات بمختلف أنواعها الصلبة والسائلة والغازية أكبر مما تستطيع البيئة أى المحيط الحيوى للأرض امتصاصه بطريقة تلقائية .

كما أدت التقنية الحديثة إلى زيادة معدلات الاستهلاك بدرجة كبيرة وسريعة ، وبالتالى تزايد الإنتاج كما أنها أدت إلى زيادة معدلات الاستهلاك بدرجة كبيرة وسريعة ، وبالتالى تزايد الإنتاج كما أنها أدت إلى زيادة وفورات الحجم والوفورات الخارجية والتى أدى الاندفاع نحوها إلى زيادة تلوث البيئة وتدهورها لدرجة قلت معها مقدرة البيئة على امتصاص الكميات المتزايدة من ملوثات البيئة ومسببات تدهورها.

أضف إلى ذلك أن سوء تخصيص الموارد واستخدامها بطريقة جائزة أدى إلى تدهور البيئة المتمثل فى استنزاف بعض الموارد ونضوب الأخرى ، وقلل إنتاجية الأرض وزاد التصحر على حساب التربة الخصبة وأثر سلبا فى الحياة البرية كما أدى إلى تدهور الممتلكات العامة للبشرية . وهذا ما أحدث المشاكل البيئية التى أصبحت تهدد حياة الإنسان فى هذا الكوكب وتقلل، مع مرور الزمن ، من نوعية الحياة .

فمن المهم جدا أن نلتزم بحل مثل هذه المشاكل البيئية أفرادا ومجتمعات ودولا ، ليس لأننا مهددون بالانقراض ولكن إذا لم نتفهم ماذا

تفعل بنا البيئة فمن المحتمل أن يحدث لنا ما هو أسوأ من الانقراض ، وهــو التدهور المتصاعد لنوعية الحياة.

ومما يزيد آثار المشاكل البيئية تعقيدا هو انتشارها وعدم انحصارهـا فى مكان واحد مما يجعلها تمتد إلى آخرين سواء كانوا أفرادا أو مجتمعات أو دولا أو العالم بأسره .

فالإنسان لا يلوث هواءه الخاص به أو مياهه أو تربته وإنما يلــوث أيضا هواء الآخرين ومياههم وتربتهم . وذلك لأن الغلاف الجوى متصــل ، ومصادر المياه مرتبطة ببعضها البعض مما يجعل تلــوث الــهواء والميــاه يخترق الحدود الجغرافية لا يعترف بحقوق الملكية المحلية منها والدوليـة . (٢، ١٢٣-١٢٤)

ومن هنا فالعلاقة بين التنمية والبيئة علاقة متصلة وثيقة لا تعــرف حدودا جغرافية ولكن تتطلب توازنا بين هذه العلاقة وحساب مردودها وتوقع آثار هذه العلاقة ومن ثم التخطيط لإحداث دينامية متوازنة فى العلاقة بيــن التنمية والبيئة وتحديد المسئول عن حدوث التنمية للمحافظـــة علـى البيئـة وتوازنها دون تدهور أو تعديل أو تبديل يؤثر سلبا علــى البيئـة لضمـان استمرارية التنمية وتواصلها مع الأجيال المقبلة من خلال المحافظـــة علـى موارد البيئة وتدعيم قدرتها على امتصـــاص التلـوث وتصحيـح الوضــع والتوازن البيئى للمحافظة على مستقبل البشرية .

ثالثا :- التنمية المتواصلة أو المستدامة :-

تعتبر التنمية المتواصلة محورا أساسيا لمستقبل البشرية ، وكمفهوم أخذ فى الاتساع والانتشار فى السنوات الأخيرة وتتبنته الأمم المتحدة من خلال منظماتها المتخصصة وتجاربها فى بعض الدول .

وترتبط التنمية المتواصلة بالإنسان الذى يعتبر الركيزة الأساسية لبناء التنمية والانطلاق بمعدلاتها وتوجيهها لصالحة ، وذلك من خلال أنشطته المتعددة وجهوده المتواصلة والتنظيمات التى يقوم بإدارتها والواقع السياسى والاقتصادى والاجتماعى الذى يعيش فى إطاره ، وعائد أنشطته فى أبعاد هذا الواقع إيجابيا أو سلبيا .

ويتوقف قوة ورجة ونوعية هذا العائد على استمرار التنمية وتواصلها من خلال التوازن بين أنشطة الإنسان فى المجتمع والبيئة التى يعيش فى إطارها بنظمها المختلفة وتنظيماتها وتنمية استخدامه للموارد البيئية المتاحة ، أو تلك التى يمكن إتاحتها مستقبلا من خلال استراتيجية واضحة ومحددة لأهدافها التنموية على المدى القصير والبعيد ، والتى تحقق التوازن البيئى المنشود .

إن التنمية لا تحدث فقط من أجل الجيل الحالى ولكن يجب أن تنطلق من حاضر تنموى إلى مستقبل أكثر معدلات فى التنمية .

ويرتبط كل ذلك بشكل مباشر بالتخطيط لحدوث التنمية من أجل حاضر وواقع أكثر ارتباطا بحاجات الإنسان ومستوى معيشى ودرجة

ومستوى من الرفاهية تتوافق مع إنسانية الإنسان ومستقبل أكثر إشراقا في مقابلة حاجاته ومستوى أرقى من المعيشة والرفاهية .

ومن ثم تتسم التنمية بالتراكم المستمر ويتوقف كل ذلك على قدرات وطاقات الإنسان وأنشطته وجهوده في حسن استثمار إمكانات المجتمع،وإحداث التوازن المنشود بين جهوده المتعددة والبيئة . (٣، ٢٢١)

(١)- مفهوم التنمية المتواصلة أو المستدامة :

تتعدد مفاهيم التنمية المتواصلة ولا يوجد اتفاق عام حول هذا المفهوم بالرغم من الاتفاق على التركيز على الإنسان والتوازن البيئى بين أنشطته وجهوده والبيئة بوقائعها المختلفة ، وقد يرجع التباين في تحديد المفهوم إلى:-

١- اختلاف أساليب تحقيق التوازن البيئى .

٢- تباين تخصصات واهتمامات أصحاب المفاهيم .

٣- تباين أو عدم وضوح الاستراتيجيات الضرورية لتحديد أهداف التنمية على المدى القريب والبعيد أو حتى غيابها فى بعض المجتمعات .

٤- غياب بعض المفاهيم المرتبطة وعدم وضوحها مثل المفاهيم البيئية ، تكامل الإطار البيئى ، الإدراك والضمير البيئى .

وتتحدد التنمية بأنها [٤] التنمية الحقيقية ذات القدرة على الاستقرار والاستمرار والتواصل من منظور استخدامها للمواد الطبيعية والتى يمكن أن تحدث من خلال إستراتيجية تتخذ التوازن البيئى كمحور ضابط لها ، ذلك

التوازن الذى يمكن أن يتحقق من خلال الإطار الاجتماعى البيئى والذى يهدف إلى رفع معيشة الأفراد من خلال النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التى تحافظ على تكامل الإطار البيئى من خلال استخدام الأساليب العلمية والعملية التى تنظم استخدام الموارد البيئية وتعمل على تنميتها فى نفس الوقت .

كما يمكن أن نحدد التنمية المتواصلة أو المستدامة بأنها " أساليب علمية مخططة لتحقيق التوازن البيئى بين أنشطة الإنسان وجهوده والبيئة بأبعادها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية من خلال استراتيجية واضحة وحسن إدارة وتنظيم وتنمية استخدام الإنسان لموارده البيئية المتاحة والتى يمكن إتاحتها لتحسين فرص الحياة للإنسان فى المجتمع حاضراً ومستقبلا . (٥ ، ٢٢٢)

ويتضح من خلال عرض المفهومين السابقين أن التنمية المتواصلة أو المستدامة تعتمد على :-

١- تخطيط فعال للموارد المجتمعية المتاحة والتى يمكن إتاحتها ويتضح من خلاله إدارة فاعلة ومنظمة لاستخدام أنسب الأساليب لتحقيق أهداف التنمية القريبة والبعيدة المدى للانتقال بالمجتمع من وضع إلى أخر أفضل من خلال فترة زمنية محددة .

٢- تحقيق التوازن البيئى المنشود بين جهود وأنشطة الإنسان والبيئة التى يعيش فى إطارها ، وتحدد الآثار الإيجابية والسلبية لجهود الإنسان فى البيئة ، وتدعيم الإيجابية والتغلب على السلبية التى تحدث خلل فى التوازن البيئى ومنع استنزاف الإنسان لموارد البيئة خاصة

الطبيعية بصورة تؤثر على التوازن والتكامل البيئى ومستقبل التنمية فى المجتمع ومن ثم تواصل واستمرارية التنمية .

٣- وجود استراتيجية محددة وواضحة لتحقيق أهداف التنمية القريبة والبعيدة المدى ، وترتبط هذه الاستراتيجية بوقائع المجتمع المختلفة وظروفه الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية ، ويتطلب ذلك وجود خطط واقعية قصيرة وطويلة المدى تنبثق من استراتيجية عامة للتنمية المتواصلة لتحقيق التوازن البيئى الطبيعى للعناصر والموارد الطبيعية فى المجتمع .

٤- إدارة فاعلة للمنظمات البيئية التى تمكن وتساعد الإنسان على حسن استثمار وتنظيم وتنمية استخدامه للموارد البيئية وعدم استنزافها بصورة تحدث خللا بيئيا يؤثر على حاضر ومستقبل التنمية ومن ثم تواصلها و استمراريتها .

(٢)- فلسفة التنمية المتواصلة : (٧،٢٢٢-٢٣٣)

تعتمد التنمية المتواصلة على فلسفة أهمها :-

١- أن للإنسان الحق فى الحياة بمستوى لائق حاضرا ومستقبلا ، فى إطار تنمية حقيقية .

٢- ليس من حق الإنسان فى المجتمع تبديد أو استنزاف الموارد المجتمعية المتاحة لصالح التنمية حاضرا مما يؤثر على التوازن البيئى المنشود بين جهوده وأنشطته والبيئة التى يعيش فى إطارها ، ومن ثم استمرارية التنمية ومستقبلها .

٣- يتوقف استمرارية وتواصل التنمية فى المجتمع على قدرات الإنسان الفاعلة وتنظيمه لاستخدام الموارد وثرواته ، ومن هنا فيجب التركيز على التنمية البشرية فى المجتمع كمدخل أساسى وضرورى لإحداث التنمية المتواصلة أو المستمرة ، باعتباره طاقة مجتمعية ومحور عملية التنمية لا تتم إلا به . ولا هدف لها سواه ، وهو الذى ييسر للمجتمع السلع والخدمات اللازمة لإحداث التغييرات الوظيفية والهيكلية التى تسهم فى بقاء المجتمع وتنميته واضطراد تقدمه .

٤- ضرورة حماية البيئة والمحافظة على تواصل عمل الديناميكيات بها وتأمين التوازن البيئى الطبيعى من حيث عمليات البناء والهدم .

(٣)- عناصر التنمية المتواصلة وركائزها :-

تتحد العناصر الرئيسية للتنمية المتواصلة فى ثلاث عناصر متفاعلة وهى :-

١- ثروة بشرية .

٢- ثروة مالية تستخدم التكنولوجيا الحديثة .

٣- ثروة طبيعية .

ونتيجة التفاعل بين هذه العناصر هى التنمية التى تعود على الإنسان بالرفاهية والارتقاء بمستوى الحياة ، وإذا حدث أى خلل أو نقص فى إحدى هذه المكونات الثلاثة فلم تعد هناك تنمية لأنه لو ذاد المال اليوم واستنفذت الطبيعة فسوف ينقص المال غدا. (٧ ، ١١)

والحقيقة فى هذه العناصر أن الإنسان هو الذى يقود ويوجه هذه العناصر مما يستلزم تنسيق قدرات وكفاءة عالية لقيادة هذه العناصر .

ويستنبط مما سبق أن أهداف التنمية المتواصلة أو المستدامة تتركز على :-

١- المحافظة على التوازن بين الموارد المتاحة والحاجات الأساسية للبشر جميعا على المدى البعيد .

٢- وضع خطط التنمية للموارد الطبيعية المتجددة وغير المتجددة فى إطار زمنى يحقق العدالة بين الأجيال .

٣- تحقيق المشاركة الشعبية الواسعة .

٤- ترشيد استغلال كافة الموارد ووضع أولويات للاستخدامات المختلفة (٨) .

بينما تتحدد ركائز التنمية المتواصلة فى الركائز التالية : (٩)

١-الاستدامة أو الاستمرار:-

بمعنى أن التنمية يجب أن تلبى حاجات الحاضر دون أن يخل ذلك بحاجات الأجيال المقبلة ليورث الآباء أبنائهم الأرض خصبة موصولة العطاء والمياه نقية والهواء نظيفا .

٢-الديمقراطية :-

يجب أن تعتمد التنمية على ديمقراطية حقيقية تميلها مصلحة الأغلبية ومصلحة البشرية جمعاء ، ولا يجوز اعتبار آخر أن يعلو على ذلك سواء بحجة تكنولوجيا بحتة أو سيطرة أقلية قوية أو غيرها .

٣-المشاركة الشعبية :-

فإذا أريد للناس أن يتمكنوا من تحقيق التنمية فلابد أن تكون لديهم سلطة ولابد أن يكونوا قادرين على التحكم فى أوجه نشاطهم فى إطار مجتمعاتهم المحلية، و ينبغى أن يشارك الناس ليس فقط فى العمل المادى الذى تتطلبه التنمية بل فى التخطيط وفى تحديد الأولويات لآن مفتاح التنمية هو المشاركة .

٤-القيم :-

فإذا أردنا تنمية متواصلة فعلينا بالإصلاح ونبدأ بالقيم لأنها هى الأساس لضمان نجاح التنمية ومن هنا تبرز أهمية نشر مجموعة من القيم المرغوبة مثل قيم العدالة بمفهومها الواسع بين الأجيال والبلاد والأشخاص وعدم استغلال الآخرين ،والقيم الجمالية والإنسانية ، والقيم التى تشجع على ترشيد الاستهلاك ليتناسب مع قدرة النظم البيئية ، وقيم المشاركة والتعاون والقيم الدينية الأصيلة .

(٤)- مستويات التنمية المتواصلة :-

أن التوازنات فى البيئة الطبيعية ترتبط بالكم الهائل من الأنظمة البيئية الطبيعية باختلاف أحجامها ومواقعها . فالكل على سطح هذه الأرض داخل الغلاف الحيوى المحيط بالكرة الأرضية متوازن مستقر مرتبط بهذه التوازنات على اختلاف المستويات المحلية والعالمية .

ومعنى ذلك أن مستويات التوازن الإقليمى للبيئة الطبيعية تمتد وتتشابك مع التوازن البيئى وبالتالى فإن استراتيجيات تنمية موارد البيئة المحلية والتى تتخذ التوازن البيئى محورا لها لا تتم بمعزل عن استراتيجيات التنمية الإقليمية والدولية والعالمية بل تتكامل معها . (٤ ، ٨٨-٨٩)

ويستنبط من ذلك حقيقة واقعية أن استراتيجيات التنمية المتواصلة أيا كان مستوى هذه التنمية محليا أو إقليميا أو قوميا لا تتم بمعزل عن مثيلاتها الدولية أو العالمية حتى بالمجتمع الواحد المستوى المحلى يتأثر بنظيره الإقليمى والقومى ، حيث تتشابك وتتداخل هذه المستويات وتتأثر بها أيا كان مستويات تدرج هذا التوازن بدء بالمشروع التنموى على المستوى المحلى .

ويؤكد ذلك ما أحدثته وتحدثه وستحدثه العولمة ، من منطق اللاحدود وتغير مفهوم الفواصل الجغرافية الإدارية وحتى الطبيعية منها .

(٥)- متطلبات التنمية المتواصلة أو المستدامة :-

تحتاج التنمية المتواصلة أو المستدامة إلى عـدد مـن المتطلبـات الضرورية فى المجتمع والتى يمكن أن تتمثل فى :-

بناء استراتيجيات وخطط تحقق أهداف التنمية على المدى الزمنـى القريب والبعيد والتى تحافظ على ديناميكية تكوين الموارد الطبيعية ، وتحديد توقعات مسبقة عن طبيعة هذه الديناميكية على المدى الزمنى البعيد .

مراعاة الاعتبارات البيئية وعدم الإسراف فـى اسـتخدام المـوارد الطبيعية للتنمية واستنزافها والإخلال بالديناميكية الطبيعية لهذه الموارد فـى البيئة ، ويستلزم ذلك ربط مفاهيم التنمية بمفاهيم البيئة والأبعاد البيئية ،ومـن هنا وجب بناء استراتيجيات التنمية من منظور بيئى من أجل التخطيط للتنمية واستمرارها وتواصلها .

وتتطلب استمرارية التنمية فى المجمع حماية البيئة والموارد الطبيعية من الاستنزاف وقد يتحتم الأمر تشريعات ملزمة تساعد على تحقيـق هـذه الحماية ومن ثم التوازن البيئى الطبيعى وحماية الأجـهزة البيئيـة المنتجـة للموارد الطبيعية .

ويبدأ التوازن من مستوى المشروع على المستوى المحلى ويتـدرج تصعيده على المستويات الإقليمية والقومية والدولية والعالمية .

اكتشاف وتشجيع وتنمية القدرات البشرية فى المجتمع القادرة علـى إبداع وتقبل واستخدام التكنولوجيا المناسبة للواقع المجتمعى ، والتـى تنظـم

وتوجه استخدام الموارد المجتمعية الأخرى وحتى لا يوجد فجوة بين ديناميكية بناء الموارد والطبيعة فى المجتمع وأنشطة وجهود المورد البشرى.

قدرات مؤسسية فى المجتمع أكثر كفاءة وفاعلية فى توجيه المورد البشرى وتفاعله مع الموارد الطبيعية الأخرى المتاحة أو تلك التى يمكن إتاحتها .

التخطيط للتنمية المتواصلة فى إطار شمولى للبيئة بأبعادها المختلفة ومراعاة تعدد وتشابك ردود الأفعال ، وإيجاد نماذج تخطيطية تحقق أهداف التنمية المتواصلة فى أقصر وقت ممكن ، وتحقق فى الوقت ذاته التوازن المستهدف بين أنشطة التخطيط للتنمية المتواصلة وعمليات التجديد والهدم من خلال ردود أفعال وقدرات محسوبة بدقة .

اختيار واستخدام نوع ومستوى التكنولوجيا التى تحقق مردود يساهم فى إحداث التوازن بين التنمية والبيئة . ولا يخل بهذا التوازن .

وتتطلب التنمية المتواصلة كذلك قدرات إدارية فى المجتمع تتمتع بدرجة عالية من الكفاءة فى صنع وتوجيه السياسات والبرامج الاجتماعية .

وتعتبر تدعيم وتشجيع المشاركة الشعبية والجهود غير الحكومية وكفاءة وفاعلية المنظمات الأهلية مطلبا من متطلبات التنمية المتواصلة من خلال المشاركة الفاعلة فى بناء السياسات والاستراتيجيات واقتراح وتنفيذ ومتابعة الخطط وتقويمها ، ودورها فى إعداد وتنمية القدرات البشرية الفاعلة والواعية المؤثرة إيجابيا فى التنمية المجتمعية وضمان تواصلها واستمراريتها.

(٦)- مرتكزات وضـــع اســتراتيجيات التنميـــة المتواصلـــة :- (١٠،٢٢١-٢٣١)

١- تحقيق التوازن الطبيعى للعناصر والموارد الطبيعية من خلال العلاقة الإيجابية بين التنمية والبيئة ، وحساب وتقدير عائد النشاط البشـــرى على البيئة إيجابيا وسلبيا .

٢- وجود القدرات المتميزة فى المجتمع من خلال تنمية القدرات البشرية الفاعلة التى تستطيع توجيه الموارد البيئية وحسن وتنظيم استخدامها، وذات القدرات المميزة علميا وتكنولوجيا .

٣- استخدام التكنولوجيا المناسبة التى تمكن العناصر البشرية من حســـن استثمار وتنظيم وتوجيه الموارد البيئية ، ولا تحـــدث إخـــلالا فـــى التوازن بين التنمية والبيئة .

٤- تحليل السياسات الإقليمية والدولية والعالمية وعدم الانعـــزال عنـــها كأمر مفروض ولحتميته لإحداث التوازن المنشود بين التنمية والبيئـــة الكونية ، وفى نفس الوقت بناء نموذج خاص للتوازن البيئى .

٥- تدعيم ما يمتلكه المجتمع من قدرات من خـــلال اكتشـــاف وتنميـــة القدرات البشرية وتوفير احتياجـــات القـــدرات المتمـــيزة ، أجـــهزة معلومات أكثر كفاءة ، منظمات صنع السياسات فى المجتمـــع وإدارة التنمية المتواصلة .

(٧)-الخدمة الاجتماعية والتنمية المتواصلة أو المستدامة :-

تلعب الخدمة الاجتماعية دورا أساسيا فى حدوث التنمية المتواصلة أو المستدامة وذلك من خلال جوهر أدوار الخدمة الاجتماعية فى اكتشاف وبناء وتنمية القدرات الإنسانية ، وتحديد الإيجابيات والسلبيات لدى العملاء الأفراد والجماعات والمجتمعات ، وتوظيف واستثمار الإيجابيات و التخلى عن السلبيات أو مواجهتها .

وتساعد هذه القدرات الموارد البشرية عملاء الخدمة الاجتماعية ووحدة تعاملها وتمكنها من استثمار وتنظيم وتوجيه الموارد المجتمعية بما يساهم إيجابيا فى دفع عجلة التنمية وتواصلها واستمراريتها .

١-العلاقة بين الخدمة الاجتماعية والتنمية المتواصلة :-

تلتقى الخدمة الاجتماعية مع التنمية المتواصلة أو المستدامة فى :

١- الاهتمام بالعنصر البشرى عملاء الخدمة الاجتماعية ووحدات تعاملها وأنشطة وأدوار هذا العنصر فى البيئة باعتباره جوهر التنمية .

٢- اكتشاف وتنمية قدرت الإنسان كأساس لأدوار الخدمة الاجتماعية مع عملائها وتعتمد التنمية المتواصلة على القدرات البشرية اعتمادا أساسيا .

٣- مواجهة المشكلات الاجتماعية التى تؤثر فى إحداث خلل فى التوازن البيئى بين الإنسان والبيئة باعتبار أن المشكلة الاجتماعية هى خلل

فى التوازن البيئى ، وباعتبار هذا التوازن هدفـــا محوريـــا للتنميـــة المتواصلة والخدمة الاجتماعية .

٤- الالتقاء بين فلسفة الخدمة الاجتماعية وفلسفة التنمية المتواصلة .

٥- الالتقاء بين أهداف كل من الخدمة الاجتماعية و التنمية المتواصلة .

٢- أساليب الخدمة الاجتماعيـــة فـــى تحقيـــق أهـــداف التنميـــة المتواصلة:

تستخدم الخدمة الاجتماعية أساليب عديدة تساهم فى تحقيق أهـــداف التنمية المتواصلة أو المستدامة أهمها :-

أ- أساليب وقائية :-

عن طريقها تتلاقى المشكلات التى تؤثر سلبيا فى إحداث خلل فـــى التوازن البيئى كمحور هام فى التنمية المتواصلـــة ويدعـــم إيجـــاد واستمرارية التوازن البيئى والعلاقة بين التنمية والبيئة ومنع التفـــاعل السلبى بين الإنسان كمتغير حيوى فى التنمية والمـــوارد والطاقـــات المجتمعية والوسط الذى يحدث فيه هذا التفـــاعل بالدرجـــة التـــى لا يظهر معها خلل فى التوازن أو انحرافات أو خـــروج عـــن المـــدى المسموح به فأساليب الوقاية لمكافحة الجريمة مثلا بزيادة نسبة التعليم وتوجيه الطاقات البشرية إلى مجالات مفيدة وهكذا .

ب- أساليب علاجية :-

حيث توجد المشكلة أو الخلل فى التوازن البيئى بالفعل وهدف الخدمة الاجتماعية فى ذلك استعادة التوازن البيئى مرة أخرى بعد مواجهة المشكلة بما يساهم فى تعديل التحول وتصحيح التفاعل والخلل بالقضاء على أسبابها .

وقد تكون أسباب المشكلة غير معروفة أو الطاقة المتاحة فى المجتمع محدودة وقدرة المجتمع على استخدامها غير متاح لسبب أو لآخر فيكون التخفيف هنا من حدة وشدة المشكلة أو الخلل فمثلا فى مجال الانحراف والجريمة نجد دور الخدمة الاجتماعية فى مجال الدفاع الاجتماعى .

ج- أساليب إنمائية :-

حيث تركز الخدمة الاجتماعية جهودها فى اكتشاف وتنمية قدرات العملاء ومحاولتهم للاعتماد على الذات والهدف من ذلك المحافظة على قيمة الإنسان جوهر عملية التنمية ومساعدته على الإنتاج بأقصى حد ممكن وكمحرك أساسى وموجه لعملية التنمية فى المجتمع.

إضافة إلى تدعيم القيم التنموية لدى الإنسان والمشاركة الشعبية ، وتخطيط البرامج والمشروعات التنموية ، وتدعيم كفاءة وفاعلية المنظمات الحكومية والأهلية التى تقدم خدماتها لرعاية هذا الإنسان وإدارتها .

د- أساليب تأهيلية :-

بهدف زيادة القدرة الذاتية وتنميتها لدى الإنسان كمتغير حيوى فى التنمية المتواصلة ليمكنه من الاستفادة إلى أقصى حد ممكن من مستوى الأداء الحقيقى له ، ويمكنه من التغلب على الانخفاض فى مستوى أدائه والتأثيرات الجانبية الناجمة عن ذلك .

وتستخدم الخدمة الاجتماعية أساليبها هذه من خلال برامج التدخل المهنى للخدمة الاجتماعية مع عملائها الأفراد والجماعات والمجتمعات .

ويتضمن كل نوع من هذه الأساليب الفرعية التى تحقق الهدف من التدخل المهنى كما أن استخدام أسلوب بعينة يتوقف على :-

١- الهدف من التدخل الإنسانى والبيئة .

٢- درجة الخلل فى التوازن بين الإنسان والبيئة .

٣- درجة التنمية والمستوى التنموى فى المجتمع .

٤- إمكانات وقدرات العملاء ، واكتشافهم وإدراكهم لهذه القدرات وتنظيم وتوجيه استخدام الموارد المجتمعية .

٥- درجة الاعتماد على الذات لدى العملاء لإحداث التوازن البيئى المستهدف لإحداث التنمية المتواصلة أو المستدامة .

٦- الطاقة المطلقة المتاحة فى المجتمع وقدرته على استخدامها .

٣-جهود الخدمة الاجتماعية لتحقيق التنمية المتواصلة :-

تتعدد جهود الخدمة الاجتماعية لتحقيق أهداف التنمية المتواصلة وتتباين هذه الجهود من خلال التدخل المهنى مع عملائها الأفراد والجماعات والمجتمعات باعتبار أن الإنسان هو محور اهتمام وتحليل الخدمة الاجتماعية.

كما أن هذه الجهود تتركز فى البرامج والمشروعات التى تهتم بها الخدمة الاجتماعية فى المستويات التنموية المختلفة إضافة إلى دورها فى التخطيط وصنع وتحليل السياسات الاجتماعية فى المجتمع .

وكانت هذه الجهود انعكاسا لارتباط وتلاقى أهداف وأساليب وفلسفة الخدمة الاجتماعية مع التنمية المتواصلة ، ويمكن تحديد هذه الجهود باختصار فى:-

١- اهتمام الخدمة الاجتماعية بقضية التأصيل والتوطين ما هو فى الواقع إلا ارتباط التنمية بالبيئة ، وجهود الإنسان بالبيئة والنظم والموارد التى يعيش فى إطارها ، وتتعدد جهود الخدمة الاجتماعية فى هذا الإطار سواء فى مصر أو بعض الدول الأخرى .

٢- أن ما يميز الخدمة الاجتماعية ارتباطها بالواقع المجتمعى أو البيئى ، مما يزيد من قوة العلاقة بين التنمية والبيئة بوقائعها وأبعادها المختلفة، ويتضح ذلك بصورة أو بأخرى فى بحوث ودراسات الخدمة الاجتماعية سواء بحوث التدخل المهنى فى الواقع البيئى الذى يستهدف بطبيعة الحال إحداث توازن إما العميل " الإنسان" مع البيئة أو البيئية مع العميل وفقا للأهداف والأساليب المستخدمة لمواجهة

المشكلات أو الخلل فى العلاقة بين الإنسان والبيئة وكذلك بحوث ودراسات الحاجات أو تحليل السياسات والمشكلات فى البيئة .

٣- جهود الخدمة الاجتماعية المتعددة سواء الوقائية أو العلاجية أو التنموية أو التأهيلية فى مجالات الخدمة الاجتماعية .

٤- اهتمام الخدمة الاجتماعية بالتخطيط الاجتماعى الذى يربط الحاضر بالمستقبل ، ويستشرف مسيرة المجتمع ، ويهتم بحسن استثمار وتوجيه الموارد البيئية المختلفة القائمة والكامنة لمقابلة الحاجات ومواجهة المشكلات وتخطيط البرامج والمشروعات وتنفيذها فى إطار استراتيجية وسياسات اجتماعية محددة .

٥- اهتمام الخدمة الاجتماعية بصنع سياسات الرعاية الاجتماعية وتحليلها .

٦- تركيز الخدمة الاجتماعية على تدعيم كفاءة وفاعلية منظمات الرعاية الاجتماعية التى تساهم إيجابيا فى تفاعل الإنسان وأنشطته مع البيئة والواقع الذى يعيش فى إطاره .

٧- جهود الخدمة الاجتماعية فى حماية البيئة من التلوث بهدف استعادة التوازن الطبيعى للبيئة ، وتوازن التنمية مع البيئة .

٨- اهتمام الخدمة الاجتماعية بالقدرات البشرية ويتضح ذلك من خلال اكتشاف إيجابيات ونواحى القوة لدى الإنسان وإدراكه لهذه الإيجابيات بل واستثارته وتحريكه لحسن استثمار هذه القدرات ، وأبعد من ذلك تنمية القدرات والارتقاء بها ، واكتساب العملاء القيم والسلوكيات

المرغوبة والتغلب على معوقات الأداء والسلبيات التى تحد من أدائهم ودورهم فى التنمية .

ولا تقتصر جهود الخدمة الاجتماعية مع الفئات الضعيفة فى المجتمع من غير الأسوياء بل تمتد جهودهم للأسوياء وقادة المجتمع من ذوى السلطة والنفوذ والتعامل مع هذه الفئات لدورها الحيوى فى توجيه التنمية والتحكم فى عملياتها وأساليب استثمار الموارد الطبيعية والحفاظ عليها لإحداث التوازن البيئى المستهدف ، وذلك من خلال دورها فى اتخاذ القرارات وتحريك الآخرين فى المجتمع .

كما أن اهتمام الأخصائى الاجتماعى بتحديد وتقدير الحاجات الإنسانية يعكس كذلك تزايدا فى جهود الخدمة الاجتماعية فى بناء وتنمية قدرات العنصر البشرى فى المجتمع ،وذلك من خلال محاولة إشباع أكبر قدر ممكن من حاجاته .

وتعتبر الخدمة الاجتماعية رائدة فى المشاركة الشعبية والتى تعتبر ضرورية فى التنمية المتواصلة ،وذلك من خلال دورها فى صنع القرارات والتنفيذ والرقابة والتقويم وتتمثل مثل هذه الجهود من خلال المنظمات الأهلية غير الحكومية ، وتشجيع واستثارة السكان فى المجتمع للمشاركة .

رابعا :- التنمية مشكلات البيئة :

تتعدد المشكلات البيئية فى كل المجتمعات وتتنوع وإن تباين درجة حدة كل مشكلة من المشكلات البيئية من مجتمع لآخر ...، إلا أنها تعكس اهتماما أكثر فى الدول النامية التى تركز اهتماماتها بدلا من إحداث التنمية المتواصلة إلى مواجهة المشكلات البيئية مما يؤدى إلى فقد الجهود وتشتت الموارد وينعكس سلبيا على معدلات التنمية واستمراريتها فى المجتمع .

وقد حدد البنك الدولى فى أحد تقريراته المشكلات البيئية وفقا للترتيب التالى (١١،١٣) :-

١- تدهور حياة الكائنات الطبيعية .

٢- تدهور التربة .

٣- تدهور نوعية المياه العذبة واستنزافها .

٤- التلوث الحضرى والصناعى والزراعى .

٥- تدهور الممتلكات البشرية العامة .

ومن ثم تمثل ظاهرة التلوث واحدة من أكبر مشاكل هذا العصر ، ومن أكثرها خطرا على نوعية ومستقبل حياة الإنسان ، ولم تعد البيئة قادرة على تجديد مواردها الطبيعية ، واختل التوازن بين عناصرها المختلفة ، ولم تعد هذه العناصر قادرة على تحليل مخلفات الإنسان أو استهلاك النفايات الناتجة عن نشاطاته المختلفة (١٢ ، ١٦) .

جعل ذلك قضية حماية البيئة من القضايا الملحة التى فرضت نفسها فى السنوات الماضية على صعيد جدول الأعمال العالمى بهدف إحداث نوع من التوازن الدقيق بين عناصرها المختلفة ، وهو ما يعبر عنه بالنظام البيئى Ecosystem الذى يعيش عناصره فى توازن وتكامل يعتمد كل منهم على الآخر ويقوم كل منهم بمهمة محددة فى هذا النظام بطريقة تكفل له الانتظام وعدم الخلل (٢٢،٢٧-٢٩) .

ولأهمية الظاهرة ودراسة أبعادها ومتغيراتها المختلفة والمتشابكة التى تهتم بالإنسان الفاعل والمتأثر ، والبيئة بعناصرها المختلفة المتأثرة والمؤثرة فى الإنسان ، زاد اهتمام العلماء بمختلف انتماءاتهم التخصصية والمخططين بدراسة الظاهرة .

ويحتاج دراسة هذه الظاهرة إلى دراسات تكاملية من مختلف التخصصات التى تهتم بالإنسان والبيئة فى إطار شامل لتحقيق التوازن أو إعادته للبيئة ، ونشط لذلك عقد المؤتمرات الدولية والمحلية كإسهام فى دراسة الظاهرة بأبعادها المختلفة .

وقد أدت المدنية الحديثة إلى حدوث تغييرات كبيرة فى البيئة المحيطة بالإنسان ، وبصفة عامة يجب أن يكون هناك نوعا من التوازن بين توفير الاحتياجات الضرورية والحضارية لكل الأفراد وبين الثمن الذى يجب أن ندفعه فى هذا السبيل على هيئة تلوث الهواء والماء واستنزاف التربة الذى يصاحب التقدم الصناعى و الحضارى للإنسان (١٢ ،١٨) ولم يسلم المجتمع الريفى مثلا من هذه التغييرات فقد أوضحت بعض الدراسات [٨] أن استخدام التكنولوجيا فى الميكنة الزراعية والصناعات الصغيرة فى الريف يزيد من

تلوث البيئة كأثر سلبى لاستخدامها ولم تسلم المجارى المائية فى الريف من هذا التلوث بالرغم من أن المياه حاجة أساسية للحياة .

وأن تأثير تلوث المياه على الصحة لا يقل فى خطورتها عن تلوث الهواء.

وتبدو المشكلة أكثر حدة فى الريف حيث تعد إمكانية الحصول على الرعاية الصحية فى المناطق الحضرية أفضل مما هو فى المناطق الريفية فى جميع البلدان النامية ، وتوافر المياه ومرافق النظافة الصحية العامة بالريف تعد – فى المتوسط – أقل من نصف تغطية سكان الحضر ، فنسبة السكان الذى يستطيعون الحصول على المياه فى الريف أقل من خمس نسبتهم فى الحضر وذلك على الصعيد العالمى عام (١٩٨٧) بينما نجد نسبة سكان الريف فى مصر الذين يحصلون على خدمات المياه ٥٦% فى نفس العام ، وتزيد نسبة سكان الحضر الذين يحصلون على نفس الخدمة عن سكان الريف فى مصر – فى نفس العام – ٦١ مرة (١٥-٨).

مما دفع الأمم المتحدة إلى عقد مؤتمر دولى للمياه تحت رعايتها عام ١٩٧٧ تم فيه الإعلان عن البرنامج العالمى لمياه الشرب والصرف الصحى لمدة عشر سنوات من عام ١٩٨١ – ١٩٩٠ لتغطية جميع المناطق بهذه الخدمات (٢٠ ، ٢٨٥) إلا أنه وبعد نهاية هذا العقد من الزمان مازال الكثير من الريفيين محرومين من هذه الخدمات ويمتد ذلك إلى بعض المناطق الحضرية.

وقد أوضحت العديد من الدراسات أن العوامل البيئية تؤثر على المياه ومصادرها (٢٦) وأن المجارى والمخلفات الصناعية تؤثر على المياه

(٧٨٤،٧٣٣،٢٠) وأن المياه الجوفية مصدرا من مصادر التلوث ولذا يجب الاهتمام بدراسة هذه المياه ومنسوبها وأساليب الصرف الصحى (٥٥٦،٣١-٥٦٥) وأن تلوث المياه يؤدى بدوره إلى تلوث الأسماك فى الأنهار مما يؤثر على صحة الإنسان (٤٩) والزراعة ذاتها تؤدى إلى التلوث نتيجة لاستخدامات الأسمدة والإسراف فى كميتها وتلوث مياه الرى (٢٨) وكذا التسمم بالمبيدات فى الريف فقد نتج فى مصر عام ١٩٧١ من استعمال تركيزات عالية من أحد المبيدات فى مقاومة دودة القطن أن تسمم ما يقرب من ١٥٠٠ من المواشى فى منطقة قطور فى دلتا النيل (١٣٧،١٢) .

وأوضح تقرير برنامج الأمم المتحدة الإنمائى (٥٦،١٥) أنه يموت سنويا نحو عشرة آلاف نسمة فى البلدان النامية نتيجة للتسمم الناتج عن المبيدات ، وتؤدى أمراض الإسهال فى هذه الدول نتيجة لعدم توافر مرافق النظافة الصحية ولعدم نظافة مياه الشرب إلى موت ما يقدر بأربعة ملايين طفل سنويا ، ويؤدى التلوث فى اليابان إلى التقليل من إنتاج محصولى القمح والأرز بنسبة ٣٠% مما جعل المجتمع المصرى يهتم بوجود قوانين حماية مصادر المياه من التلوث وقد تم تعديل هذه القوانين عدة مرات كان آخرها القانون رقم ٩٣ لسنة ١٩٦٢ وشمل القواعد الخاصة بصرف المخلفات السائلة ومنع إلقاء مياه الصرف الصحى فى نهر النيل أو أحد فروعه (٢٤٣،١٢) .

ويمكن للمنظمات الأهلية والشعبية فى المجتمعات المحلية تقديم الكثير من الدعم والخبرات لمواجهة الكثير من المشكلات البيئية والمحافظة على البيئة وترفير الخدمات وصيانتها بالجهود الذاتية.

ولعل مشروع أورانجى (١٢٢،١٦) فى كراتشـــى بإقامــة شــبكة للصرف الصحى بتكاليف منخفضة وذلك بمشـــاركة المواطنيــن أنفســهم ، وكذلك مشروع بيرو الذى يؤكد أن هناك طرقــا اقتصاديــة لمعاملــة ميــاه الصرف وتنقيتها إلى الدرجة التى تجعلها صالحة لـــرى الخضــر وتربيــة الأسماك ، مثالا واضحا على ذلك.

وانتشرت فى مصر الجمعيات الأهلية للحفاظ على البيئة ومكافحـــة التلوث فينشط دور الخدمة الاجتماعية ، والتخطيط الاجتماعى لوضع الخطط والبرامج والمشروعات الوقائية والعلاجية .

إن التخطيط الاجتماعى محور اهتمامه الإنســان وتغيــير الإنســان والبيئة بهدف إحداث التوازن الطبيعى للبيئة ، حيث يركز على تغيير القيـــم والسلوكيات ، وينشط المشاركة الشعبية والتغيير البيئــى والمحافظــة علــى الموارد البيئية كما ونوعا وحسن استثمارها وتوجيهها لصالح الإنسان ونوعية ومستقبل حياته .

والمجلس الشعبى المحلى هو النسق التخطيطى السياســى المحلــى بالقرية المعبر عن المصالح المجتمعية ، وباعتباره إحدى تنظيمـــات الحكـــم المحلى كأسلوب للمشاركة الشعبية ، وتنظيم وإدارة شئون القريـــة والقيـام بعمليات التخطيط بواسطة سكان القرية أنفسهم بما يتفق ومصالحهم العامـــة وله وظائف ذات طابع محلى بالاحتياجات المحلية الحقيقية للسكان .

١- مفهوم التلوث :-

التلوث كلمة ذات معنى عام وهى تعنى ظهور ما فى مكـــان غـــير مناسب ، ولا يكون مرغوبا فيه فى هذا المكان ، وقد يكون الشئ مرغوبا فيه إذا وجد فى مكان آخر ، ويتسع المفهوم الحديث للتلوث ليشمل كل ما يؤثـــر فى جميع عناصر البيئة بما فيها من نبات وحيوان وإنسان وكذلك كل ما يؤثر فى تركيب العناصر الطبيعية غير الحية مثل الـــهواء والتربـــة والبحـــيرات والبحار (١٢، ١٩) .

والتلوث تدخل غير مرغوب فى أشياء لها استخدامات نافعة للكائنات كالهواء والماء (٥٠) وهو تهديدات بيئية يتعرض لها الأفـــراد (١٤ ،٣٧٦) ويرتبط التلوث بحدوث تغير فى الصنعة الطبيعية للبيئة عن طريق عوامـــل كيمائية وفيزيقية أو بيولوجية وهذه المواد الدخيلة قد تكون من صنع الإنســان أو الطبيعة ويتوقف ضررها على مدى تركيزها وقوة تأثيرها على الكائنـــات الحية (٥١) (٢١،١٥٣) .

والتلوث هو إخلال بالتوازن الطبيعى للبيئة وتدهور فى النظام البيئى بالتدخل غير الواعى والمرفوض وإحداث تغير كمى أو كيفى أو هما معـــافى العناصر البيئية مما يؤثر سلبيا على صحة الإنسان ومصالحـــه الاقتصاديـــة والانتظاميات الطبيعية ونوعية الحياة ، ويتوقف حدة الخطورة على درجـــة هذه التغيرات الكمية والكيفية . (٢٥)

٢- تلوث المياه :-

لا يوجد انفصال حقيقى بين تلوث الهواء وتلوث الماء لأن الهواء الملوث يؤثر كثيرا فى المساحات المكشوفة من الماء ويلوثها ، وأمتد تلوث المياه إلى مياه البحر والمحيطات رغم اتساع رقعتها (١٤، ١٠٣) .

وتمثل المياه أيضا بالرغم من أساسياتها للحياة وسيطا أوليا للمرض ومن أهم الأمراض مائية المنشأ أمراض التيفود والكوليرا والدوسنتاريا والتهاب الكبد الوبائى ، وتعتبر المياه ملوثة عندما يتغير تركيبها أو تتغير حالتها بحيث تصبح أقل ملاءمة لأى استخدام من استخداماتها المتعددة وذلك من خلال تفريغ مواد سائلة أو صلبة أو غازية فيها ، وزيادة نسبة العناصر الكيميائية فى مياه الشرب له تأثير سرطانى الثروة السمكية وهو ما يمكن أن ينتقل فى وقت لاحق إلى الاستهلاك الإنسانى (١٦،٢١٨) .

إن تلوث الأنهار والمجارى ظاهرة عامة وشائعة فعلاوة على الفضلات الآدمية توفر الزراعة العديد من ملوثات المياه كبقايا ومخلفات الحيوانات والمبيدات والأسمدة وغيرها .

وتمثل المبيدات مشكلة مزدوجة حيث أن استخدامها ضرورة حيوية لا غنى عنها وفى الوقت نفسه فإن آثارها الضارة على البيئة لا يمكن إنكارها (٢٠ ،٢٧٥) . فيمكن أن يؤدى الاستخدام الخاطئ للمبيدات ــ مثلاــ إلى نتيجة عكسية من خلال خلخلة التوازن الطبيعى بين الحشرات فى الحقول وتكون النتيجة مزيد من الخسارة فى المحصول (١٣، ١٤٦) وقد يتأثر الإنسان بهذه المبيدات بطريقة غير مباشرة فهو يتغذى بالنباتات والحيوانات ومنتجاتها ويصل إليه مع هذا الغذاء (١٤ ،١٣٨) .

إن المخلفات السائلة وطرق التخلص منها لها دورها فى تلوث البيئـة ،ولم تعرف شبكة الصرف الصحى الحديثة إلا فى نهاية القرن التاسع عشر ، ولا تعتبر طريقة سليمة للتخلص من مخلفات الصف الصحى وقد تستخدم فى تسميد الأرض الزراعية مما يؤدى إلى تلوث المنطقة المحيطة بهذه الأرض، أو قد تتسرب المياه خلال الطبقات المسامية للتربة وتصل إلى المياه الجوفيـة فتلوثها (٣٢) .

وتلوث المياه بذلك عدم صلاحية المياه للاستخدامات العديدة للحيـاة الضرورية مما يؤثر على صحة الإنسان وتتحدد تلوث المياه فى الريف إلـى مياه الشرب، مياه المجارى الجوفية ، مياه الرى .

٣-التخطيط الاجتماعى وحماية البيئة من التلوث :-

التخطيط الاجتماعى هو الإعداد العلمى للسياسات ، وهو الذى يجعـل السياسات الاجتماعية قابلة للتطبيق الميدانى (٢٩) ومن ثم فلا يمكن تحقيـق أهداف رعاية الإنسان فى مجالات الرعاية المختلفة ـ الصحية وغيرهـا ـ وضمان بيئة مناسبة ونوعية حياة مواتية للإنسان دون تخطيط علمى .

والتخطيط هو الوظيفة التى بواسـطتها تتحـدد الأهـداف والأدوار المختلفة لتحقيق هذه الأهداف (٣٥) والأهداف دائما ـ أيا كـان نطاقـها ـ لصالح الإنسان فى البيئة والارتقاء بنوعية الحياة للإنسان فى هـذه البيئـة ، باعتبار أن الإنسان هو وحدة الاهتمـام ومحـور التركـيز فـى التخطيـط الاجتماعى .

والتخطيط هو محاولة التحكم فى نتائج نشاطنا ويعنى نجاح التخطيط تحكما فى هذه النتائج ، وقدرة على التحكم فى المستقبل عن طريق التفاعلات، ويختلف مفهوم التخطيط باختلاف المعنى ووصف وسائل تحديد الشكل والإطار العام للخطة (٤٣) .

ومن ثم فإن التخطيط يهتم بالإنسان وتفاعلاته المختلفة مع البيئة والأنظمة وكذا الأبعاد القيميه للإنسان التى تؤثر بدورها فى سلوكه عند تفاعلاته مع البيئة والآخرين ،وقد يكون ذلك البعد الثقافى و القيمى والسلوكى له دوره المؤثر من خلال تدخل الإنسان الواعى أو غير الواعى الأول حماية البيئة من التلوث والثانى كسبب أساسى لحدوث التلوث .

ومن ثم فإن التخطيط الاجتماعى لإحداث التغيير القيمى والسلوكى له أهميته القصوى فى حماية البيئة من التلوث .

ويتحدد تركيز التخطيط الاجتماعى فى نشاطين أساسيين هما تحديد أهداف محددة واختيار وإعداد استراتيجيات التغيير الفعالة (٣١) ،ومن ثم فللتخطيط الاجتماعى وظيفة وقائية وعلاجية ، وللأولى أهميتها فى حماية البيئة من التلوث والمحافظة على التوازن الطبيعى ، وللثانية أهميتها فى مواجهة مشكلات التلوث ، وتتحقق الوظيفة من خلال الخطط الوقائية ، والخطط الموجهة لعلاج المشكلات وإحداث التغيير .

وللتخطيط الاجتماعى دور أساسى فى تحديد وإدراك المشكلات وتحليلها بل وتحليل العملاء وتنمية الوعى وتقدير الحاجات الإنسانية والبيئية ، وتصميم البرامج والمشروعات الوقائية والعلاجية والتنموية .

ويركز التخطيط على تعبئة وتنسيق وتوجيـــه المـــوارد والطاقـــات المتاحة ومن هنا فإنه يركز على تحليل البيئة وإدراك عناصرهــا المختلفــة (٤٢) وذلك للحفاظ على المصادر البيئية بل وتنميتها .

وتعطى درجة عالية من الأولوية فى التخطيط للمشكلات البيئية على اعتبار أن المتأثرين بها عدد من الناس (٣٦) ويضع المخطط الاجتماعى فى اعتباره فى تشجيع المشاركة الشعبية فى البرامج والمشروعات كردم الــبرك والمستنقعات ... الخ وإنشاء الأجهزة المتخصصـــة فـــى حمايـــة البيئـــة ، والتشريعات الخاصة بحماية البيئة والحفاظ عليها وبذلـــك فـــإن للتخطيـــط الاجتماعى دورا أساسيا فى إحداث التغيير فى الإنسان والبيئة وذلك لتهيئـــة بيئة أكثر صلاحية لإشباع حاجات أفرادها ، ولا يتأتى ذلك إلا مـــن خـــلال سياسات واضحة ومحددة لحماية البيئة والحفاظ عليها وإجراءات التخطيـــط لتنفيذها من خلال برامج ومشروعات مخططة .

خامسا : أساليب التوفيق بين التنمية ومشكلات البيئة :-

إن القضية الأساسية هنا هل يمكن إيقاف التنمية من أجـــل ســـلامة البيئة؟

ولعل الإجابة على هذه القضية تتحدد فى الإجابة على تســـاؤل مـــا أفضل الطرق والأساليب للتوفيق بين التنمية والمشاكل البيئية ؟ حيث لا يمكن الاستمرار فى التنمية التى تؤتى ثمارا عكسية علـــى البيئـــة وتـــؤدى إلـــى تدهورها .

ولعل التنمية المتواصلة أو المستدامة مدخلا مناسبا لإحداث التـوازن المنشود بين الإنسان صانع التنمية والبيئة التى تستقبل عائد هذه التنمية .

ومن ثم فلابد من التحديد المسبق للآثار والعائد الناجم عن التنمية قبل حدوثها فى البيئة والتوقع الدقيق لهذه الآثار ومن هنا يأتى أهميـة التخطيـط لحدوث التنمية .

كما أن للتكنولوجيا المضادة وتشجيعها جنبا إلى جنب مع التكنولوجيا المستخدمة فى البيئة دورها فى عدم تدهور البيئة ، ومعالجة الآثار السـلبية التى قد تحدثها التكنولوجيا المستخدمة .

ويجب كذلك تحديد من المسئول عن حدوث التنمية ؟

ولقد تعددت الآراء والمدارس الفكرية حول البيئة والتنمية ونعرضـها بإيجاز فى . (٢٤، ١٢٣-١٢٤)

تراوحت تلك الآراء بين الوقائيين "Preservationists " الذين يرون أنه يجب عدم التضحية بأى قدر من تلوث البيئة أو تدهورها من أجل التنميـة . بل يجب المحافظة على البيئة كما هى ، وأن مسؤولية أى جيل أن يسـلمها للأجيال القادمة دون تبديل أو تعديل يؤثر سلبا عليها .

وعلى الرغم من أن أطروحات هذه المدرسة لم تكـن مقبولـة منـذ البدايـة إلا أنـه قـد انبثـق منـها مؤخـرا مـا يسـمون بـالبيئيين "Environmentalists " .

والمدرسة الثانية هى مدرســة المحــافظين " Conservationists " الذين يرون ضرورة المحافظة على البيئة وإن كان لابد من استخدامها للتنمية فيجب أن يتم ذلك بطريقة انتقائية .

ولقد انبثق من هذه المدرسة مــا يعــرف حاليــا بــالخضر " The Greens" الذين يمزجون بين آراء المحافظين والماركسية فأصبحوا أكــثر تطرفا من المحافظين الأوائل وأقل قبولا .

ثم مدرسة الاقتصاديين " Economists " الذين يرون أنه لا يمكــن منع التلوث نهائيا إذ أنه بعد مرحلة معينة فإن تكاليف إزالة المزيد من التلوث ستفوق عائداته . والاستغلاليين " Exploiters" الذيــن يــرون مواصلــة عمليات التنمية بلا تحفظ، وذلك لأن البيئة نفسها قادرة على امتصاص التلوث وعلى تصحيح التدهور تلقائيا . وإن عجزت عن ذلك نتيجة لتراكم النفايــات وكثافتها بدرجة كبيرة ، فإن التقنية الحديثة تستطيع معالجتها كمــا أنــها أى التقنية كفيلة باستحداث موارد جديدة لأجيال المستقبل والذيــن كــانوا دائمــا أفضل حالا من الأجيال التى سبقتهم . ولذلك لا يرون داعيا لإيقاف عمليــات التنمية أو حتى تقليصها من أجل المحافظة على البيئة وحمايتها .

ومن ثم يحتدم الجدل بين الآراء والمدارس الفكرية المختلفة ولكــن الهدف الرئيسى يجب أن يتركز حول كيف يمكن حدوث تنمية بلا مشــكلات بيئية ؟ تنمية متواصلة كحق للجيل الحالى والأجيال المقبلة ، وتنمية تحــدث تراكما محسوبا ومقدرا ويدعم قدرة البيئة على امتصاص ما تحدثه التنمية من آثار سلبية أو مشكلات .

المراجع

(1)- Brundtland, our Common Future, N.Y., Oxford university Press 1988.

(٢)- محمد حامد عبد الله ، تحليل اقتصادى لبعض المشاكل البيئية ، مجلة العلوم الاجتماعية ، الكويت ، ١٩٩٤ .

(٣)- طلعت السروجى وآخرون ، التنمية الاجتماعية المثـــال والواقـــع ، مركز نشر وتوزيع الكتاب الجامعى ٢٠٠٠ .

(٤)- أنظر :-

- وفاء عبد الله : إدارة التنمية المتواصلة فى مصر ، رؤية بيئية ، المجلـــة المصرية للتنمية والتخطيط ، معهد التخطيط القومى ، العـــدد الثـــانى ، ديسمبر ١٩٩٤ ، ص.ص :(٨٤-٨٨).

نحو استراتيجية قومية للتنمية من منظور بيئى كمعيار للتنمية المتواصلـــة ، معهد التخطيط القومى ، مذكرة داخلية ، ذ٩٨٨ .

(٥)- طلعت السروجى وآخرون ، مرجع سبق ذكره ،

(٦)- المرجع السابق .

(7)- Mishon El., Berfit cost Of Economic Growth, London, Greacger, 1974

(٨)- محمد عبد الفتاح القصاص : الإنسان والبيئة والتنمية ، المؤتمر القومى الثانى للدراسات والبحوث البيئية ، القاهرة ، ١٩٩٠، ص (١٠١) .

(٩)- مصطفى عوض وآخرون : الشباب والتنمية المتواصلة ، القاهرة ، ١٩٩٧ ، ص.ص : (١٦٠-١٦٥) .

(١٠)- أنظر بالتفصيل :

- طلعت السروجى وآخرون ، مرجع سبق ذكره .

(11)- Word Bank, World Bank and The Environment, Washington, The World Bank Report, 1990.

(١٢)- أحمد مدحت أسلام ، التلوث مشكلة العصر ، عالم المعرفة ، الكويت، العدد ١٥٢ أغسطس ١٩٩٠ .

(١٣)- الاقتصاد والمجتمع فى العالم الثالث ، ترجمة وتعليق محمد الجوهرى وآخرين ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ١٩٨٩ .

(١٤)- السيد عبد العاطى ، الإنسان والبيئة ،الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨١ .

(١٥)- برنامج الأمم المتحدة الإنمائى ، تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٠.

(١٦)- برنامج الأمم المتحدة للبيئة ، حاجات الإنسان الأساسية فى الوطن العربى ، الجوانب البيئية والتكنولوجيا والسياسات ، ترجمة عبد

السلام رضوان عالم المعرفة ، الكويت ، العدد ١٥٠ ، يونيو ١٩٩٠.

(١٧)- تيودور كابلو ، البحث الاجتماعى الأسس النظرية والخبرات الميدانية، ترجمة محمد الجوهرى ، الإسكندرية ، دار المعرة الجامعية ، ١٩٩٣ .

(١٨)- جامعة الدول العربية أداء العمل الاجتماعى ، معجم مصطلحات التنمية الاجتماعية والعلوم المتصلة بها ، ج١ ، ابريل ١٩٨٣ .

(١٩)- طلعت مصطفى السروجى ، الآثار الاجتماعية لاستخدام التكنولوجيا فى الميكنة الزراعية والصناعات الصغيرة فى الريف ، المؤتمر العلمى الثانى ، كلية الخدمة الاجتماعية ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٩ .

(٢٠)- فليب عطية ، أمراض الفطر والمشكلات الصحية فى العالم الثالث ، عالم المعرفة الكويت ، العدد ١٦١ ، مايو ١٩٩٢ .

(٢١)- محمد نجيب توفيق ، الخدمة الاجتماعية فى حماية البيئة من التلوث ، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٨٧ .

(٢٢)- وحيد عبد المجيد ، البيئة والإنسان فى عالم جديد ، السياسة الدولية ، مؤسسة الأهرام ، العدد ١١٠ ، القاهرة ، أكتوبر ١٩٩٢ .

(٢٣)- وزارة الحكم المحلى ، جهاز بناء وتنمية القرية المصرية ، برنامج التنمية المحلية للقرية المصرية ، ديسمبر ١٩٨٥ .

(٢٤)- محمد حامد عبد الله ، مرجع سبق ذكره .

(٢٥)- طلعت السروجى ، دور المجالس الشعبية المحلية فى مواجهة مشكلة تلوث المياه ، معهد بحوث ودراسات البيئة ، جامعة عين شمس ، ١٩٩٢ .

(26)- Al – Dabbagh, R.h., The Environmental effects of waste water Emanation from Sulfur Mining on water Resources, water-Science and technology, United Kingdom, V. 24,1991.

(27)- Allport, G.w., Pattern and Growth in Personality, N.y., holt, 1961 .

(28)- Baldock, d., Bennett, G., (eds.), Agriculture and the Polluter Pays Principle, Institute for European Environmental policy, United kingdom, London, 1991.

(29)- Bruton , Michael j., The Spirit and Purpose of Planning, London, Hartchinson, ltd., 1984.

(30)- Chambers, Dorald E., Social Policy and Social Programs, N.Y, Macmillan Publishing Co. 1986.

(31)- Connaway, Ronda S. and Gentry, Martha E. Social work Practice, New Jersey, prentice Hall, 1988.

(32)- Eitzen, o. Stanley and Zina, Maxire Baca, Social Problems, Boston, Allyn & Bacon, 1989.

(33)- Emara, H.I., and Others, The Effects of Sewage and Industrial Wastes on the Chemical Characteristics of the Eastern Harbour and El-mex Waters of Alexandria, Science-of-the total-Environment, Netherlands, v. 126,1992.

(34)- Falk, Nicholas, lee James, Planning the Social Services, London, Saxon Hose, 1978.

(35)- Garmire, Bernard l., local Government Police Management, N.Y., Municipal Management Series, 1982.

(36)- Gooby, Peter Taylor, Social Change, Social welfare and Social Science, N.Y., Harvester Wheatsheaf, 1991.

(37)- Gross, N., et al., Role Conflict and its Resolution, In B. Biddle, et. Al. (eds.) Role Theory, N.Y., Wiley, 1966.

(38)- Ivan, Nye and lois, w. woffman, The Employed Mother In America, Chicago, Rand Mcnally, 1963.

(39)- Julian, Joseph and Kornblum, William, Social Problems, N.Y., Prentice-hall, 1983.

(40)- Linton, R., Status and Roles, In Wilson and Kolb (eds.), Sociological Analysis, N.Y., Harcourt, 1949.

(41)- Meeraghan, Thomas M. and Washington, Robert O., Social Policy and Social Welfare Structure and Application, London , N.Y., the Freepress A Division of Macmillan Pub-lising Co., I.n.c., 1980.

(42)- Migliore, R. Henry, Strategic Planning and Management, N.Y., Nichols GP Publishing 1990

(43)- Minnery, Iohn R., Conflict Management, In Urban Planning, England, Gower Publising Company Limited, 1986.

(44)- Muskat, I., and Others, Unsaturated Zone and Ground-water Contamination by Organic Pollutants in Sewage-Effluent-Irrigated Site, Ground water, USA, V. 31,1993.

(45)- Parsons, Talcot, The Social System, The Free Press, Glencoe, Iuinoin, 1951.

(46)- Scarpitt, Frank R. and Anderson, Margaret L., Social Problems, N.y., Harper & low, Publishers, 1989.

(47) - Siprin, Max, Introduction to Social Work Practice, N.Y., Macmillan Publishing, Co., Inc., 1976.

(48)- Stimsion, John and Others, Social Problems Definition, Impact And Solution, N.y., Johen Wiley & Sons, 1985.

(49)- Tsuda, T., and Others, Pesticides in water and Fish from Rivers Are Flowing Into Lake Biwa, Chemosphere, United King-dom., V. 24,1992.

(50)- Vesilind P. Arne and Pierce, J. Jeffrey, Environmental Pollution and Control, N.Y., An Arbo, 1983.

(51)- Walker Colin, Environmental Pollution by Chemical, London, Hutchinson Educational ltd., 1971.

الفصل الثالث

نظريات السكان

إعداد
دكتور/ مصطفى رضا أحمد

محتويات الفصل

- أولا: مقدمة .
- ثانياً: المنظور التاريخي لنظريات السكان.
- ثالثاً: تصنيف نظريات السكان
- رابعاً: عرض نظريات السكان
- خامساً: تعقيب على النظريات

أولاً: مقدمة

أن ركائز أى علم من العلوم تنهض على الأسس التالية : العالميــــة، الاستمرارية ، والضرورة ، ولكى يحقق هذا العلم العناصر الثلاث لابــد وأن تتوافر له نظريات ونماذج علمية، تحمل قدرا كبيرا من العمومية والتجريــد، والمقدرة على التنبؤ بالمستقبل. (١-ص:١)

كذلك فإن المحك الرئيسي للنظرية يكون فى اتفاق عام على الوحدات الجزئية لهذا العلم والأسلوب العقلى فى تفسيرها.

لهذا نجد أن هناك علوم استقرت على مدى التاريخ بينمـــا اندثــرت أخرى، تبعا لدرجة صياغة النظريات العلمية عن طريق المنهج العلمي، فــى هذه العلوم.

وتأسيسا على ما تقدم صاحب علم السكان محاولات متتابعـــة لقيــام نظريات تفسر الظاهرة السكانية ولقضايا النظرية المرتبطة بها، ولعله مـــن الجدير بالذكر أن كثيرا من هذه النظريات ارتبطت – خاصة فى بدايات قيــام علم السكان – بآراء أصحابها فى ماهية علم السكان وماهية موضوعاته ثــم أسلوب البحث العلمى فى تفسير قضاياه، خاصة وإنها لم تكن قاصرة علـــى تخصص واحد، ثم تراكمت هذه النظريات على مدار حقبة طويلة اختلطـــت فيها المداخل الرئيسية فى تفسير ظاهرة السكان بالنظريات والنماذج النظريـــة التى صيغت داخل هذه النظريات، كذلك ظهرت المحاولات النظريـــة حــول ماهية الظواهر السكانية مما أدى لتأخر استقرار هذه النظريات حتـــى فــترة قريبة.

أيضا أدى تباين الآراء – بل وتعارضها فى بعض الأحيان – بين مؤرخى هذه النظريات إلى مزيد من التعقد فى التوصل لنظرية جامعة تفسر الظواهر السكانية، خاصة فى ظل الاختلاف الوارد بين هؤلاء العلماء حول تصنيف هذه النظريات ، وتحليلها، ونقد كل منها، حيث نجد أن البعض يصنفها بالنظريات الطبيعية، والاجتماعية، والبيولوجية .. الخ أو يصنفها البعض الآخر بالنظريات المحافظة والراديكالية، أو تصنيف ثالث بأنها : نظريات التحول السكاني ، أو الارتقاء الاجتماعى، أو زيادة الرخاء، أو النظريات الاقتصادية ... الخ وهى تقسيمات فيها العديد من اوجه التداخل أو التكرار، بالإضافة لزيادة التعقد الناتج عن حجم هذه الكتابات النظرية.

مما سبق نجد أن هذه المحاولة المتواضعة لشرح وتوضيح نظريات السكان سوف تركز على توضيح المحاور الرئيسية لهذه النظريات باختصار دون محاولة للدخول فى تفاصيلها التى ركزت عليها العديد من كتابات علم الاجتماع مع تجنب أوجه التكرار أو المصطلحات المعقدة أو الغامضة، وذلك وصولاً لرؤية واضحة للنظرية فى علم السكان وذلك من خلال استعراض بعض النقاط الهامة فى هذا الفصل وهي:

تحديد ماهية النظرية ، أهميتها ، التطور التاريخي لنظريات السكان، تصنيف نظريات السكان ، استعراض أهم هذه النظريات ، تعقيب على هذه النظريات ، الاستفادة منها فى الخدمة الاجتماعية، مع اقتراح مدخل لنظرية سكانية تلائم دول العالم النامي.

ومن الجدير بالذكر أن مهنة الخدمة الاجتماعية نمت فى ظل الاستعانة والاستفادة من كل النظريات فى العلوم الإنسانية المرتبطة بها،

وأيضا من خلال التجارب الأمبريقية ، سعيا وراء زيادة فاعليتها فى معالجة المشكلات وإشباع الاحتياجات بدرجة أكبر، خاصة فى ظل العديد من التغيرات والتحولات المجتمعية – بالأخص فى الآونة الأخيرة – لهذا كان لزاماً علينا الاستفادة من كل نظريات السكان، حيث تعد القضايا السكانية من أبرز مجالات المهنة، مما يتطلب معه وقفة تنظيرية تفيد الممارسة المهنية، حيث أن الفهم النظرى لهذه النظريات سيؤثر بلا شك على عمق الممارسة المهنية، وبدونه لا يمكن للأخصائي الاجتماعى أن يتعامل مع المشكلات المرتبطة بقضايا السكان بفاعلية، خاصة فى الواقع المصرى.

أيضا ..

فإنه من الضرورى الإشارة إلى فضل كل العلماء الذين أسهموا فى هذا المجال ذلك لأن العلم " تراكمي " بالدرجة الأولي ، ولولا هذه الإسهامات النظرية لما أمكن تفسير أو فهم الواقع السكانى، لذا فإنه رغما عن النقد الذى وجه إلى كل النظريات تقريبا، ألا أن الجهد الذى بذل فيها يدعو لضرورة دراسته وفهمه وتطويعه مستعينين بالأسلوب العلمى وفى ضوء منهج دقيق يوضح علاقتها بالتطبيق عند التعامل مع المتغيرات الأمبريقية مع مراعاة المهارة، والمرونة، والدقة الفنية والخبرات السابقة.

ثالثا: المنظور التاريخي لنظريات السكان :

يعتبر علم السكان من أقدم فروع علم الاجتماع، بل أن هذا العلم يرتبط بالعديد من التخصصات العلمية الأخرى مثل الأنثربولوجيا ، والاقتصاد ، والطب ، والإحصاء ، والديموجرافيا ، وغيرها ..

لهذا فإن إسهامات العلماء لم تنقطع منذ فجـــر التـــاريخ ، حتـــى أن الكتابات التى تناولت موضوع السكان ، وأحوالهم ، ونموهـــم ، والمواليـد والوفيات وأحوال البلدان والأمصار ، بدأت منذ أيام الفراعنة فنجد أن التراث الفرعونى (٢ : ص ص ٤٧-٥٠) شهد تقدما فى الفكر الاجتمـاعى بسـبب الاستقرار الحضارى والنمو والتقدم فى كافة مجالات العلم، كذلك فلقد عـرف الفراعنة نظام الأسر ، ونظام الطبقات ، ولهذا نجد أن أغلب الكتابات التـــى ذكرت فى عهد الفراعنة تشير إلى الاعتقاد بأن زيادة السكان تعنـــى الخـير والبركة، وأنها من أهم عوامل التقدم والنمو، كذلك أشارت البرديات إلـــى أن التناسل واجب مقدس (٣: ص ٥٩) وأن هذا يعنى القوة والقدرة على النمو.

كذلك نجد أن تعاليم " كنفوشس " فى الصين ، و " زوروستر " فـــى بلاد الفرس تعتبر الزيادة السكانية خير، ألا أن تعاليم " كنفوشيس " وكتابـات تلاميذه من بعده عبرت عن فكرة " الحد الأمثل للسكان " حيث أكد علـــى أن لكل مجتمع زراعى عدد من السكان يتناسب مع قوة المجتمع الإنتاجية ويجب ألا يتعدى هذا العدد الحد الأمثل حتى لا يؤدى للفقر ، أو يقـل عنــه فيقـل الإنتاج للغذاء فتحدث النتيجة نفسها. (٢ : ص ٤٧) .

* **وفى حضارة الأغريق** : رغم أن اليونانيين شجعوا التناسل إلا أنهم أحيوا الذرية القوية، وغالبا ما كانوا يتخلصون مـــن الأطفـال الضعفـاء وأشـار أفلاطون فى مؤلفاته (الجمهورية والقوانين) أنه علـــى الحكـام أن يسـنوا القوانين التى تساعد على تثبيت عدد سكان المدينة عند الحد الأمثـل تحقيقـا لرفاهية السكان، وذلك من خلال تنظيم عقود الزواج (٤ـ ص : ٦٩).

كما أشار لنفس الفكرة، ونتأمل توزيع السكان عى قطاعات المدينة ــ والحد الأمثل لنمو السكان، وكيف يمكن توزيع السكان على وحدات المجتمع، وكذلك على المهن والحرف وتقسيمها لمهن طبيعية وغير طبيعية مثل التجارة والصناعة والرعى ... الخ.

وأيضا أوضح كل من أفلاطون وأرسطو العدد الأمثل لسكان المدينــة بالرقم ٥٠٤٠ لأنه رقم يقبل القسمة على أرقام كثيرة مما يساعد على توزيــع السكان على وحدات المجتمع، وكذلك توزيعهم على المهن وعلى الدفاع عــن المدينة وقت الحرب ، وقد يرجع ذلك لأن الإغريق بحثوا مســألة السـكان بالنسبة " لدولة المدينة ".

إذ كانت المدينة عندهم وحدة سياسية كاملة تكفــى نفســها، وكــانوا يرفضون اندماجها مع غيرها لتكوين وحدة أكبر (٣ــ ص٦٠) ، حيث أنــهم لم يعرفوا إلا شكلا واحدا للدولة، ، وهو مساحة من الأرض تقع فى مراكزها مدينة محصنة، يعيش فيها جميع السكان، ويجدون فيها متســعا لإقامتــهم أو الاحتماء بها فى حالة هجوم العدو أو الحروب.

مما سبق فإن فكرة العدد الأنسب للسكان ظهرت منذ القدم من خــلال فكر الإغريق ، رغم تشجيعهم على النسل ، إلا أننا نجد فكر أفلاطون مختلفا مع أرسطو فى أن آراء أرسطو كانت أكثر واقعية ، فلقد عـــالج الوحــدات المورفولوجية ، ومنها الأسرة والقرية والمدينة ، كما تناول مهن السكان ،كما ركز على النمو السكاني وحذر من النمو الغير مناسب لبعض الطبقــات لأن ذلك قد يؤدى للثورة (خاصة طبقة الفقراء) إذ يجــب أن تتناســب طبقــات المجتمع فى النمو ، ويجب ألا يزيد العدد عن الحد الأعلى، وألا يقل عن الحد

الأدنى، وهنا أجاز الأخذ بأسلوب الإجهاض إذا كثر النسل ، رغم أنه ركــز فى ذلك على طبقة المحكومين (٢ : ص ص ٤٧-٥٠) ، كذلك أجاز زيــادة النسل فى حالة الضرورة مثل قيام الحروب أو التوسع الاستعمارى للحاجـــة إلى الجنود والأيدي العاملة ، وذلك طبقا لما يتراءى للحكام.

* **وفى الحضارة الرومانية** : نجد أنهم شجعوا كثرة النسل، وقد يرجع ذلـك لكثرة حروبهم وفتوحاتهم وتوسع الإمبراطورية الرومانية ، واكتساحها للعديد من بلدان العالم، مما تطلب معه الاحتياج للشباب الأقوياء، كذلك لتدعيم قـوة الأمبراطورية ، حيث أن فكرة القوة ترتبط عندهم بعدد السكان الأقوياء لذلـك نجد كتابات " شيشرون " تحبذ فكرة زيادة النسل ، مع الأخذ بفكرة التخلــص من الأطفال الضعفاء ، بقصد تدعيم دعائم الإمبراطورية (٢: ص٤٩) ومــن تلك الآراء يتضح أن كثرة النسل كانت فكرة محمودة عند الرومان بل أنـــهم كانوا يضعون القوانين التى تشجع على كثرة الأنسال (٣:ص٦٠)

مما سبق نجد أن الحضارات التى ظهرت فى العصور القديمة عرفت فكرة الحد الأمثل أو الحجم الأمثل للسكان إلا أنها اختلفـــت مــن حضـــارة لأخرى طبقا لطبيعة كل مجتمع وأهداف طبقة الحكام ، وطبيعة البلد نفسه لذا نجد فكرة التناسب ما بين مساحة الأرض وعدد السكان فى الصين ، وفكـــرة كثرة النسل عند الرومان ، أو إقامة حكومة دستورية وتقســيم العمــل عنــد الإغريق ، إلا أن كل هذه الآراء لم تدرس الظاهرة السكانية بشـــكل دقيــق للوصول لهذا الحجم الأمثل ، ولم تضع نظريات واضحة لهذا الغرض.

* **وفى العصور الوسطى** نجد أن للعرب باعا طويلا فى مجال السكان حيث نجد العلماء العرب كانوا سباقين فى وضع آرائـــهم مــن خـــلال مؤلفاتـــهم

ودراستهم وعلى رأسهم أبن خلدون مؤسس علم الاجتماع والذى سبق العديد من العلماء الأوروبيين ، رغم أن المسألة السكانية شغلت حيزاً كبيراً فى الفكر الاجتماعى فى الشرق والغرب (٢: ص٥٠).

ولقد تناول أبن خلدون تزايد السكان فى ضوء أثره على كل الأنشطة وخاصة العمران وتحقيق الوفرة الإنتاجية ، ومع ذلك فلقد أكد على خطورة التزايد غير المنضبط للسكان حيث أن الزيادة المستمرة فى نسبة السكان ، بالقدر الذى لا يعادله تناسب فى إنتاج الغذاء يؤدى إلى الفقر والمجاعة.

كذلك أشار أبن خلدون إلى العلاقة ما بين الظاهرة الديموجرافية والظاهرة الاقتصادية ، وأيضا تأثر خصائص السكان وطباعهم وثقافتهم بالإقليم الذى يعيشون فيه ، مثل سكان المناطق الباردة أو الحارة أو الصحراء أو الوادى الخصيب أو السهول .. أى تأثير البيئة الطبيعية (الجغرافية) وعواملها المختلفة على السكان.

كذلك أشار أبن خلدون إلى المراحل التطورية للمجتمعات طبقاً لعدد المواليد والوفيات ، وتأثير كل مرحلة على تطور المجتمع، باعتبار أن الخصوبة العالية فى بداية مراحل المجتمع تعتبر أمراً مطلوباً ثم مرحلة التوازن ما بين الموارد وعدد السكان ثم المرحلة الأخيرة وهى زيادة السكان عن الموارد مما قد يعرض الأقاليم للاضطرابات والمجاعات والحروب والثورة (٤: ص٧٢).

والواقع أن كتابات وأفكار أبن خلدون قد قامت على دراسة للعديد من المؤلفات والآراء للعلماء الذين سبقوه مثل كتابات العالم الرحالة العربى (بن خردازية) فى القرن التاسع الميلادى وكتابات عن حوقل الذى أشار لفكرة

تأثر السكان بالظواهر الطبيعية للأقاليم وأيضا قسم الأقاليم إلى مناطق شمالية ، شرقية ، غربية ، جنوبية .. وكذا كتابات " ياقوت المحمدى" فى كتاب " معجم البلدان" والتى ذكر فيها الحقائق السكانية عن البلاد التى زارها (٥: ص١٢) .

وتبع أبن خلدون مجموعة من العلماء أمثال " الفارابى " والذى أشار لمجموعة من الظواهر السكانية فى كتابه (آراء أهل المدينة الفاضلة) وكذلك " أبن مسعود " فى كتابه (مروج الذهب) و " أبن خلكان " فى كتابه (وفيات الأعيان) و " الجبرتى " فى كتابه (عجائب الآثار فى التراجم والأخبار) والطبري فى كتابه (تاريخ الأمم والملوك).

إلا أنه من الملاحظ أن كل هذه الجهود لم تقدم نظرية فى السكان وإنما عبرت عن :- (٤: ص ٧٣) .

أ- وصف أحوال الأمصار والأقاليم وأحوال السكان والظروف السكانية والاجتماعية والجغرافية والاقتصادية وتقسيم الأقاليم ومراحل نمو المجتمعات التطورية.

ب- العلاقة بين السكان والمساحة والموارد خاصة الغذاء مما ممثل الأساس لنظريات السكان فيما بعد.

حـ- أهداف الدول والقيم المرغوبة فى وقت معين وعلاقتها بالسكان.

د- الفكر السكانى لم يكن مقصوداً فى ذاته وإنما كان داخل دراسة العلماء للمدينة الفاضلة ، مما يمثل جزء من انطباعاتهم.

هـ الفكر السكانى فى هذه الحقبة لم يعتمد على البيانات السكانية التى تستند إلى دراسات إحصائية أو المؤشرات والملاحظات الإمبريقية.

* **وفى منتصف القرن السادس عشر** شهد المجتمع الأوروبي العديد من النظريات ذات الصيغة الوقائية ، وأغلب النظريات اتسمت بالتفاؤل مما جعلهم يدعوا لتشجيع زيادة النسل ، رغم وجود وجهات نظر معارضة إلا أن السمة الغالبة كانت تشجيع زيادة النسل. (٢: ص٥٠) .

وفى القرن الثامن عشر بدء الاهتمام بدراسة السكان وذلك لوجود عدة عوامل هامة وهى:- (٤: ص ٧٤) .

١) الزيادة المستمرة للسكان فى العالم.

٢) النمو الصناعى وبداية الثورة الصناعية وتطور الآلات.

٣) نمو وتقدم البحث العلمى الاجتماعى والاقتصادى وكذا تطور علم الإحصاء.

٤) تقدم علم البيولوجيا وظهور القوانين فيه.

٥) تزايد المحاولات الجادة من العلماء فى الدراسة لظاهرة السكان.

٦) ظهور مؤلفات روبرت مالتس فى السكان مما شجع على مزيد من الدراسات.

كذلك أكدت وجهة نظر أخرى على العوامل الآتية :- (٢: ص ٥٤)

١-تقدم الدراسات البيولوجية الحيوية والدراسات الأنثروبولوجية المتعلقة بالسلالات البشرية.

٢-ارتقاء الدراسات الإحصائية والانتفاع بها فى الدراسات السكانية.

٣-تصميم الانتفاع بطرق البحث العلمى المنهجى والإفادة به فى الدراسات السكانية و الأيكولوجية ، والعمرانية.

٤-النمو الصناعى المطرد وتأثيره على مجالات العمل خاصة فى الصناعة والتجارة والتسويق مع تزايد الدول المنتجة وعنايتها بأمور وأحوال الدول المستهلكة.

٥-تطور الوعى السكانى فى المجال الدولى سعيا وراء الرفاهية وزيادة الخدمات لسكانها، فأنشأت الدول أجهزة متخصصة للقيام بالدراسات السكانية ووضع سياسات تخطيطية وبرامج للإصلاح الاجتماعى.

٦-نمو المنهج التكاملى فى الدراسات الإنسانية واتصال العلوم بعضها بالبعض الآخر للإفادة بنتائجها فى النواحى التطبيقية الإصلاحية.

٧-التقدم الملحوظ الذى أصابته البحوث والدراسات الأيوجنية **Eugenics** والتى تعنى الاهتمام بتحسين نوعية السكان والسلالة البشرية بوجه عام.

الاتجاهات النظرية فى العصور الحديثة:-

شهد الفكر الإنسانى تقدما علميا على يد العلماء الأوروبيين ، والذى أمتاز عن سابقيه من العصور بمعالجة المسألة السكانية فى ضوء الدراسة العلمية والمعطيات الإحصائية والقوانين الطبيعية، مما جعل نظرياتهم تمثل تحولا فى الدراسات السكانية والاتجاه بها نحو الدراسة العلمية.

وبدأت هذه المحاولات النظرية بآراء أو فكر " التجاريين " الذين كانوا يشجعون كثرة النسل ، وذلك لأن حركة الاستعمار نشطت فى العديد من الدول الأوروبية ــ مثل إنجلترا ، البرتغال ، أسبانيا ، فرنسا، ألمانيا ــ مما استدعى تجهيز الجيوش بأعداد كبيرة من الشباب ، وتسابقت أغلب هذه الدول فى فرض سيطرتها على أكبر مساحة ممكنة من العالم قبل الدول الأخرى. كذلك واكب حركة الاستعمار بداية عهد التصنيع وإنشاء المشروعات الكبرى الجديدة التى احتاجت لأيدى عاملة رخيصة، مما ساعد على ظهور العديد من القوانين التى تشجع الفقراء على زيادة النسل (٣:ص٦٢) مثل إعفاء المتزوج الذى يعول أكثر من عشرة أبناء من الضرائب كلية، كذلك أن تؤل ثروة الرجل الأعزب للدولة أن لم يكن له أخوة يرثونه، وأيضا عدم شغل الوظائف فى الدولة إلا للمتزوجين ... كذلك ظهر القانون " البروسي" الذى جعل الزواج إجباريا قبل سن الخامسة والعشرين ، كما شجع على زيادة النسل عن طريق تخفيف قيود الإنجاب غير الشرعي ، وإنشاء دور لللقطاء وإلغاء العقوبات التى كانت توقع من قبل الكنيسة على الأمهات غير المتزوجات بل وفرض عقوبة على كل من يتعرض لهن.

كذلك ظهر قانون الفقر فى إنجلترا والذى شجع الفقراء على الحصول على المساعدة بدون عمل مما أدى لزيادة تناسلهم لأن من يعول أكثر يحصل على مساعدة أكبر ، وهذه الزيادة تمول من الضرائب التى تفرضها الدولة على القادرين.

وأكثر ما يميز هذه الفترة هى روح التفاؤل الذى عم فى هذا العصر خاصة فى كتابات " المركيز دى كوندرسيه" عالم الاجتماع الفرنسي والفيلسوف الإنجليزي " وليم جدوين " والتى ظهرت أفكارهما فى وقت واحد تقريباً، فالأول يرى أن الظواهر الطبيعية كفيلة بالوصول بالإنسان إلى الكمال وأن العدد الأمثل للسكان تحدده الطبيعة، وكانت نظرته متفائلة حيث أكد أن الأرض سيزيد إنتاجها باستمرار، وأن الغذاء سيكثر ، وأن قدرات الإنسان ستصل للكمال . أما الثانى فتنبأ بعصر ذهبى سوف يصل فيه الإنسان للكمال، وأنه بالتربية السلمية ودعم القيم الإيجابية والمحبة والعدالة الاجتماعية والسياسية سيحدث التوازن ما بين السكان والغذاء ، ولن تكون هناك جريمة أو بؤس وأن الكل سيجد رزقه ويعمل ، ومن لا يقدر على العمل ستدعمه الدولة.

والواقع أن هذه الآراء المتفائلة انتشرت فى عهد زادت فيه الجريمة والحرمان والبؤس الشديد لغالبية أفراد الشعب ، وبالتالى ظهرت هذه الآراء المتفائلة لتعطى الأمل للفقراء والمحرومين وتحيي آمالهم فى الحياة. (٣:ص٦٥).

وفى نهاية هذا القرن بدأ ظهور الآراء المعارضة لفكرة زيادة السكان خاصة على يد العالم " روبرت مالتس" الذى هاجم قانون الفقر الذى وضع

فى إنجلترا عام ١٦٠١ وهاجم فكرة زيادة النسل واتسمت آراءه بالتشاؤم الشديد من زيادة السكان والتنبؤ بحدوث القحط والبؤس وانتشار الفقر لو ظلت نسبة زيادة السكان على نفس المعدلات دونما أن يقابلها زيادة فى الموارد الغذائية بنفس المعدل (وسيرو لاحقا تفاصيل نظريته) كذلك ظهرت " حركة الطبيعيين " وهى حركة مناهضة تماما لفكر " التجاريين" .

وتوالت الإسهامات النظرية بعد مالتس حيث ظهرت كتابات العالم البلجيكي " كتيله Quetelet " والذى وضع تصور عن معالجة المسألة السكانية بالطرق الإحصائية وحاول وضع قوانين عددية وكمية لظاهرة النمو السكانى . (٢: ص٥٣).

كذلك ظهرت آراء تحذر من خطر الزيادة السكانية غير المنضبطة مثل كتابات " فرانكلين " فى الولايات المتحدة عام ١٧٥١ ، وكتابات " ديفيد هيوم" فى إنجلترا عام ١٧٥٢، والتى أكدت على أن زيادة السكان وزيادة كثافتهم فى أمريكا وأوروبا أصبحت أكثر منها فى أى زمن آخر. (٣:ص٦٤).

كذلك أكد الطبيعيون وعلى رأسهم مالتس فكرة الاهتمام بالحد من الزيادة السكانية وذلك لتخفيف حدة الفقر والبؤس الذى كان يعانى منه عامة الشعب وأولوا الزراعة اهتمامهم الأكبر أكثر من الاهتمام بالتجارة أو الصناعة باعتبار أنها مصدر الغذاء حيث عبر أغلب أفكارهم حول المواءمة ما بين السكان والغذاء وانتقلوا من الاهتمام " بمبدأ القوة " إلى الاهتمام بمبدأ " قوت الشعب" (٣: ص٦٢) .ل

ورغم أن حركة الطبيعيين كانت تحبذ تحديد النسل والاتجاه للتقليل من الغرائز والتحكم فيها حتى ما بين المتزوجين ، وتشجيع الإجهاض فى بعض الحالات للحد من النسل ، إلا أنهم أيدوا الزيادة السكانية لو كانت فى حدود معينة تمثل التوازن بين العدد والغذاء، وبشرط ألا تؤدى للبؤس وكانت أغلب آرائهم تحث على زيادة غلة الأرض قبل زيادة السكان.

وكانت آراء الطبيعيون غريبة على روح العصر الذى عاشوا فيه والذى عن فيه التفاؤل ــ كما سبق ذكره ــ إلا أن آرائهم أخذت المزيد من الاهتمام فى العصور التالية وكانت اللبنة الأولى لنظريات السكان حيث نجد اتفاق آراء " سنتى" و " مرسيه " فى فرنسا و " أدم سميث" فى إنجلترا ، من حيث تناول السكان " كظاهرة " وحاولوا دراستها دراسة موضوعية واستخدموا دراسات وصفية تحليلية أحدثت تحولا فى نظريات السكان.

ومن أمثال هذه النظريات نظرية " كيناى" عن السكان فى فرنسا (١٦٥٠-١٨٥٠) وتوصل لوجود علاقة طردية بين تخلخل السكان وقلة الإنتاج فالدولة التى يقل عدد سكانها بمقدار الثلث يقل إنتاجها بنفس المقدار (٢:ص٥٠).

كذلك ظهرت آراء مناهضة للمذهب الحر (الرأسمالى) ممن يعرفوا بأنصار التدخل من جانب الدولة، ومنهم العالم " سيسموندى" (١٧٧٣-١٨٤٢) حيث طالب بعلاج المسألة السكانية ،فى إطار وضع مبادئ اقتصادية جديدة لرفع المستويات الاجتماعية للسكان، ومن هنا بدأت النزعات الاشتراكية فى الظهور، حيث قامت على معارضة سياسة ترك الحبل على

الغارب للزيادة السكانية ، لمن سبقوه من العلماء وعدم اقتناعهم بأن النظـــام الطبيعي أو العوامل الطبيعية كفيلة بحل المسألة السكانية.

وفى بداية القرن العشرين فى الفترة ما بين ١٩٢٠-١٩٣٠ ظهر علم اجتماع السكان والذى اهتم بالدراسة العلمية للظواهر السكانية سواء المرتبطة ببناء السكان مثل الحجم الأمثل أو التكوين والتوزيع، أو ما له صلة بتغـــير السكان مثل عمليات النمو والتضخم أو الزيادة السكانية، وهو ما يعنى بعـــدم الاكتفاء بتحليل الظواهر وإنما تجاوزه إلى محاولة فـــهم طبيعـــة العلاقـــات وتفسيرها، وتفسير ظواهر السكان فى ضوء ظواهر أخرى لها علاقة قويـــة بها (٤: ص١٠٧) كذلك اهتم هذا العلم بتغير السكان مـــن حيـــث المواليـــد، الوفيات ، الخصوبة، الهجرة، وتحليل العوامل التى ترتبت علـــى معدلاتـــها وكيفية الاستفادة منها فى التنمية الشاملة، ودراسات التحضـــر والدراســـات الأيكولوجية ... وغيرها . (٤: ص١١٠).

رابعا: تصنيف نظريات السكان:

بعد ظهور علم اجتماع السكان ظهرت وجهتى نظر الأولى تقـول أن هناك نظرية للسكان، والثانية تقول أن المعطيات النظرية أو التراث النظـوى يفتقر للنظرية فى الوقت الحاضر .. (٤: ١١٣) .

والواقع أن الإطار النظرى والقضايا النظرية للسكان كثيرة ولا يوجد حتى الآن إطار منظم تجمع فيه كل القضايا النظرية فى صورة نسق نظـوى واحد، لذا فقد كان من المتوقع أن تنطوى الدراسات النظرية لنظريات السكان والكتابات الكثيرة عنها على محاولة لتصنيفِ هذه المجموعة الكبـــيرة مـــن القضايا النظرية، مع الأخذ فى الاعتبار أن هذه التصنيفات تستند كل محاولـة

منها إلى معيار يختلف عن المحاولة الأخرى فى تصنيف القضايا النظريـــة، وبالتالى فمن المتوقع ألا نجد اتفاقا حول تصنيـــف محـــدد مـــا بيـــن هـــذه المحاولات. (٦: ص٤١)

كذلك فإن معظم الكتابات التى تناولت نظرية السكان اتفقت فيما بينها على أن النظريات تقف عند حد معين ولا تتســم بالشــمول والعموميـــة أو التجريد لاختلاف واقع المجتمعات التى نشأت فيـــها واختـــلاف التوجـــهات الأيدولوجية والسياسية والظروف الاجتماعية والاقتصادية ... الخ .

لذلك نجد الكتابات تقف أغلبها عند حد وصـــف مكونـــات النظريـــة وتحديد شروطها وإبراز خصائصها وبعض وظائفها والنقد الموجه إليـــها . وحيث أن النظرية العلمية نسقا استنباطيا ينطوى على مجموعة من القضايـــا أو الفروض التى تمثل بعضها مكانة المقدمات ، وتمثل الأخرى وضع النتائج وهى نسق تشتمل على مفاهيم معممة وافتراضات وتعميمات ذات علاقـــة ، كما أنها إطار مكون من رموز وقواعد وتفسير جوهرى للظواهر.

لذا فالنظرية لابد أن تكون مفهوماتها محددة بدقة، وأن تتسق القضايا المكونة لها مع بعضها البعض، وأن تكون صياغتها فى شكل ملخص وســهل يساعد على اشتقاق القضايا النظرية بطريقة استنباطية ، كما يمكن إخضاعها للتحقق الإمبريقي ونجد لها تأييدا فى الواقع العملى (التطبيقي) وفـــى كـــل الحالات المشابهة فى أى وقت ، هذا بخلاف القدرة على التفســـير والتنبـــؤ للظواهر فى المستقبل والقابلية للتعديل (المرونة) والتطوير طبقا للمستجدات أو المتغيرات الجديدة.

وطبقا لما سبق :

فإننا نجد أن هناك صعوبة فى تصنيف النظريات على أساس الصلاحية والعمومية والقدرة على التطبيق، لأن أغلب النظريات كانت تمثل مجتمع معين فى وقت معين، ولفكر أيدولوجي محدد.

لذا نجد أنه من الأفضل الأخذ بالتصنيفات التى وردت على أساس المدخل (اجتماعى – اقتصادي – بيولوجي ... الخ) أو التخصص العام ، أو على أساس الاتجاه (محافظ – راديكالي) أو على أساس العوامل التى حاولت النظرية إبرازها مثل العوامل الثقافية، الاجتماعية، الاقتصادية، البيولوجية ... الخ.

من هذا المنطلق نجد أن تصنيف النظريات يأخذ مجموعة من المحاولات حيث نجد أن :- (٤: ص١١٥)

أ- المحاولة الأولي: تصنفها على أنها نظريات طبيعية وأخرى اجتماعية.

ب- المحاولة الثانية: تصنفها على أنها:-

- نظريات حاولت إبراز أهمية العوامل الاقتصادية.
- نظريات حاولت إبراز أهمية العوامل البيولوجية.
- نظريات حاولت إبراز أهمية العوامل الثقافية والاجتماعية.

ج- المحاولة الثالثة :تصنفها على أنها:-

- نظريات المدخل المحافظ (ويمثل الاتجاه الرأسمالى الحر).
- نظريات المدخل الراديكالي (ويمثل الاتجاه الاشتراكي).

وهذه التصنيفات روعى فيها أنه رغم الدراسات والبحوث الكثيرة جدا فى مجال دراسة السكان إلا أن نتائجها ما تزال جزئية، بل وتفتقر إلى القدرة على التفسير الشامل لأوضاع السكان فى كافة المجتمعات وفى أى وقت، كذلك فإن هذه النظريات تنتمى للعديد من التخصصات فى العلوم المختلفة فى المدخل المنهجي والأساليب والأدوات .. وبالتالى فإن من نتائج ذلك أنها ما تزال شبه نظرية، أو فى طور التكوين، حيث لا يوجد إطار مرجعى شامل يجمع شتات هذه الجهود تستند لمعايير مختلفة (٦: ص٤١).

لذا نرى أنه من الأفضل تصنيف النظريات طبقا للمداخل العلمية المتخصصة مع مراعاة عرضها طبقا للتسلسل الزمنى ما أمكن كالتالى:-

- المداخل النظرية الاقتصادية.
- المداخل النظرية الاجتماعية.
- المداخل النظرية الديموجرافية (مثل التحول السكانى ، الانتقال الديموجرافي).
- المداخل النظرية البيولوجية.
- المداخل النظرية الثقافية (الاجتماع والأنثربولوجيا)

وسيتم عرض هذه النظريات بالتفصيل كالآتى:

مع ملاحظة أن بعض هذه النظريات قد تداخلت فيـــها أكـثر مــن تخصص مثل محاولة علماء الاقتصاد تفسير ظواهر السـكان علـى أسـس الإصلاح الاجتماعى أى باستخدام علم الاجتماع والاقتصاد معـا أو علمـاء الاجتماع باستخدام علماء الاجتماع والاقتصـاد معـا، واسـتخدام علمـاء الفسيولوجيا المدخل الثقافى والبيولوجي معا ... الخ. لذا سيتم تصنيف هـذه النظريات بناءا على التخصص الرئيسي.

المداخل النظرية الاقتصادية:

١- نظرية مالتس Thomas Robert Malthus

ولد بإنجلترا ، ودرس الاقتصاد ، ويعد هو أول العلماء الذين تزعموا " حركة الطبيعيين " حيث ظهرت أفكاره فى الفترة التى اتسمت بشيوع فكـر أصحاب المذهب التجارى (جدوين ، كوندرسيه) ، والذين كانوا يعتـبرون الميزان التجارى الصالح حالة مرغوب فيها بالنسبة للشعب، وكانت آرائـهم متفائلة إلى أبعد الحدود، وأشاروا إلى ان قوة الشعب تتوقـف علـى مـدى الاكتفاء الذاتى من الناحية الاقتصادية وعلى عدد السكان . (٢: ص٥٧) .

ولقد نشرت آراء مالتس عن السكان عام ١٧٩٨، حيث هـاجم آراء " جدوين " الذي نظر للزيادة السكانية نظرة متفائلة ، وأكد أن التقدم التكنولوجي سيوفر فرص التقدم والرقى للناس والمجتمع رغم تزايد السكان، بشرط قيـام مؤسسات المجتمع بدورها على أكمل وجه.

ولقد أكد " مالتس " على ان هذه الأفكار خاطئـــة واتســمت نظرتــه للزيادة السكانية بالتشاؤم ، حيث أكد على أن المشكلة تكمن فى الناس وليــس فى النظم التى تسود المجتمع، حيث أن التوالد المتواصــل لا يتناســب مــع موارد الغذاء، وأشار إلى تجاوز الزيادة السكانية للحجم الأمثل سيؤدى لخطر ثلاثى وهو انتشار الجوع والمرض والحروب ولقد ارتكزت آراء " مــالتس " على :-

أ- أن الغذاء ضرورى لحياة الإنسان وأن الشهوة الجنسية بين الجنسين أيضا ضرورة ستبقي دوما على ما هى عليه، مما يعنى تزايد قدرة الإنسان علـــى الإنجاب والنسل بشكل أكبر وبمعدلات متضاعفة، مما يعنى أن قدرته علـــى النسل أكبر من قدرة الأرض على إنتاج الغذاء اللازم لحياة السكان حيــث أن قدرة الأرض تسير بمتوالية عددية بينما تسير قدرة الإنســان علــى النســل بمتوالية هندسية إذا لم يعقها عائق كالمثال : (٨: ص ٤٢)

قدرة الأرض ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ....

قدرة الإنسان ١، ٢، ٤، ٨، ١٦، ٣٢، ٦٤ ...

مما يعنى ان السكان سيتضاعف عددهم مرة كل ٢٥ سنة بينما يتزايد الإنتاج ووسائل العيش بمعدل بطئ، وهذا يعنى أنه لو تزايد السكان ٦٤ مــرة بالنسبة للحجم الأصلي فإن الغذاء سيزيد ٧ مرات فقط.

ب- لا يمكن الحصول على إنتاجية كبيرة للأرض ما لم يكن هنـــاك نظـــام للملكية الخاصة، والتى تشجع على امتلاك مساحات كبيرة من الأرض، تــدار بواسطة مالك واحد ، أى أن الإشراف على الأرض يقع تحت إدارة واحـــدة

مما يعنى الحرص على زيادة الإنتاجية لتحقيق أعلى ربحية، حيث أنه من الطبيعي أن يسعى مالك الأرض لإجبار العمال على العمل والتغلب على الكسل الطبيعي لهم أكثر مما لو كانت ملكية الأرض ملكية عامة، مما يزيد من الاستثمار لها.

حـ- رفض فكرة " قانون الفقر" ومهاجمته بشدة حيث كانت تلك القوانين توفر إعانة للفقراء، وتوفر لهم الموارد الغذائية والسلع (كالكساء) كمساعدة من الأغنياء والفقراء، وخاصة الأسر الفقيرة التى تعول عدد كبير من الأطفال، والمسنين ، والمرضى، والعجزة، وبالتالى فإن هذا يعنى من الوجهة الاقتصادية تشجيع السكان على الكسل وزيادة النسل، وأيضا زيادة التكاليف المقررة على إنتاج الغذاء مما قد يؤثر على زيادة الكميات المنتجة منه.

د- أشار مالتس إلى إمكانية حدوث بعض الظروف الاستثنائية التى تعمل على تقليل الزيادة السكانية أو تعمل كموانع طبيعية للزيادة السكانية مثل الأوبئة، الحروب ، الكوارث، وسماها " بالموانع الإيجابية" وكذلك توجد مجموعة من "الموانع الوقائية " (التحفظية) مثل تأخير الزواج ، أو كبح الرغبة الجنسية (أثناء الزواج) أو الإقلال منها ما أمكن ــ العفة ــ وتشجيع تحديد النسل، والإجهاض فى حالات الضرورة ، ويمثل هذان العاملان الأسباب الحقيقية لتحقيق معدلات بطيئة للزيادة السكانية.

هـ- ويؤكد البعض (٣:ص ص ٧٢-٧٤) على فكرة " العوائق" التى أثارها " مالتس " فى كتاباته (المقال الأول والثاني) استنبطت من ظروف المجتمع وحالة الفقر والبؤس الذى عم الشعب، وأن هذه العوائق تهدف للتغلب على حالة الفقر والدعوة للإصلاح الاجتماعى لهذا فقد صنفها كالآتى:-

١-**العوائق الإيجابية** : مثل تقلبات الطبيعة والمرض المؤدى للموت والحرف الضارة أو الأعمال القاسية والتى تؤدى إلى زيادة الوفيات، وكذلك تشغيل النساء والأطفال فى ظروف لا إنسانية ، والازدحام وغيرها من عوامل البؤس التى تقصر الحياة البشرية وتزيد معدل الوفيات .

٢-**العوائق المانعة** : وهى العوامل المسئولة عن تقليل معدل المواليد وقسمها إلى:-

- **الرذيلة** : كالاختلاط الجنسى الفوضوى، الميول الجنسية غير الطبيعية، وانتهاك حرمة الزوجين، والعلاقات غير المشروعة بين الذكر والأنثى (خاصة الشباب) ، مما يعنى عدم الزواج وتقليل معدل النسل، أو التخلص من المواليد غير الشرعية أو الحمل غير الشرعي . (٣: ص ص ٧٢-٧٤)
- **الضبط الأخلاقي:** مثل الامتناع عن الزواج، أو تقليل المعاشرة الجنسية بين المتزوجين، وتحديد النسل فى حالة الفقر. والضبط ليس رذيلة من وجهة نظر مالتس وإنما يؤدى لتقليل معدلات المواليد مما يحفظ عدد السكان فى الحدود المناسبة.

و- أكد " مالتس " أن عدد السكان يتحدد بوسائل المعيشة " القوت" فى ضوء الحقيقة أن عدد السكان يزيد بمعدلات أكبر من وسائل المعيشة، كذلك فإن الموانع أو العوائق هى التى تضبط قوة السكان العظمى وتجعل آثارها فى مستوى وسائل القوت. (٧: ص٢٥).

النقد الموجه للنظرية:-

١-إذا قبلت فكرة زيادة السكان بمتوالية هندسية فليس ثمة دليل واضح على أن الغذاء يزيد بمتوالية عددية، حيث أن إنتاجية الأرض يمكن زيادتها باستخدام تكنولوجيا أفضل، أو تقاوى محسنة ، أو استخدام أسمدة، أو باستصلاح الأراضي (أو التوسع الرأسي والأفقى فى الأرض) وهى أبعاد غابت عن " مالتس" ولم يتناولها فى نظريته.

٢-أنه من الصعب التوفيق بين آراء" مالتس" والتعاليم الدينية، ولقد أتهم فى بعض الأحيان بانه ضد الدين، رغم أنه هو نفسه رجل دين فى الأساس، ذلك لأنه من الصعب الإقرار بمبدأ الإجهاض أو تحديد النسل، أو الامتناع عن الزواج ، أو الرذيلة .. خاصة بين الفقراء، حيث حمنهم المسئولية عن حالة الشقاء والبؤس التى يعيشون فيها كنتيجة لعدم تبصرهم والإكثار من النسل، واعتبر ذلك أساس كل الأمراض الاجتماعية فى المجتمع.

٣-لم يضع " مالتس" فى اعتباره الاختلافات والفوارق بين ما أسماه "بالشهوة الجنسية "بين الرجل والمرأة ، ووجود ميول ورغبات شتى من شأنها أن تقلل هذه الرغبة أو إعلاءها، خاصة فى حالة العمل لمدة طويلة، أو العمل الذى يتطلب مجهودا ذهنيا كبيرا ، أو الانشغال بالوظيفة، بمعنى أن النمو الثقافي قد يؤدى لتقليل الرغبات الجنسية، والتباعد بين فترات الاتصال الجنسي وبالتالى احتمال تقليل النسل ــ رغم التسليم بأن الشهوة ستظل على حالتها دائما ولن تنتهى كما ذكر "

مالتس" ـــ ، أى أنه أغفل العامل الاجتماعى والثقافى وزيادة طموحـــات الفرد مما قد يشغله عن الشهوة والتناسل.

٤-قوبلت فكرة المتوالية الهندسية والعددية بنقد شديد خاصة وأنه ثبت خطـأ ذلك فى التعدادات المختلفة فى كل دول العالم، وأن ضبط التزايد السكانى يتم بطرق مختلفة غالبا ما لا يكون بينها العوامل أو العوائق التى ذكرها " مالتس" فى نظريته ، رغم التسليم بأن لها أثــرا جزئيــا فـــى بعــض الحالات.

٥-أتهم " مالتس" بأنه عدو العمران ، حيث أكدت بعض وجهات النظر على أن زيادة السكان لو أحسن استثمارها لا تصبح شرا ولكن " خير كبــير " للدولة فالقوى البشرية هى أداة البناء والتوسع ، والإنتـــاج الصنـــاعى ، والزراعى والدفاع عن الوطن ... الخ، خاصــــة فـــى ظـــل الحركـــات الاستعمارية الكبرى.

٦-لم يدخل " مالتس " فى اعتباره إلا المواد الغذائية ، وأهمل كل نواحـــى المعيشة الأخرى كالموارد الطبيعية ، والاختراعات الحديثة والمتطـــورة دائما، والتنظيم الاجتماعى ، حيث أن تزايد السكان ومستويات المعيشـــة ترتبط بعوامل كثيرة غير الغذاء كان يجب أن يأخذها فى الحسبان.

٧-انتقدت الأفكار الشـــيوعية آراء " مـــالتس" والتـــى شـــجعت الإقطـــاع والرأسمالية وتحكم فرد فى آلاف الناس، مما يعنى زيادة استغلال طبقـــة الملاك لطبقة العمال حيـــث رأوا أن أفكـــاره تخـــدم الرأســـمالية فقـــط وتتعارض مع مصالح الطبقة العاملة – الأغلبية- حيث أكد أغلبهم علـــى أن أسباب الفقر ترجع لاستغلال الطبقة الرأسمالية لطبقة العمال وليـــس

لزيادة النسل فقط، وقالوا أن منع النسل أو تنظيمه ما هى إلا أوهام وحجج لإبعاد أسباب الفقر عن طبقة الرأسماليين.

٨-إفراط " مالتس" فى النظرة التشاؤمية عن حدوث الجوع والفقر والبؤس الناتج عن الزيادة السكانية ، كما أن أحكام النظرية لا تنطبق على كل المجتمعات، فلو صدقت فى المجتمع الواحد فى فترة فلن تصدق فى فترة زمنية أخري.

ورغم كل هذه الانتقادات إلا أن " مالتس" كان الأب والمؤسس الحقيقي للدراسة الحديثة للسكان باستخدام الحقائق لتأييد مذهبه العام بصدد حركة السكان ، ونموهم، وعلاقتها برفاهية الإنسان.

كذلك فقد أدخل " مالتس" بنظريته هذه على الفكر الاقتصادي التقليدي فى ذلك الوقت ثلاثة مفاهيم جديدة : (٩: ص ٢٠٣)

- **مفهوم الحركة:** إذ يبين " مالتس " أن المجتمعات ليست راكدة أو جامدة، على حد تعبير رجال الاقتصاد المعاصرين فى ذلك الوقت له بل هى حية ومتحركة وديناَمية من خلال العلاقات القائمة بين السكان من ناحية والموارد من ناحية أخرى.

- **مفهوم الشدة أو التقشف:** فقد عارض بشدة تقديم الإحسان أو المساعدات للفقراء كحل للمشكلة، إذ ندد بكل التنظيمات الخيرية التى تقدم المساعدة للمعوزين والمسنين، وأن ذلك سيزيد عددهم لأنه يقلل الشعور بالمسئولية لديهم ويجعلهم يعتمدون على

المجتمع فى إعالتهم بدلا من العمل الجـــاد وإعالتـــهم لأنفســـهم وتربية أولادهم.

- **مفهوم التشاؤم** : حيث خشى دائما من أن تؤدى الزيادة السكانية إلى انتشار الفقـــر والبـــؤس والأمـــراض والصـــراع الطبقـــى والحروب، وكان يعتقد فى أن الإنسان هو المسئول عن إحـــداث التوازن والحد من الزيادة السكانية.

وإجمالا فإن نظرية " مالتس" مهما قوبلت من نقد أو معارضة فستظل أول النظريات التى أوضحت للرأى العام أهمية هذه المشكلة، والتى تعد مـــن أهم المشكلات فى الوقت الحاضر خاصة للدول النامية، والتى تعانى الكثـــير من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية الناتجة عنها وتحتاج لتخطيط علمـــى شامل لعلاجها.

٢- جون ستيورات ميل J. S. Mill

ولقد أسس أفكاره على عدة متغيرات وهي:- (٣: ص٧٩)

أ- قانون " الغلة المتناقصة" ، حيث أكد أن لكل مساحة من الأرض حـدا يبلغ عنده الإنتاج غايته القصوى، بالنسبة لما يستخدم فيها مـــن عمـــال ورأس مال ، بحيث لو زاد عن هذا الحد أو المقدار، لأدى لتناقص نسبي فى القلة ، وأضاف أن ذلك ينطبق أيضا على استخراج الموارد الطبيعيـة من الأراضى (كالمعادن وغيرها من المواد الخام).

ب- أن هناك نسبة من السكان غير منتجين ـ كالأطفال والنساء ـ وهى بالطبع نسبة معالة وأفواه تحتاج للغذاء والخدمات والرعاية ... مما يعنى أنه كلما زادت نسبة الإعالة كلما زاد الفقر.

ج- أن استقلال المرأة بدخلها قلل من الأضرار الناتجة عن وجود فـائض فى السكان (٢: ص٦١).

د- أن على السكان ـ الناس ـ أن يعملوا أكثر ويبذلوا مجـهودا أكـبر حتى يأكلوا أكثر أو يأكلون أقل فى حالة البطالة، أو تناقص الجهد فـى العمل.

هـ - أنه من الممكن تأجيل مفعول الغلة المتناقصة عن طريق التحسـينات التى يمكن أن تدخل على الإنتاج سواء فى الزراعة أو الصناعة ، حيـث أهتم بالجانبين معا وليس الزراعة فقط كما رأى " مالتس" فى نظريتـه ، وأشار أن ذلك يعنى إشباع احتياجات أكـثر خاصـة وأن الاحتياجـات متنوعة مثل الغذاء والكساء والسلع المتنوعة والخدمات ...... وغيرها.

ولقد وجه للنظرية النقد التالي:-

١-النظرة التشاؤمية لزيادة السكان مثل " مالتس ".

٢-إغفال الجوانب الأخرى لتحديـد حجـم السـكان مثـل دور التنظيـم الاجتماعى والتقدم التكنولوجـي والعوامـل الثقافيـة ، والبيولوجيـة ، والصحية ... الخ.

٣-افتقار النظرية للقدرة على تقسيم أوضاع السكان فى كل البلاد وفى كل الأوقات وعدم القدرة على التنبؤ بأوضاع السكان مستقبلا.

٤-لم يدرك أن اتساع نطاق التصنيع يعنى زيادة تقسيم العمل وظهور مهن أو وظائف جديدة تستوعب أعدادا كبيرة من السكان ، وبالتالى توافر العمل وزيادة الدخل.

٣- نظرية مايكل توماس سادلر Michael Thomas Sadler (١٠:ص٥١)

يعتبر أحد المصلحين الاجتماعيين رغم أنه من رجال الاقتصاد المعاصرين للعالم " مالتس" ولقد أختلف معه فى الرأى حيث أشار فى كتابه (قانون السكان) إلى نظرية معارضة له حيث أكد أن تزايد الجنس البشرى عملية بيولوجية تتحكم في نفسها بنفسها أى أن زيادة السكان وقدرتهم على التناسل تتناسب عكسيا مع عددهم، وبذلك فإنه يرى أنه لو وصل سكان قطر من الأقطار إلى درجة معينة من الكثرة لدخلت العوامل البيولوجية لحمايتهم من التضخم.

كذلك يرى أن البيانات السكانية التى عرضها مالتس تعد مضللة إلى حد كبير فالخصوبة من وجهة نظره ترتبط عكسيا مع كثافة السكان، كما أن الزيادة فى كثافة السكان تؤدى بدورها إلى نقص معدلات الوفيات.

كذلك أشار إلى أن القدرة التناسلية تتأثر بالسعادة والرخاء أو الثراء، لا بالبؤس والرذيلة والفقر كما ذهب " مالتس " حيث أعتبر أن الإنسان يكون عقيما نسبيا إذا كان غنيا، حيث ينجب المرء أطفالا لا يتناسب عددهم مع درجة فقره (ولكن دون أن يصل هذا الفقر إلى درجة المجاعة) وهكذا يبدو

أن للثروة أثرا عكسيا على القدرة البيولوجية على الإنجاب . أى أن الرقــــى ينقص عدد السكان بالتدريج إلى أن تقف عند نقطة محددة يبلغ عندها أكــــبر عدد من السكان أقصى درجة من السعادة.

ولقد دلت تجارب " سادلر" على أنه من الضرورى أن تميز بين شدة الجوع (الوقتية) والجوع (الزمن) فإن الجوع الوقتى يقلـــل مـــن النشـــاط الجنسي، أما الجوع المزمن فيؤدى إلى فقد الشهية للطعام ويصرف الاهتمـــام عن النهم للطعام إلى الاستمتاع بالشهوة الجنسية.

ولقد وجه للنظرية النقد التالي:-

١-أنها لا يمكن أن تطبق على المجتمعات كلها لاختلاف ظروف وأوضـــاع كل مجتمع بل فى المجتمع الواحد من وقت لوقت آخر، والدليل على ذلك ما يحدث فى بعض الدول النامية مثل الهند والصين. (٢: ص٦٩).

٢-أن الفقر بدوره يرجع إلى الظروف الاجتماعية والاقتصادية فى المجتمع أما شح الطبيعة فلا يعد سببا للفقر.

٣-خلط سادلر ما بين القدرة على الإنجاب **Fecundity** والإنجاب الفعلــي أو الخصوبة **Fertility** . (١٠: ص ٥١).

٤- نظرية الكسندر موريس كارسوندرز (٨:ص١١٤)

Alexander Morris Carr Saunders

عالم اقتصاد تناول مجال الدراسات السكانية وتدور نظريته حول :-

١-الإنسان يحاول بنفسه أن يصل إلى العدد الأنسب بمعنى أن الفرد يعادل بين أعلى عدد من الأبناء و العائد قياساً بالدخل، وكذلك المجتمع ككل فهو يحدد أقصى عدد للسكان يمكن أن يعيش داخل هذا المجتمع في مستوى لائق للمعيشة مقارنة بالدخل أو العائد.

٢-ضرورة الاستخدام الأمثل للبيئة من جميع نواحيها الطبيعية والحضارية (المادية) والبشرية ... الخ ، فالنمو الإنسانى يخضع لتفاعل الإنسان مع البيئة ويتغير من وقت لآخر طبقاً لتغير هذا التفاعل.

- يمكن تحديد الحد الأمثل للسكان بقياسه عن طريق " متوسط الدخل الفردى" فكلما زاد الدخل الفردى فإن هذا يدل على أن البلد فى حاجة لمزيد من السكان، أى أن الزيادة السكانية لا ضرر منها طالما أن الموارد كبيرة وهو ما يعكسه الدخل الفردى، حتى تصل لرقم معين يأخذ به هذا الدخل فى الهبوط تدريجيا مما يعنى ضرورة البدء فى تنظيم النسل حتى نصل للحد الذى يستقر عنده الدخل، مع الأخذ فى الاعتبار متوسط رأس المال الفردى، وأيضا الاستهلاك الفردى لإشباع احتياجات الأفراد.

- يشير " سادلر" إلى أن الإنسان يمر بمراحل متعددة للرقى تبـــدأ من مرحلة الصيد إلى الرعى ثم الزراعة ثم الصناعة، ويرتقـــى فى النهاية إلى أعلى درجات الحضارة، التى تظهر فيها ظـــاهرة تقسيم العمل بوضوح ، مما يؤدى لتخفيف وطأة العمل، وزيـــادة التحرر ، ثم انتقال الأفراد للعمل فى وظائف ذات صبغة عقليـــة أكثر من الجهد الجسدى، وتأخذ وسائل المعيشة فى التزايد وتعـــم الرفاهية تدريجيا ، وفى كل مرحلة من مراحل الرقى ينقص عدد السكان بالتدريج إلى أن يقف عند نقطة محددة. (٣: ص ٨٥).

ولقد وجه لنظريته النقد التالي :- (٢، ص٧٥).

١) أنه ليس من السهل تحديد طاقة أى إقليم بشريا وفنيا كما يصعب ذلك فى المناطق الصناعية الأكثر تعقيداً وتركيباً فى السكان أو البناء الاجتمـــاعي عامة.

٢) فى نفس الوقت فالمجتمعات متغيرة ومواردها متغيرة، وقد تكون بشـــكل فجائي مما يعنى صعوبة عمليات الضبط والتحكم.

٣) تتطلب هذه النظرية حالة من السكون فى جميع عناصر الإنتـــاج وفـــى الزيادة السكانية حتى يمكن حساب الحجـــم الأمثـــل وهـــذا صعـــب لأن المجتمعات متغيرة بسرعة كبيرة ، مما يعنى أن نظريته تتســـم بالطـــابع الاستاتيكي غير الدينامي.

٤) أن تغيير الظروف يؤدى باستمرار إلى تغيير النسب بين عوامل الإنتاج ومن تلك الظروف : التوسع العمرانى للسكان ــ التحســـينات الفنيـــة ــ

تغير حجم التجارة ــ نسبة الأفراد غير المنتجين فى المجتمع أو النسبة المعالة (كالأطفال والنساء والمسنين) ، اختلاف الحجم الأمثل فى حالة السلم والحرب وغيرها من الظروف الطبيعية الأخرى.

٥) تفتقر النظرية للقدرة على التنبؤ ، ولا تحدد السياسة التى يمكن الأخذ بها، أو إتباعها حتى يمكن القضاء على الفجوة بين الحجم الفعلى والحجم الأمثل للسكان. (٤: ص١٣٠).

٥- نظرية دبلدى Thomas Doubledy (٦: ص٤٣)

ويرى أن الزيادة السكانية تتصل اتصالاً عكسياً بموارد الغذاء وكلما تحسن مورد الغذاء كلما أبطأت الزيادة السكانية، ويرجع ذلك من وجهة نظره إلى أن حالة النضوب تساعد على استثارة الغريزة للإسراع فى التناسل لحفظ النوع ، وبالتالى فالأشد فقراً هم الأكثر تناسلاً ــ على اعتبار تعويض معدل الوفيات الناتج عن سوء التغذية والمرض ، والظروف المعيشية كالسكن السئ، وظروف السخرة فى العمل أو ممارسة أعمال شاقة خاصة للأطفال والنساء وفى ظروف لا إنسانية للحاجة الملحة للعمل .. الخ - والأكثر غناً هم الأقل تناسلاً ، وفى الطبقات الوسطى نجد أن عدد السكان ثابتاً ، وهذه الزيادة والنقصان يتوقف عليهم التناسب العددى.

مما سبق فإن حالة الفقر تشجع على الخصوبة، فى حين يتناقص عدد الأغنياء مما يعنى عدم التوازن بين الطبقات ، مما يحتمل معه ظهور الصراع بين الطبقات وعلى الطبقة الغنية (الحاكمة) أن تعدل من أسلوبها لتحقيق التوازن ، كما يجب إصدار التشريعات أو القوانين لضبط الزيادة السكانية بين الطبقات الدنيا لأن الفقراء أشد الناس قدرة على التناسل، وكذلك

فهم لا يهتمون بتعليم أبنائهم أو تدريبهم للعمل فى الوظائف العليـــا ، حيــث يتجهون لممارسة الأعمال الهامشية فى الغالب ، فى حين أن الأغنياء يهتمون بالتربية والتعليم للأبناء حتى يحققوا التقدم الشخصي، ولـــهذا تقـل فــرص الإنجاب والنسل ليدهم لما يبذلونه من جهد ومال فى تربية الأطفال . (١١)

والنظرية بذلك تحدد ثلاث محاور وهي:-

- تتناسب الخصوبة تناسباً عكسياً مع الارتقاء الاجتماعى.
- تقدم الفرد وقوة شخصيته، ومقدار ترفه يتناســب طرديــا مــع الارتقاء الاجتماعى مما يعنى أن الزيادة تتناسب عكسياً مع مدى تطور الفرد.
- الأخذ بمعيار " الغذاء " والثراء أو الغنى الذى يوفر هذا الغذاء.

<u>وأهم النقد الذى وجه للنظرية ما يأتى</u>:- (٥: ص ٢٢)

١- تحميل الفقراء مسئولية الزيادة السكانية فى حين أن هذا غير مؤكد فـى كل الدول، أو المجتمعات، وفى كل الأوقات ، ولم يستدل على ذلك بأمثلة واقعية من المجتمعات المعاصرة، كما أن ذلك موضع جدل حتــى الآن ولا يستند لحقائق مؤكدة.

٢- الاعتماد على معيار الغذاء والثراء وإهمال العوامل الهامة الأخرى.

٣- الخلط بين الزيادة الفعلية فى عدد السكان وبين القدرة على الإنجـــاب (٣: ص٨٧).

٤- لم يدرك أن اى قانون للسكان يجب أن يتجه إلى أبعد من مجرد تفسير التغيرات فى القدرة على الأنسال لأن نمو السكان ينتج عن الفرق بين نسبة المواليد ونسبة الوفيات وهما نسبتان متغيرتان ولا يكفى تفسير التغيرات التى تلحق بإحداهما دون الأخرى. (٩: ص٢٠٨).

٦- نظرية جون راسل :- **(١٣: ص ص ١٩٠-١٩٤)**

ويرى أن زيادة السكان لن تؤدى إلى مجاعات أو حروب فى المستقبل لأن الجوع يمكن تلافيه ، لأن التزايد السكانى يقابله تزايد فى التكنولوجيا لأننا نعيش عصر العلم والمعرفة، وخاصة أننا لا نستخدم إلا ثلث الأرض التى يجب زراعتها ، كما أن الإنسان يتلف الكثير من الموارد الغذائية ودلت الإحصاءات على أننا لا نستهلك إلا ٢٠% من الطعام والباقى يهدر أو تأكله الحيوانات والطيور كذلك فهناك إمكانية لزراعة الصحراء أى التوسع الأفقى بالإضافة للتوسع الرأسي.

ولقد قوبلت النظرية بالنقد فى ذلك الوقت على أساس أن عادات الشعوب الغذائية يصعب تغييرها، كما أن التكنولوجيا لا تتاح لكل الدول، كذلك فاستصلاح الأراضى الصحراوية يحتاج لاستثمارات ضخمة قد لا تتوافر لبعض الدول مما يعنى وجود خطر من الزيادة السكانية غير المنضبطة ، خاصة فى الدول النامية التى لا تملك المال أو التكنولوجيا ، مما يعنى وجود نقص فى الغذاء لا يقابل الزيادة السكانية ، ومن ثم يجب أن نبتعد عن أن حجم السكان له قيمته الخاصة بغض النظر عن نوعية الحياة التى يحياها السكان.

ثانيا: المداخل النظرية الاجتماعية: (١٠: ص٦٣)

يتمثل المبدأ الأساسي للنظريات التى تبنت المنظور الاجتماعى فى أن البناء الاجتماعى هو الذى يؤثر بصفة عامة فى الظاهرة السكانية أى أن الظاهرة السكانية لا يتسنى تفسيرها إلا فى ضوء النظم والأنساق الاجتماعية والسياسية ، والأسرية ، والاقتصادية ... الخ .

ويكمن الفرق الرئيسي بين التفسير الذى يتبناه دعاة النظرية الاجتماعية فى اتساع مدى هذا التفسير، وأصالته حيث يرتكز على المتغيرات والعوامل الاجتماعية والاقتصادية للأبعاد السكانية، وهو فى هذه الحالة يعد أكثر شمولا من حيث نوعية التفسير والشمول لظروف مجتمعية تراعى الجوانب الاجتماعية فى علاقاتها بالجوانب الاقتصادية بل والثقافية ، وكذلك المصادر والإمكانيات الطبيعية المتاحة فى كل مجتمع على حده.

ولا جدال فى أن النظريات السكانية التى تبنت الاتجاه الاجتماعى لم تبدأ من فراغ إذ أن العديد منها قد تأثر بنظرية مالتس، بل وربما يكون أغلب من تبنوا هذا الاتجاه أو المدخل لم يكونوا علماء اجتماع ، وان اشتركوا جميعا فى الاهتمام بالإصلاح الاجتماعى والاستخدام المتكامل للعلوم الإنسانية بالمعنى المتسع لهذه العلوم ، كما أن بعضهم وقف عند حد النظرية المالتسية وحاول تغيير بعض مسلماتها ، وليس أدل على ذلك من أن " ساى Say" عالم الاقتصاد الفرنسي ــ الذى تبنى النظرية المالتسية ــ قد اقتصر دوره على الاستعانة بمفهوم " وسائل الحياة" بدلا من " وسائل العيش" حيث أن المفهوم الأول من وجهة نظره أكثر اتساعا لأنه يعنى جميع المصادر المتاحة دون الاقتصار على الإنتاج الزراعى وحده الذى اهتم به مالتس.

ومن أمثلة العلماء الذين حاولوا تطوير النظرية المالتســية " يونــج" الذى أكد أن الزيادة السكانية تؤدى للرخاء وكذلك " أدم سميث" الذى يرى أن النمو السكانى يعد سببا للتقدم الاقتصادي، ويرى " جارنر" أن التعليم وتحسين الظروف الاجتماعية يؤديان لتحديد الخصوبة، بينما أهتم " جــلاس" بــإبراز العلاقة بين الصناعة الثقيلة وقوة الجذب للقوة العاملة وأبرز " أريــز Aries " العلاقة بين النشاط الاقتصادى وارتفاع معدل الخصوبة ، كذلــك دراسـات كوست حيث أشار إلى أن دراسات السكان لا يمكن فصلــها عــن التطــور الديموجرافي والتطور فى أنماط التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية، كذلــك فإن التمايز فى الظواهر الاجتماعية يؤدى للتمايز الديموجرافي وفيمــا يلــي عرض لبعض هذه النظريات:

١- نظرية كارل ماركس : K. Marx (١٤)

يرى ماركس أن الفقر لا يرجع للزيادة السكانية بل يعود أساسا للنظام الاقتصادي الرأسمالى السائد فالمنافسة تؤدى لتراكم المنتجات ثم للاســتغناء عن العمال فالعمال ينتجون الوسائل التى تجعلهم يتحولون إلــى نــوع مــن الفائض.

وينبغى الإشارة إلى أن الاشتراكية قبل الماركســية اشــتملت علــى الاشتراكية الإنجليزية " الريكوردية Ricordian" والتى عارض أنصارهــا ومنهم " جراى Gray وجهة نظر مالتس فى السكان.

ويعتقد ماركس اعتقادا أكيدا فى أن أى نمط للإنتاج عبر التاريخ لــه قوانينه الخاصة بالسكان، التى تختص هذا النمط الإنتاجى خلال حقبة تاريخية معينة فحسب، وعيب النظام الرأسمالى من وجهة نظره أنه زاد من إمكانيــة

استخدام الآلات وشجع على وجود التقلبات الاقتصادية التى تحدث بصـــورة دورية، ومن ثم مؤكد علماء الديموجرافية أن هناك ارتباطا بيـــن انخفــاض معدل الخصوبة فى الربع الأخير من القرن التاسع عشـــر والانتقــال مــن الرأسمالية الصناعية المتنافسة إلى الرأسمالية الاحتكارية أو الأمبريالية وهكذا يعتبر انخفاض الخصوبة من سمات الرأسمالية العالمية ومن ملامـــح ذلــك الكساد والركود والاستعمارية.

وبذلك فإن عنصر السكان فى النظرية الماركسية هو المتغير التـــابع وبذلك فإن النظرية تنفى عنه " كمتغير" مسئوليته عن تحديـــد نمــط النظــام الاجتماعى بل أن النظام الاقتصادي السائد يؤدى لتحديد المتغير السكانى.

ويعتقد ماركس أنه لا يوجد قانون عام ثابت للســكان، وإنمــا لكــل عصر ولكل مجتمع قانون للسكان خاص به، ينتج عن الظـــروف الخاصـــة السائدة فيه، ففى المجتمعات الرأسمالية يتزايد رأس المال الثابت بسرعة تفوق تزايد رأس المال المتغير (الأصول ـ العمال) فتؤدى زيـــادة رأس المـــال الثابت إلى الاستغناء عن جزء من رأس المال المتغـــير ـ العمـــال ـ لأن تراكم رأس المال فى صورة سلع إنتاجية يؤدى إلى نقص الحاجة إلى العمال لأن هذه السلع تميل إلى احتلال مكان العمل.

كذلك أشار ماركس إلى أن التضخم السكانى ليـس إلا فائضــا فـــى العمالة بالنسبة لفرص العمل المتاحة. (١٥: ص٧٤) ومـــن ثـم فإنـــه مـــن ضرورات الاقتصاد الرأسمالى وخاصة من خواصه وذلك على اعتبـــار أن نمو الرأسمالية يؤدى الى خلق فائض فى قوة العمل مما يؤدى إلـــى زيـــادة

المعروض من القوى العاملة ، فتخفض الأجور، وإن انخفاض الأجور شـرط أساسي من شروط التوسع فى الصناعات الرأسمالية.

وأكد ماركس أن السكان (طبقة العمال أو البلوريتاريا) ينتجون السلع التى تؤدى لتراكم رؤوس الأموال، وكذلك ينتجون فى فـى الوقـت نفسـه الوسائل التى تجعلهم زائدين عن الحاجة نسبيا، وبذلك يتحولون إلى نوع مـن السكان فائض عن الحاجة.

أى أن مصدر المشكلة السكانية يكمن فى أسلوب الإنتاج الرأسـمالى من وجهة نظرية ماركس، وبهذه الطريقة ينظر للكثافة السكانية فـى ضـوء تراكم رأس المال وتراجع الطلب على العمال.

أما المشكلات المصاحبة لظهور هذا الفائض كازدياد معدل البطالـة، واستغلال أصحاب الأعمال للعمال فى الـدول الرأسـمالية فـهى الضمـان لاستمرار التنظيم الاجتماعى الاقتصادى الرأسمالى.

وهناك ثلاث أشكال للفائض السكانى:-

١-**الفائض " الظاهر"** : ويظهر فى توفر جزء كبير مـن العمالـة نتيجة للتقدم التكنولوجي.

٢-**الفائض " الكامن "** : فيتمثل فى ذلك القطاع من السـكان الـذى يشتغل بالزراعة ويتجه للهجرة للمدن.

٣-**الفائض " الراكد "** : فيعبر عن العمالة التى تتعرض للإذلال من أصحاب العمل نتيجة لعمليات التحكم وغيرها، ويشكل هذا القطاع نسبة عالية من البطالة غير الدائمة.

وترى النظرية أن منع استغلال الطبقة العاملة، وتحسين دخلهم سيؤدى لتحسين نوعية الحياة وارتفاع مستوى المعيشة مما يعنى هبوط النمو السكانى.

وهو فى ذلك يتفق مع النظريات التى أكدت على أن توافر الغذاء وزيادة المال تؤدى لتراجع معدلات الخصوبة، لذا فقد أكد أن الزيادة السكانية تتراجع فى المجتمعات الاشتراكية عنها فى المجتمعات البرجوازية (الرأسمالية).

كذلك يعتقد ماركس أن الفقر والبؤس لا يمكن إرجاعهما إلى ميل طبيعي أو بيولوجي فى الإنسان إلى إنجاب عدد كبير من الأبناء يزيدون عن إمكانياته فى رعايتهم وإعالتهم بل يرجع إلى ظروف البناء الاجتماعى والنظام الاقتصادي غير القادر على تشغيل أفراد المجتمع تشغيلاً كاملاً.

<u>وتمثلت أهم أوجه النقد للنظرية فى الآتى:-</u>

- تحيز ماركس لطبقة العمال، وبذلك وقع فى نفس الخطأ الذى وقع فيه كثيرون ممن سبقوه، حيث أدى ذلك لتحيزهم فى تحليلاتهم وتفسيراتهم لظاهرة السكان طبقا لظروف طبقة أو فئة من الفئات دون الرجوع للعوامل الموضوعية الأخرى ، فمن المعروف أن التحيز يؤثر فى أسلوب التفسير وفى نتائج التحليلات مما يضعف النظرية من الأساس.

- تصور ماركس النظام الاشتراكى كنظام أمثل بحكم تكوينه وخصائصه لحل المشكلة السكانية وتقليل ضغط السكان على الموارد ، وهذا التصور فيه قصور شديد والدليل على ذلك أن هناك العديد من الدول الاشتراكية يتزايد فيها السكان بمعدلات أكبر بكثير من الدول الرأسمالية ، كذلك فإن أغلب العلماء المعاصرين أو التاليين على ماركس قد انتقدوا هذه الفكرة حيث أشار "Bebel ببيل " أن فكرة تحديد عدد السكان فى الدول الاشتراكية فكرة تكاد تكون مستهجنة ، كما أكد " ستالين" تعاطفه مع الزيادة السكانية لأنها تسهل التنمية فى المجتمع، أيضا فمن الكتاب الروس " جيرتسك Gertysk" الذى عارض فكرة وجود مشكلة زيادة سكانية إلا فى حالة زيادة عدد السكان عن المعدل الفعلى للمستوى المرغوب فى الإنتاج.

- أغفل ماركس التفكير فى إمكان وجود ضغط للسكان على الموارد كنتيجة لزيادة معدلات الكثافة السكانية.

- هذا القانون الماركسي عن تزايد السكان إنما ينطبق على الأمم التى تتبع الطريقة الرأسمالية فى الإنتاج ــ وأن كان هناك جدلاً حول ذلك إلا أن الحقيقة أن لكل مرحلة أو طريقة خاصة بالإنتاج قانوناً خاصاً عن عدد السكان ينطبق عليها وحدها، ولا يكون قانون التناسل واحداً إلا فى عالم الحيوان والنبات فقط وبشرط عدم تدخل الإنسان فيهما، كما أن هذا القانون لا يمكن أن يطبق على كل المجتمعات وفى كل الأوقات ، بل وعلى المجتمع الواحد فى فترات زمنية مختلفة.

- تقاعست النظرية عن استجلاء أسباب انخفاض الخصوبة فى المراحل المختلفة للرأسمالية مما أعاق دراسة المشاكل الأخرى التابعة، مثل إنجلترا ، فبعد ان تحولت عن الإمبريالية زاد الطلب على القوة العاملة.

نظرية ماكس فيبر : Max Weber (٦: ص ص ٥٢: ٥٤)

استنبط نظرية سكانية من خلال فكرة السوسيولوجي، خاصة في تعارضه مع آراء " ماركس" وأهم معالم نظريته ما يأتى:-

١) أن الدين والقانون والموسيقي والفن والثقافة هى عوامل الرشد حيث تعمل هذه الأشياء المعرفية على زيادة الرقى عند الإنسان ، وزيادة اهتماماته الاجتماعية ، وبالتالى زيادة الوعى والقدرة على التحكم في معدل الخصوبة.

٢) عمل على دراسة الاهتمامات المادية وعلاقتها بالتكوينات الاجتماعية والأفكار ، واستعان فى ذلك بآراء ماركس عن خصائص المتغيرات النباتية فى فترة تاريخية محددة.

٣) درس الرأسمالية الرشيدة والنمو الاقتصادي في الغرب، وتوصل إلى توضيح نسق اجتماعى للرأسمالية بأسلوب يختلف عن ماركس بحيث جعل الإنتاج قيمة فى حد ذاته تتم من خلال استثمار طاقات العمال.

٤) أوضح الاعتماد المتبادل بين المتغيرات البنائية الاجتماعية واهتمامات الجماعات الاجتماعية.

٥) استعان بفكرة " دبلدى " عن منهج الفهم ، فالفردية تعود للظاهرة الاجتماعية التى تشتمل على علاقات بنائية بما يفسر الظواهر الاقتصادية فى سياق عام.

٦) كما يرى أن هناك علاقة بين الظاهرة المثالية والمادية لأن هناك تفاعلاً متبادلاً بين العوامل الممثلة فى القيم والمعتقدات وبين العوامل المادية.

وخلاصة نظريته أنه درس المسألة السكانية من منظور اجتماعى ، ومن خلال فكرة الرأسمالية الرشيدة مع ربط ذلك بالجوانب الاقتصادية (المالية) وما تتضمنه من متغيرات اجتماعية فى سياق واحد.

٣- نظرية كنجز ديفيز : K. Davis (٨: ص ٢٠٦)

وهو عالم اجتماع وكتب نظريته فى مقال بعنوان " نظرية التغير والاستجابة فى التاريخ الديموجرافى الحديث" وصدر فى جامعة كاليفورنيا، كذلك اهتم بدراسة العلاقة بين السكان والتحضر أو نمو المدن ، وعلاقة النمو بالاستقرار السياسي.

- رفض تفسير النمو السكانى فى ضوء عامل واحد فقط مثل العامل الاقتصادى أو الثقافى أو القيمي .. وعلاقته بالخصوبة.

- الخصوبة عنده ترتبط بعامل " التوازن الاجتماعى" وهذا التوازن يتعرض لضغوط ومؤثرات قد تنبع من داخل المجتمع أو من خارجه، وتهدد هذا التوازن أو قد تهدمه، أو فى حالات أخرى تعمل على إعادة التوازن الاجتماعى . (٤: ص١٣٤) .

- " التوازن الاجتماعى" كمفهوم يعني التوازن بين عدد السكان ومتطلبات البناء الاجتماعى، ويقصد بها الموارد اللازمة للمحافظة على البناء الاجتماعى أو لتحقيق الأهداف الدينية والتربوية والفنية والترفيهية والسياسية ... الخ وهذا يختلف عن وجهة نظر مالتس التى أشارت إلى أن التوازن يكون ما بين السكان وموارد المجتمع وبخاصة الغذاء.

- يختل التوازن نتيجة لزيادة عدد السكان، ويعمل المجتمع على التكيف مع هذه الظروف من خلال استجابات متنوعة مثل تأخير سن الزواج ، أو تنظيم الأسرة ، أو اللجوء إلى الإجهاض فى بعض الحالات.

- هبوط معدل المواليد لا يرتبط بقلة الموارد فى المجتمع لأن السكان قد يتناقصوا لارتفاع معدل الوفيات ، وقد يتزايدوا إذا ارتفع مستوى المعيشة ارتفاعاً كبيراً، ولقد قوبلت هذه الأفكار بالنقد التالي:-

  - لم يتعرض " ديفيز " لتفسير الوضع السكانى السائد فى الدول النامية ولكنه فسر الزيادة فى السكان بهذه الدول إلى اختلال التوازن ما بين البناء الاجتماعى والسكان، مما أدى للضائقة الاقتصادية، وأن هذه الدول لابد أن تتبع عدة استجابات مثل تنظيم الأسرة، والهجرة الخارجية.

  - اعتمد على النظرية البنائية الوظيفية والتى تجسد المدخل المحافظ (الرأسمالى) فقط.

  - **تعتبر نظريته استاتيكية لأنها لم تتناول الجوانب الديناميــة فى واقع المجتمعات.**

- أهملت جوانب أخرى لها أهميتها فى الوصول بالنظرية لأعلـــى مستويات التجريد.
- تتسم النظرية بعدم القدرة على الشمول فى التفسير وعدم القـــدرة على التنبؤ.

٤- نظرية سيدني كونتز S. Kuznets (٤: ص٣٤٣).

تأثر بأفكار ماركس فى تفسير الظواهر السكانية على ضوء العوامـل الاقتصادية ولكنه وسع من نطاق هذا التفسير على النحو التالي:-

- اتفق مع ماركس فى الأخذ بنفس القضايا النظرية حول تغيير المجتمـــع وضرورة الصراع الطبقي.
- يرى أن نمو السكان يتوقف على ثلاث عوامل وهي:-

- مقدار العمل : لأنها تحدد فرص الزواج والإنجاب وتؤدى إلـــى هبوط المواليد فى أوروبا.
- نوع العمل : حيث أن زيادة الطلب على العامل غـــير المـــاهر (غير المؤهل) لتوافر الأعمال التى لا تحتاج إلى تكـــاليف إعـداد كبيرة، تؤدى لارتفاع الخصوبة، حيث يعد الأبناء هنا قوة عاملـــة لا تحتاج لتدريب أو تعليم لممارسة مثل هذه الأعمال مما يعنى زيـــادة الدخل لرب الأسرة.

لهذا نجد أن الأغنياء أقل إنجاباً لأن المهن التى يمارسوها تتطلب تعليم عالى وإعداداً طويلاً وتكاليف كثيرة مما يعنى الاتجاه نحو تنظيم الأسرة وتراجع معدلات الخصوبة فى هذه الطبقات.

- الوظائف الاقتصادية للأسرة: أدى اتجاه المرأة للخروج للعمل إلى تغير وظيفة الأسرة فى ظل خروج الأب والأم للعمل سعيا وراء دخل أكبر مما يعنى عدم تفرغهم لتربية الأطفال – خاصة فى المجتمعات المتقدمة – وبالتدريج فقد الأطفال قيمتهم الاقتصادية لدى الزوجين ، وذلك لارتفاع التكاليف المطلوبة لتربيتهم، بدون وجود عائد مادي من ورائهم ، وبالتالى تنخفض الخصوبة تدريجياً حيث يتناقص معدلات الإنجاب فى غالبية الأسر العاملة.

ولقد وجه لهذه النظرية النقد التالي:-

- أكدت على نوع العمل ولكنها تجاهلت العوامل الاجتماعية والنفسية والبيولوجية ... الخ الأخرى المؤثرة على الإنجاب.

- اهتم كونتز بملاحظة الظواهر السكانية فى العالم الغربى ولم يهتم بالدول النامية، لهذا لم تفسر النظرية كيف يرتفع معدل النمو السكانى فى غالبية هذه الدول رغم ارتفاع معدل البطالة بها.

ثالثاً: النظريات الديموجرافية:

وهذه النظريات التى ركزت على " الانتقال الديموجرافـــي " أكـــدت على تغير حجم السكان فى كل مرحلة حيث لا يعقل أن يكون عدد الســـكان عام ١٣٠٠ هو نفس عدد السكان عام ١٦٠٠ مع أن عهد الإقطاع فى أوروبا شهد العديد من المجاعات والأوبئة والثورات ، إلا أنه شهد أيضـــا اهتمامـــاً ملحوظاً بطرق الزراعة، مع ملاحظة استمرار الاختلاف فى متوسط النمـــو السكانى خلال الفترات التالية والتى اتسمت بالنمو الصناعى والزراعي معاً.

ولقد انتشرت الدراسات الديموجرافية القائمة على نظريـــة الانتقـــال الديموجرافي The Theory of The demographic Transition (١٦:ص٩)

مع التركيز على الأبعاد الرئيسية التالية:-

١-الزيادة السكانية فى المجتمعات ما قبل التصنيع (عهد الإقطاع) خاصـــة تركيز الثروة فى يد الإقطاعيين وتشجيعهم على زيادة النســـل، وذلـــك لتوفير الأيدى العاملة الرخيصة لفلاحة الأرض.

٢-المجتمعات فى مرحلة الانتقال من الزراعة إلى الصناعة، وما صاحبـــها من إهمال للزراعة (الفلاحة) وكذلك اتجاه العمال الزراعيين للـــهجرة من الريف إلى المدن وما صاحبها من ظواهر سكانية ومشكلات متعـددة وتأثيرها على الزيادة السكانية.

٣-المجتمعات الحديثة فى ظل الاتجاهات الاقتصادية والانتشـــار الثقـــافى وتزايد الوعى لدى الناس وتغير طبيعة الأسرة ، والأخذ بالأسباب التـــى تؤدى لتكوين أسرة صغيرة بدلاً من نظام الأسرة الممتدة.

ولقد تناولت الدراسات هذه الأبعــاد بالدراســة لمعــدلات المواليــد والوفيات ، ودرجة الثبات أو الزيادة وأثر ذلك فى زيـــادة أو تقليــل معـــدل السكان.

وفيما يلي عرض لبعض هذه النظريات

١- <u>نظرية وارن طومسون</u> W. Watson " الانتقال الديموجرافي"

وقال أن المجتمعات تمر بنفس مراحل النمو السكانى وأن هذا النمـــو يتأثر بعملية التنمية الاجتماعية والاقتصادية.

وقسم مراحل النمو إلى :- (٧: ص٦٠)

المرحلة الأولى : وتتمثل ببداية التنمية الاقتصادية حيـــث ينخفــض معدل الوفيات نتيجة لتحسين الأوضاع المعيشية وارتفاع معدل الغذاء، وزيادة الموارد مع تحسن الخدمات.

المرحلة الثانية : تتطور وظائف الأسرة مـــن وحـــدة إنتاجيـــة ـــ استهلاكية إلى وحدة استهلاكية فقط، مـــع تزايـــد الاعتمـــاد علـــى الســـلع والخدمات من المجتمع كذلك يتزايد اتجاه النساء للخروج للعمـــل، وتـــتزايد حركة سوق العمل والأدوار الاقتصادية للمرأة مما يؤدى للحراك الاجتمـاعى بين الطبقات، والاتجاه لأسر صغيرة مما يعنى إحداث نوعا مـــن التـــوازن السكاني.

المرحلة الثالثة: تتحول الأسر إلى طبقة عاملة حيث لا يوجد مـــن لا يعمل فى المجتمع مع تزايد انتشار نمط الأسرة الصغيرة فى كـــل الطبقـــات

سواء الفقيرة أو المتوسطة أو الغنية وليس فى الطبقة العليـــا فقــط، وهــذه المرحلة تعكس علاقة طردية بين الطبقات والخصوبة، ذلك لأن جميع الأسـو فى المجتمع أصبحت منتمية إلى نسق اقتصادى واحد، فكل أسرة تنجب عـدد الأطفال الذى يتناسب مع إمكانياتها، مما يعنى احتمال تزايد الخصوبــة فــى الطبقات العليا. مع ملاحظة أن العلاقة العكسية بين الخصوبة والطبقة علاقـة مرحلية بمعنى أنها ستختفى فى ظل مشاركة جميع الطبقـــات فــى عمليــة التنمية، وبشرط أن يكون هناك توزيع عادل لعائد التنمية بين الطبقـــات لأن عدم العدالة فى التوزيع ستؤدى لهبوط معدل النمو السكانى.

وتتفق هذه النظرية مع نظرية " أورلانيتس" والذى قسم المراحـــل السكانية تاريخياً منذ العصور الوسطى إلى: (١٠: ص ٦٩)

١-العصر الإقطاعى (ما قبل القرن ١٦) .

٢-الرأسمالية المبكرة (من القرن ١٦ إلى القرن ١٨) .

٣-الرأسمالية الصناعية (القرن التاسع عشر)

٤-حقبة ازدياد الأنشطة الإمبريالية خلال القرن العشرين.

وأكد على اختلاف حجم السكان بحسب اختلاف التنظيم الاجتمـــاعى فى كل مرحلة .

*** نظرية التحول السكانى: Population Evolution Theory**

يمكن وصف النظرية وتفسيرها للنمو السريع خلال القرون الثلاثـــة الماضية وهبوط معدل المواليد فى بعض المجتمعات ــ خاصة المتقدمـــة –

فضلاً عن هبوط معدل الوفيات بسبب التحضر والتقـــدم فـــى التكنولوجيـــا المستخدمة فى الطب وكذا الاهتمام بالخدمات الوقائية فـــى غالبيـــة الـــدول، وتحسن وسائل النقل والاتصالات .. وغيرها من المنجزات الحديثة .. هـــذا إلى جانب هبوط معدلات الخصوبة بتأثير التحديث المستمر ، والتطور فـــى التفكير والثقافة ، واستخدام الوسائل الحديثة (٦:ص ٥٤).

ولقد أحدث الوضع الجديد لحالات التحضر والتصنيع اعتقاداً راســخاً من جانب الزوجين بضرورة ضبط النسل، وأصبحت العلاقة واضحة ما بين هبوط معدل الوفيات ، وانخفاض معدل الخصوبة – خاصة فى الدول المتقدمة ـــ مما أدى لثبات عدد السكان.

وتشير النظرية إلى أن المجتمعات تباينت حول المراحل الســـكانية، حيث انقسمت إلى ثلاث فئات تتعلق بالمراحل التى وصلت إليها فـــى دائـــرة التحول السكانى وهي:-

أ- مناطق هبطت فيها معدلات المواليد بشكل ملحوظ من شـمال وغرب أوروبا وأمريكا الشمالية ونيوزيلانده.

ب- مناطق هبط فيها معدل الوفاة بشدة فى حين أن معدل المواليد بدأ يهبط تدريجيا مثل أوروبـــا الشـــرقية والاتحـــاد الســـوفيتي واليابان.

ج- مناطق ينمو فيها السكان بشكل هائل من خلال زيادة معدلات المواليد بشكل يفوق معدلات الوفاة رغم أنها قد تكـــون عاليـــة،

وهذه الدول بدأ يهبط فيها معدل المواليد تدريجيا إلا أنها لم تصل بعد لمرحلة التحول الديموجرافى نحو الثبات.

ولقد وجه لهذه النظرية النقد التالى :-

١-أن اختيار المتغيرات الديموجرافية فى العديد من المجتمعات الغربية يشير إلى ملامح سكانية لها اعتبارها ولم تمر بهذه المراحل الثلاثة المذكورة ، ففى فرنسا وأمريكا الشمالية هبط معدل الوفاة بشكل كبير بفضل التحديث بينما نلاحظ فى إنجلترا أن معدل المواليد فى ازدياد ، فى حين هبطت معدلات الوفيات وذلك فى القرن ١٨، ١٩ مما يعنى عدم قدرة هذه النظرية على التنبؤ بالتحول السكانى.

٢-كذلك استفادت الدول النامية من تجارب الغرب وبدأت فى مرحلة التحول وبدأت معدلات المواليد فى الهبوط فى غالبية هذه الدول مما يلقى ظلالا من الشك حول هذه النظرية حيث أنها تحتاج لمعدلات أعلى للصدق فى المواقف التاريخية المحددة.

ورغم هذه الانتقادات ، فلقد لاقت النظرية انتشارا فى العديد من الدول ولقد حاول بعض العلماء أمثال لوريمر **Lorimer** وكنجز دافيز **Davis** الخروج بتصور نظرى لتفسير الوضع السكانى بصورة موضوعية عن طريق وضع أو تحديد مجموعة من الضوابط باستخدام النظرية البنائية الوظيفية فى تحليل المظاهر الخاصة بالتنظيم الاجتماعى ، والمعايير الثقافية، التى تفسر معدلات الخصوبة العالية وضوابط معدلات الوفاة فى المجتمعات المختلفة.

كذلك قدم Plato دراسة عن الرقـــم الفعلـــى للمواطنيـــن الموجـــود فى ولاية أو مدينة ، واستخدمه فى وضـــع تصـــور نظـــرى عـــن حجـــم السكان باستخدام معايير إحصائية ، تعطى دلالـــة عـــن توقعـــات الزيـــادة السكانية ومعدلات المواليد والوفيات طبقا للرقم الفعلي للسكان فـــى منطقـــة محددة، ولقد قام كل من Aristotle & Plato بعمل دراسات ميدانيـــة علـــى بعض المدن الأمريكية (الولايات) لتطبيق هذا المدخل النظرى فـــى تحديـــد حجم السكان، وفى ضوء بعض المعطيـــات النظريـــة للنظريـــات الســـابقة، وأعطت نتائج أكدت تأثير هذه المعدلات بالرقم الفعلى للسكان فـــى منطقـــة محددة (١٧: ص ص ٣: ٦)

النظريات البيولوجية :

١- نظرية هربرت سبنسر H. Spencer

وهو فيلسوف ومفكر إنجليزي أشتهر بفكرة الاجتماعى المرتكز على التفسير البيولوجي، ولقد وضع وجهة نظره عن اتجاهات السكان عام ١٨٥٤ حيث يعد المبدأ التطورى أساس لكل أفكاره، ولقد بلور هـــذه الأفكـــار فـــى المماثلة بين الكائن الحى والمجتمع، فالرضيع ينمو حتـــى يصبـــح كـــهلا ، والمجتمع الصغير (المحلى) يصبح مدينة كبيرة (متربولوليتانية) والدولـــة تصبح إمبراطورية ويزدد حجم السكان وتزداد درجة تعقد البناء الاجتمـــاعى وهكذا تتباين وتتعقد الوظائف التى يؤديها المجتمع. (٢: ص ٧٠) .

والسكان حسب هذه النظرية التطورية يتدرجون فى مراحل متتاليـــة فالمجتمع البسيط يتكون من أسر ، أما المجتمع المركب فتتشكل هذه الأســـر

فيه ما يسمى بالعشيرة، ومن مجموع العشائر تتشكل القبيلة ومن هذه القبـائل تتكون الدول.

ويرى سبنسر أن فى الطبيعة تنافرا مـا بيـن الذاتيـة أو الفرديـة "Individuation" والتوالد (أو الأنسال) "Genesis" (١٠: ص ٥٤) فكلما زادت الحضارة تعقيدا ، كلما اتجه الإنسان لتحقيق ذاته أكثر مـن الاهتمـام بالزواج والإنجاب (الأنسال) حيث تستهلك نسبة أكبر من طاقته الفسيولوجية الميسرة للجنس فى الأنشطة المرتبطة بنشاط الفرد وتقدمه ثـم يتبقـى قـدر ضئيل من الطاقة الميسرة من أجل مصالح وأنشطة التناسل ، بمعنى أنه كلما زاد ما يبذله الفرد من جهد لتأكيد وجوده وكيانه ونجاحه فى عمله والارتقـاء لمستوى اجتماعى أفضل كلما ضعفت قدرته على الإنجاب.

وبذلك فإن نظريته تتبع قانون طبيعي يحل الإنسان من أى مسـئولية عن التحكم فى زيادة عدد أفراده ، حيث أن الطبيعة هى التى تحقق ذلك عـن طريق إضعاف اهتمام الإنسان بالتوالد (الإنجاب) ، تخصيص مزيـد مـن الجهد فى تنمية شخصية فى تحصيل العلم ، والقيام بالعمل.

ولقد ركز فى نظريته علـى النسـاء للتدليـل علـى صحـة هـذه الافتراضات خاصة من يشتغلون بأعمال شاقة أو ذهنية تستلزم المزيد مـن الوقت والجهد والقدرة مما يقلل من معدل خصوبتـهن (أو القـدرة علـى الإنجاب).

كذلك يعتقد سبنسر أن الوفرة فى الغذاء تزيد القدرة على الأنسـال، وأن الرخاء يؤدى لتزايد السكان ، كما يرى أن النساء المشتغلات بالأعمـال التى تتطلب مجهودا ذهنيا ، خاصة اللاتى ينتسبن إلى الطبقة العليا، أنه برغم

افتراض تغذيتهن بشكل أفضل لتوافر عنصر الدخل الكبير (المال) أكثر من تغذية سيدات الطبقة الدنيا (الفقيرة) ، وأنهن ينلن رعاية صحية أكبر ، إلا أن تناسلهن يكون ضعيفا بسبب الإجهاد الذهنى وعجزهن عن إرضاع أطفالهن ورعايتهن ومدهم بالغذاء الطبيعي.

لذا فقد تنبأ سبنسر فى نظريته بأن مشكلة التزايد السكانى وما يصاحبها من شرور ستتراجع، وستنخفض معدلات هذه الزيادة مستقبلا ما دام الإنسان ينشد الرقى، ويبذل مجهودا كبيرا فى سبيل ذلك، وهو ما يعنى أن نظريته مضادة للنظرة التشاؤمية للفلسفة الاجتماعية عند مالتس والذى قرن الزيادة السكانية بالفقر والبؤس والحروب والمجاعات.

ولقد وجه لهذه النظرية النقد التالي :-

- حاول سبنسر اكتشاف قانون طبيعي ينطبق على الإنسان كما ينطبق على الأشياء الأخرى من المخلوقات أو الجماد (٢: ص٧١).

- حاول أن يخلص الإنسان من مسئوليته عن الإنجاب ولم يظهر حتى الآن قانون طبيعي يؤكد على أن قدرة الإنسان تتناقص طبقا لقانون طبيعي لا سلطان عليه، أو قانون يحقق التطابق بين أعداده ، ووسائل العيش، حيث تزداد الأدلة على استخدام موانع الحمل الواقية من النسل لدى شعوب كثيرة.

- ربط ما بين التطور البيولوجي والمسألة السكانية فى حين أن الواقع لا ينطوى على ذلك الترابط الذى كشفت عنه النظرية ،

التى أكدت على أن حفظ النوع هو القانون البيولوجى العام الـذى يتحكم فى عالم الإنسان والحيوان معا من خلال المحافظة علـــى الحياة، الإبقاء على الجنس عن طريق التوالد، وهذا الغـــرض لا يمكن أن ينطبق على كليهما معا.

٢- نظرية كوارد**و** جيني C. Gini (٨: ص ١٢١)

وهو مفكر إيطالى اهتم بالتفكير السكانى باعتباره مؤشرا على تطور وتغيير المجتمع، ولقد صاغ نظريته عن السكان فى كتابه " أثر السكان فـــى تطور المجتمع" كذلك قدم تصوره عن الزيادة السكانية عام ١٩٢٧ فى مؤتمر السكان، حيث تناول سلسلة من الملاحظات عن الزيادة السكانية والتى حـلول من خلالها توضيح نظريته عن السكان وتقديم مفهوم مناسب عنها.

وعلى الرغم من ان هذه القضايا النظرية عالجت نمو السكان إلا أنها كانت تنحصر فى معظمها على تحليل العلاقة بين السكان وتطور أو تغيـــير بناء المجتمع وخاصـــة مـــن النواحـــى البيولوجيـــة وعلاقتـــها بـــالنواحى المورفولوجية أو البنائية، والاقتصادية أو الثقافية، كذلك تناول أثر الســـكان على وقوع الأزمات الاجتماعية داخل المجتمع وتتلخص نظريته فى الآتي:-

أ- يمر المجتمع بثلاث مراحـــل وهـــى النشـــأة والتكويـــن ، والتقـــدم والازدهار، والاضمحلال والفناء.

ب- افترض أنه فى كل مرحلة من مراحل تطور وتغير المجتمـــع هـــذه يمكن أن نلاحظ خصائص محددة تميز نمو السكان ، ونتائج تترتب علـى

هذا النمو تؤثر فى مختلف جوانب المجتمع البيولوجية والمورفولوجية .. والاقتصادية

ج- حاول البحث عن الشواهد الواقعية التى تؤكد الارتباط بين نمو السكان وتغير المجتمع عبر المراحل الثلاثة.

د- أكد أن النتائج المترتبة على تغير السكان هي:

١-إهمال الأرض الزراعية نتيجة لنقص الأيدي العاملة فى الزراعة وتدهور أحوال الفلاحين الاقتصادية ، وفى المدن يقل الطلب على الصناعات ويزيد الطلب على الإنتاج الاستهلاكي.

٢-يزداد الصراع الطبقي مما يدفع الدولة لحامية نفسها بفرض ضرائب وتشديد رقابتها على الحياة الاقتصادية مما يزيد من عوامل الاضمحلال والفناء.

هـ- اقترح حلا يساعد على تجنب النتيجة الحتمية للمجتمعات ويتمثل فى الأخذ بأسباب الضبط والتحكم فى الزيادة السكانية عن طريق الهجرة وفتح مستعمرات جديدة تتيح فرص العمل فى خارج البلاد.

وبذلك فإن نظريته تقوم على وجود دورة بيولوجية للمجتمع تؤثر فى كثافة السكان من خلال المراحل السابقة حيث تبدأ بزيادة السكان ثم تميل الخصوبة إلى الانخفاض فى الطبقات العليا مما يؤثر على التركيب المورفولوجي للمجتمع ثم تنخفض القدرة على الإنجاب فى باقى الطبقات، مما يعنى أن العوامل السكانية تتمكن خلال فترة قصيرة من تغيير تركيب المجتمع، كما تعمل على خلق تزايد مستمر فى الطبقات الدنيا لشغل الفراغ

الذى يوجد فى الطبقات العليا، كذلك فإنه بعد أن يكتظ المجتمع بسكانه، بدرجة تفوق موارده تبدأ مرحلة الاضمحلال مما يتطلب هجرة أكثر عناصر المجتمع نشاطا وحيوية وخصوبة مما يسهم فى انخفاض الخصوبة مرة أخرى.

ولقد وجه لنظريته النقد التالي (٤: ص ١٢٨)

١-تعتبر أفكاره مجرد فكرا استنباطى ينطوى على مسلمات مثل التسليم لفكرة تطور المجتمع من خلال مراحل محددة.

٢-افترض تفسير النمو من خلال التغير الاجتماعى فى جوانب المجتمع المختلفة وعلاقته المتبادلة بين التغيرات فى السكان إلا أنه لم يوضح القضايا التى استشهد بها للبرهنة على هذه النظرية من تاريخ المجتمع الإنساني.

٣-أنه من الصعب قبول نظريته فى نمو السكان تستند فى تفسيرها للسلوك الإنسانى إلى قوى طبيعية مجهولة لا يستطيع الإنسان تفسيرها أو ضبطها أو التحكم فيها .

٤-عدم إمكانية التنبؤ بأحوال التغير السكانى فى كل المجتمعات وفى كل الأوقات.

٥-ليس من الضرورى أن يتميز مجتمع فى مرحلة تكوينه بدرجة خصوبة مرتفعة وزيادة سريعة فى سكانه، كذلك ليس من المعقول حل المشكلة المرتبطة بالزيادة السكنية عن طريق الهجرة للخارج، خاصة للعناصر المتميزة والنشطة والخبرات فى المجتمع.

٦-لا يمكن الاعتماد على العوامل البيولوجية فقط وإهمال العوامل الأخـرى الهامة فى تفسير الزيادة السكانية حيث أن ذلك يصعب قبوله كما أن نمو العلم أوضح خطأ هذا التفسير.

٧-استمد نظريته من دراسة بعض أحوال السكان فى دول مثـل الرومـان واليونان (الإغريق) لكن الملاحظ أن هناك شعوبا أخرى مثـل الـهند والصين قد أخذت فى نموها اتجاها مغايرا.

٨-لا تختلف الخصوبة من طبقة لأخرى ، خاصة فى المجتمعات النامية.

٩-توجد مجموعة من العوامل الأخرى تحد من الخصوبة مثـل العوامـل الطبيعية كالكوارث والحروب، والمجاعات، والأوبئة، ٠٠٠ وغيرها لـم ينتبه إليها " جيني".

خامسا: المداخل النظرية الثقافية:

يقصد بالاتجاهات التى تبنت التفسير الثقافي ، تلك النظريات التـى ركزت على أحد أو بعض المتغيرات الثقافية باعتبارها مسئولة عن التحكـم فى الظواهر السكانية، وإذا كان من الخطأ على ما يذكر " جوزيف سـبنجر" فى مقاله عن السكان كعامل فى التنمية الاقتصادية ـ أن اعتبرنـا السـكان متغيرا مستقلا ـ فإنه من الصعب أن تعتبرهم متغيرا تابعا للثقافة الحضريـة أو الريفية ، أو للارتقاء الاجتماعى لظروف المجتمع، أو للحراك الجغرافي ، بما يتضمنه من تغيرات ثقافية... الخ.

وبعبارة أخرى فإن المتغيرات الثقافية (الجزئية) تعجز بطبيعة الحال عن تفسير التغيرات البنائية التى تتفاعل مع الظاهرة السكانية على أساس ما سيلى ذكره من نظريات اجتماعية . (١٠: ص ٥٧).

١- نظرية أرسين ديمون A. Dumont (١٨: ص٤٦)

أوضح " ديمون" ان الخصوبة السكانية تتناسب تناسبا عكسيا مع الارتقاء الاجتماعى، فالفرد يميل إلى الصعود إلى مستويات اجتماعية أعلى من طبقته أو بيئته، وهو فى هذا الصعود يصبح من وجهة النظر الثقافية أقل اهتماما بموضوع الإنجاب إذ ينشغل بالتقدم الشخصي عن الرغبة فى إنجاب الأولاد، كما أوضح أنه فى عملية الارتقاء هذه يصبح الإنسان أقل قدرة من الناحية الاجتماعية على الأنسال وفسر ذلك بأنه يبتعد عن بيئته الطبيعية، ويفقد نتيجة لذلك اهتمامه بالأسرة ، إذ أنه لا يتوافر لديه الوقت الكافى لتكوينها، ويركز فى عملية الارتقاء من طبقة إلى طبقة أعلى والتى تعود عليه بالفائدة، بصرف النظر عما إذا كان العائد بالنفع أو بالضرر على المجتمع أو الوضع السكانى بصفة عامة.

كذلك قدم ديمون نقدا لبعض النظريات التى يمكن تسميتها بالنظريات الإحصائية أو التى تبنت المدخل الإحصائي والاقتصادى لتفسير الظواهر السكانية وبخاصة نقد آراء " جون استيورت مل " ، وحسب اعتقاده فإن البلدان ذات الحدود الطبقية الجامدة ــ كالهند ــ فيرتفع معدل الخصوبة غير أنه استنتج كذلك أن أكثر المناطق ازدحاما بالسكان هى المناطق البعيدة عن المدن.

أما المدن التى تمثل جذب للسكان فإنها ينطبق عليها النظرية حيث ينشغل الناس بفرص التقدم أو الترقى الأدبى، أما الذين يعيشون بعيدا عن مراكز الجذب فلا يهتموا كثيرا بفرص الصعود إلى أعلى ، وبالتالى يزيد حرصهم على التناسل والإنجاب.

كذلك أن الراحة فى المدن تشجع على الرفاهية، وهذا يعنى حرص السكان على قلة المواليد للتمتع بمزيد من الرفاهية الاجتماعية، أى أن الزيادة السكانية تتناسب عكسيا مع الرفاهية الاجتماعية . (١٠: ص ٥٨).

كذلك أكد على أنه كلما زادت الديموقراطية والتى ينجذب إليها السكان مما يعنى المزيد من الحراك المسموح به بين الطبقات.

كذلك فإن الثقافة الحضرية تشجع على امتثال المهاجرين من الريف لها مما يجعل هؤلاء المهاجرين أقل اهتماما بزيادة حجم الأسرة عنه عما يحدث فى المجتمعات الريفية التى وفدوا منها.

وأوضح ديمون أن الصفر هو الرقم الوحيد الذى إذا قسم على أى رقم ٤، ٦، ٨ ... الخ تكون النتيجة صفرا ، لذا فإن العامل الفقير لا يجد أرثا لأولاده ، إلا أرثا مساويا لأرثه ــ وهو الفقر ــ وهكذا يزداد نسل الفقراء لأنهم ليس لديهم ما يخسرونه ، كما أنه ربما كان هذا النسل دعما اقتصاديا لهم.

٢- نظرية سترنبرج Sternberg (١٠: ص ص ٥٧: ٥٨)

حاولت هذه النظرية أن تحكم المنطق الأيديولوجي فى النظر للظاهرة السكانية فهو يعتقد ان انخفاض معدل الخصوبة يرجع إلى ما أسماه بتطور

"العقلية الرأسمالية " والأساس الأيديولوجي هنا هو المتحكم فى تخفيض معدل السكان.

كذلك أرجع انخفاض الخصوبة لأسباب نفسية وعقلية محضة، وليس لأسباب طبيعية أو بيولوجية (١٢: ص ٤١).

وعلى هذا فإن الرفاهية الاجتماعية التى تسود فى المجتمع الرأسمالى هى التى تتحكم فى تحديد المرأة لنسلها ، ولقد عارض الفكرة التى مؤداها أن التحضر والثروة يؤديان لانخفاض معدل الخصوبة ، كما أكدت النظرية على بعض الجوانب وهي:-

- الثروة والرخاء ضرورة لنقص معدل الخصوبة، وأعطى مثالا لذلك بالدول الاسكندنافية (كالسويد والنرويج وفلنده)
- التحضر ليس شرطا ضروريا لنقص معدل الخصوبة، فالريف الأكثر خصوبة حيث يميل سكان المدن لتحديد النسل، ولكن التحضر فى حد ذاته ليس هو السبب.
- النساء يبحثن عن المساواة مما قلل من معدل خصوبتهن ، خاصة لمن يعملن فى وظائف عليا تتطلب مجهودا ذهنيا كبيرا.

ومن الواضح أنه عمم نظرية الإرادة (لدومنت) حيث أرجع نقص الخصوبة إلى العقلية الرأسمالية وروح الاستقلال فى العمل.

ولقد وجه لهذه النظرية النقد التالي:-

- أن الخصوبة قد تتزايد معدلاتها مع تزايد الرخاء وليس العكس.

- صعوبة الحصول على المعلومات عن العلاقة ما بين الخصوبة والمستوى الاجتماعى والاقتصادى لعدم توافر البيانات الواقعية والدقيقة عن دخل الأفراد فى المجتمع(لوجود مصادر عديدة للدخل قد لا يتم حصرها مع الدخل الظاهر).

- صعوبة التمييز بين الطبقات العليا والمتوسطة والدنيا، فلا يوجد مقياس كمى دقيق وصحيح، والاعتماد على الدخل أو الملكية لا يحقق دقة هذا المقياس لوجود عوامل أخرى تشكل الطبقة الاجتماعية، رغم أن هدف هذه الدراسات هو التنمية بين الطبقات.

٣- نظرية فتلر Fetler (٢: ص ٧٨)

وهذه النظرية أكدت على أهمية إرادة الإنسان فى تحديد نمط الإنجاب ولقد أكد على بعض الجوانب :

- تختلف جماعات المجتمع وطبقاته فيما بينها من حيث المستوى الاجتماعى والثقافي والاقتصادي .. الخ وهذا يعنى اختلاف القيم خاصة فيما يتصل بتكون الأسرة والرغبة فى الإنجاب، فالطبقات العليا تفضل التقدم الشخصي على الإنجاب فى حين نجد الطبقات الدنيا تتجه أكثر للإنجاب.

- هناك من يقعوا فى الطبقات الدنيا ولكن لديهم مواهب أو مهارات خاصة تمكنهم من الانتقال لطبقات اعلى مما يعنى ان تميزهم عن أقرانهم من الفقراء يحفزهم على الانتقال للطبقات الأعلى هذا يعنى انهم قد لا ينقادوا لغرائزهم حيث يفضلون التقدم الشخصي على الإنجاب.

- تم وضع قانون للخصوبة مفاده " تتناسب الخصوبة تناسبا عكسيا مع الارتقاء الاجتماعى ، كذلك تقدم الفرد وقوة شخصيته ومقدار ترفه يتناسب طرديا مع تطور الفرد.

- ركزت النظرية على ربط إرادة الإنسان بالزيادة السكانية ، كذلك ضرورة أن يكون المجتمع واعيا لهذه الزيادة ويتدخل بإرادة جماعية للحد منها تحقيقا لصالح المجتمع ككل وسعيه نحو التقدم.

- أوضحت النظرية ان المجتمعات المتقدمة يزيد لدى سكانها الرغبة والإرادة للرقى والتقدم مما يقلل النسل والعكس فى الدول النامية، كذلك فإن المجتمعات المحافظة تحرص على ضبط الزيادة السكانية وتحقيق معدلات أقل للنسل. (٦: ص ٤٨)

وبالنسبة " لفنتر " فقد قدم نظرية تتخذ من نفس المنطلق السابق معطياتها النظرية بالنسبة للسكان حيث أشار إلى أن الإنسان بإرادته يحاول التقدم إلى أن يصل إلى درجة من التحرر بحيث يستطيع أن يخضع سلوكه لما تمليه إرادته أكثر من الإستجابة للاحتياجات المادية .. والإرادة هنا تبدو واضحة عند الفئات المثقفة والطموحة.

كذلك يرى أن الأسر الأكثر استقرارا وثراء هى فى الواقع أشدها خوفا من الجوع (١٠: ص٥٩) فالأسرة الغنية تخشى تفتت الملكية على عدد كبير من الأبناء فتلجأ لتحديد النسل، أما الأسر الفقيرة فتعتبر الأطفال أحد العوامل الأساسية لزيادة الدخل للأسرة، حيث يتم إدخال هؤلاء الأطفال لسوق العمل فى سن مبكرة نسبيا.

والأثرياء وحدهم يعلمون أن تقسيم الملكية بين كثير من الأبناء سوف يجعل هؤلاء الأبناء عاجزين عن الاحتفاظ بمكانتهم فى المجتمع، لهذا يرى "فتلر" أن العمال الفقراء لا يقدمون على تحديد نسلهم لما يحدثه الفقر من تأثير ثقافى فى حياة الفقراء، حيث يحرصون على تشغيل الأطفال والانتفاع بأجورهم.

كذلك يؤكد على أن التحليل الاقتصادي لموضوع النمو السكانى يقوم على أساسا التوازن بين عدد السكان والطلب على العمل، على اعتبار أن عدد السكان هو المتغير التابع الذى يعكس التغيرات القصيرة الأمد والطويلة الأمد فى الطلب على العمال.

ولقد حاول " كونتز " تفسير نظرية الإرادة فى البلاد الرأسمالية من خلال:-

١-انه فى حالة عدم وجود تغيرات فى الطلب على العمل فإن الوفيات تتغير مع الخصوبة تغيرا طرديا.

٢-أن التغيرات الكمية فى الطلب على العمل تؤدى إلى تغيرات كمية فى نمو السكان.

٣-التغيرات النوعية فى الطلب على العمل تؤدى لتغيرات فى كمية العمالة سواء أكانت عمالة ماهرة – أو غير ماهرة.

٤-الهجرة من العوامل التى تؤثر علـــى الســكان وتعــزى إلـــى التطورات فى الطلب على العمل وهى تؤثر أيضا فى متغــيرات سكانية أخرى.

٥-ان هناك علاقة بين الدخل والخصوبة، حيث أشــارت التحــاليل الاقتصادية إلى ان النسبة بين الدخل وتكاليف إعــداد وتدريــب مســتوى معيــن مــن العمــال تمثــل علاقــة طرديــة بيــن المتغيرين. (٢: ص ٧٩)

٤- نظرية برنتاتو (١٠: ص ٦٠)

حاول برنتاتو الربط بين انخفاض معدل الخصوبة، والتقدم العلمـــي والتكنولوجي وبخاصة فى المجتمعات الصناعية مما يجعل مباهج الحياة فـــى متناول عدد كبير من الناس وهكذا يزداد انشغال النـــاس باللــهو والتســلية، وبتزايد عدد هؤلاء الناس يقل معدل الخصوبة.

وهكذا يؤدى التقدم العلمى والرفاهية الاجتماعية إلى نقـــص معـــدل الخصوبة وإن كان هذا النقص لا يدل على زيادة الرغبة فى كبـــت الميــل لمباشرة العلاقات الجنسية كما يرى أن المتعـــة الجنســية بالنســبة للفئــات المحرومة من الرفاهية ــ كعمال المناجم ــ تصحبها رغبـــة فـــى إنجـــاب الأطفال ، وأن الأمر ليس كذلك بالنسبة للفئات الموسرة.

وهذا يعنى ان الرخاء والميل إلى اللهو لـهما أساسـهما الاقتصـادي. (١٢: ص٣٨) حيث يزيد نصيب الغنى من اللهو المتاح أكثر مـن الفقـير، كذلك يؤثر اختلاف الموطن أو محل الإقامة، واختلاف نوع العمل لاختـلاف معدل الخصوبة ، وكلها ترجع لاختلاف معدل الرخاء المادي.

وهذا النظام لا يجعل الزواج محببا لدى الرجال فى الطبقات العليـا، والعكس فى الطبقات الدنيا مما يكون له أكبر الأثر فى تزايد أو نقصان معدل الخصوبة أو النسل، فالرخاء يعنى المزيد من الحياة السارة، وبالتالى تحرص الفئات العليا على تحديد النسل رغم أنه يرى أن ذلك ليس فضيلة فـى حـد ذاته.

كذلك فإنه لا يفرق بين الحياة الزوجية ـ الشرعية ـ والرغبة فـى الأبوة حيث اعتبر أن إنجاب الأطفال مجرد رغبة لدى الفقراء، وليس الأمـر كذلك عند الأغنياء.

وهنـاك مجموعـة مـن الآراء التـى اتفقـت مـع هـذه النظرية (١٠: ص٦١) حيث أكد كل من " كونتز "، " بوليبـي" علـى رأى "برنتانو" خلال الإسهامات الجوهرية فى دراستهم للعلاقة ما بين الاختلافـات الثقافية والأيكولوجية فى المناطق المتخلفة والراقية وعلاقتها بالسكان (انطلاقا من نظرية برنتانو) حيث أكدوا أن سكان المدن مثلا أقل إنجابا مـن سـكان الريف، كذلك سكان المناطق الحضرية المتخلفة " **Slums** " أكثر إنجابا مـن المناطق الحضرية الراقية كنتيجة لازدياد معدلات التعليم والثقافة.

ويضيف " بوليبي " أن الديمقراطية والفراغ والرفاهيـة تزيـد مـن الاهتمام بالجنس كذلك يلاحظ " جرن **Grun** " أن الزيادة السـكانية تصـل

لذروتها فى المدن الكبري، لهذا .. فإن هذه الآراء تجزم بأن القيم الثقافية هى المحك الأساسي فى هذه الاختلافات وأن السكن فى مناطق معينة يخلق ثقافة معينة تؤثر بدورها فى المتغيرات السكانية.

تعقيب على النظريات :

ارتبطت هذه النظريات بتيارات فكرية ـ كانت معقولة عندما ظهرت ـ ولكن لكل منها جانب إيجابي وجانب سلبي ـ متمثلا فى النقد الموجه لكل منها ـ ومن الصعب الوصول لنظرية عامة أو قانون يحكم عملية النمو السكانى، ولكن من الممكن اكتشاف ميكانيزمات حركة نمو السكان فى زمان معين ومكان معين، فى أى مجتمع من خلال دراسة البيئة الكلية التى عاشت فيها المجموعة السكانية والعوامل التى أثرت على المواليد ، والوفيات ، والهجرة .. وأيضا التعرف على أثر الظروف الاقتصادية والاجتماعية، والسياسية ... فى عملية النمو والتى اختلفت من مجتمع لآخر ، وكذلك القيم والثقافات والتقاليد، والعرف ... الخ.

لهذا فإن النظريات السابقة مجرد اجتهادات فردية قام بها أصحابها لدراسة المسألة السكانية ، وأغلبهم استخدم أسلوب استنباطى منفصلا عن الواقع الاجتماعى لغالبية المجتمعات المعاصرة له، ولم يتم إجراء دراسات علمية وافية، ودقيقة للتوصل للنظرية من خلال منهج علمى مقنن، لذا فإن أغلب هذه النظريات تعبر فى الواقع عن وجهة نظر أصحابها ولم ترق لمستوى نظرى يؤهلها لكى تكون نظرية جامعة مانعة شاملة لديها القدرة على التفسير والتنبؤ بأحوال السكان فى كل وقت وفى كل المجتمعات.

كذلك فإن هذه النظريات طبقا لما عرضناه من تصنيف اشتراك في وضعها العديد من التخصصات العلمية، وكانت رؤية كل منهم قاصرة بحسب ما لديه من المعرفة السابقة فى تخصصه، أو طبقا لأيديولوجيته النابعة من ظروف المجتمع أو طبقا لنواياهم فى الإصلاح الاجتماعى، إلا انها كلها تتميز بأنها لا تعبر عن أوضاع السكان فى كل المجتمعات (متخلفة ـ نامية ـ متقدمة) كما أنها لم تدرس بشكل متكامل ما بين هذه التخصصات ، وإنما كل من وجهة نظره.

أيضا أغفلت كل النظريات الجوانب والعوامل المتداخلة ، وركزت كل منها على جانب أو اثنين على الأكثر مثل التركيز على الجانب الاقتصادى ، الإحصائي ، الاجتماعي، الثقافي، البيولوجي ... مما أدى لتوجيه العديد من الانتقادات التى أضعفت البناء النظرى لهذه النظريات.

ويلاحظ أن هذه النظريات قدمت أحكاما عامة، إما أنها مفرطة فى التفاؤل وإما مفرطة فى التشاؤم بخصوص النمو السكانى، ولم تحاول أن تقدم منهجا متكاملاً يوضح الحلول والمداخل الممكنة لاستثمار هذه الظاهرة، أو بمعنى أدق نظرة موضوعية وسطية ما بينهم.

كذلك يجب الاعتراف أنه لولا ظهور نظرية " مالتس" والتى نبهت لأهمية وخطورة الظاهرة السكانية وكانت المدخل الحقيقي لمعالجتها بشكل علمى، رغم أنها حاولت تطبيق نظريات رياضية صرفه، وهذا لا يصلح مع الإنسان لحساسية موقفه وتداخل عوامل عديدة مثل الميول والقدرات والاتجاهات والتنظيم الاجتماعى والقيم والعادات ... وغيرها فى الموضوع مما يجعلها مجرد بداية تحتاج للمزيد من الدراسات خاصة فى المجال

الاجتماعي مع استثمار كل الآراء السابقة فى صياغة نظرية أو إطار نظـوى يجمع كل هذه الآراء.

لهذا نجد أن هناك ضرورة لأن يتجه علمـــاء الخدمـــة الاجتماعيـــة لدراسة هذه الظاهرة ومحاولة وضع نظرية للممارسة توضح كيفية التدخـــل المهنى لعلاج المشكلات المترتبة عليـــها أو كيفيـــة التخطيـــط لمواجهتـــها، وتصميم برامج إنمائية ووقائية على جمع الإســـهامات النظريـــة والبحـــوث والدراسات فى إطار نظرى يخدم هذا الاتجاه ويدعمه حتى تظـــهر نظريـــة جديدة للسكان من منظور اجتماعى يراعى ظروف وخصوصيـــة المجتمـــع المصري.

لهذا يمكن وضع مجموعة من المقترحات لتحقيق ذلك:

١) نظرا لأنه لا يمكن لدولة متقدمة ان تضع نظرية لدولة نامية لاختـلاف الظروف بين كل منهم والأيديولوجية ومرحلة الرقى ... الخ ، لذا فإنـــه من الأفضل وضع نظرية تراعى خصوصية الدول النامية ومنها مصـــر وظروفها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية .... مع مراعـــاة التركيز على الجوانب الإمبيريقية.

٢) تحديد أهم المشكلات المترتبة على الزيادة السكانية، والعوامل المؤثـرة على استمرار هذه الزيادة، والإسهام بالدراسات العلمية علـــى مختلـف المستويات فى المهنة لتشخيصها وعلاجها والوقاية منها مستقبلا ، مـــع تجميع كل الإسهامات السابقة فى هذا المجال وبلورتها فى إطار نظـــرى متكامل للاستفادة منه مستقبلا.

٣) العمل على تنقية المهنة من الاتجاهات النظرية المتضاربة ، من خلال استخلاص أوجه القوة فى كل منها واستبعاد أوجه القصور أو الضعف أو التى لا تنطبق على " حالة " المجتمع المصرى مع صياغة هذه العناصر بشكل متكامل نظريا.

٤) تحديد كيفية استثمار وتوجيه الزيادة السكانية كقوى بشرية سواء من حيث الإعداد أو التدريب أو التعليم ... الخ ، وكيفية إعادة بنائها ثقافيا، وقيميا، مع استبعاد القيم المرغوب عنها والمؤثرة على تحقيق هذا الهدف، كذلك تحديد نوعية البرامج والمشروعات اللازمة فى إطار خطة قومية هادفة، حيث أن أغلب الخطط وجهت للحد من الزيادة السكانية فقط، دونما التحديد لكيفية الاستثمار الأمثل لقدرات الإنسان المصرى وطاقاته ، ولكل الطبقات والفئات بالمجتمع بشكل سليم.

٥) لهذا يمكن لدراسات الخدمة الاجتماعية المتخصصة أن تركز على :-

- العلاقة بين التخطيط للموارد البشرية وتحقيق التنمية الشاملة بمعرفة العلاقة بين الزيادة السكانية ومشكلات البطالة ، الأمية ، الجريمة، العشوائيات ، التدهور فى الخدمات، التدهور فى مستوى المعيشة، أو فى نوعية الحياة للمواطن المصري، التلوث البيئي أو التدهور البيئي ... وغيرها.

- كيفية وضع ضوابط للهجرة الداخلية ، وحل هذه المشكلة على المستوى الإقليمي والقومى لما لها من أثر على زيادة الكثافة السكانية وبالتالى تزايد معدلات النمو السكانى والضغط على المدن الكبرى ونموها بشكل سرطانى غير منضبط.

- العوامل المؤثرة على فشل أو محدودية كل الجهد والبرامج الموجهة لتنظيم الأسرة منذ أكثر من خمسة عشر سنة فى الحد من الزيادة السكانية أو التقليل من معدلاتها بالشكل المطلوب (الأمثل) حتى الآن، والأسباب أو العوامل التى تدفع المواطن لعدم الاقتناع بهذه الجهود وكيفية التغلب عليها، كذلك العوامل المؤثرة على السلوك الإنجابي بوجه عام ، أو فى مناطق محددة بوجه خاص.

- الخلل الناتج عن الزيادة السكانية فى بناء المجتمع المصرى وعلاقته بالتركيبات الاجتماعية والطبيعية والاقتصادية والثقافية والسياسية، والقيم المستحدثة فى المجتمع وعلاقتها بالتخلف أو التقدم طبقا للاستراتيجية الموجهة للتنمية، وكيفية تهيئة المجتمع للتفاعل مع المشروعات والبرامج التنموية، قياسا على هذه الاستراتيجية، وتحقيقا لتجنب الأسباب المؤدية للتخلف، وتراجع معدلات الإنجاز رغم كل هذه الجهود التى تبذلها الدولة لزيادة هذه المعدلات.

- الدراسة للفاقد البشرى المتمثل فى زيادة وفيات الأطفال الرضع، زيادة التسرب الدراسي، زيادة الاتجاه للأعمال الهامشية، زيادة معدلات تشرد الأطفال، زيادة معدلات الأحداث المنحرفين، زيادة معدلات هجرة العقول والأيدي العاملة المدربة للخارج، زيادة معدلات التخلف الدراسي، زيادة معدلات الفقر وما ينتج عنه من آثار على السكان، زيادة معدلات البطالة المقنعة، والبطالة الحقيقية بأنواعها مع وضع خطط للتقليل من هذا الفاقد أو وضع

سياسة قومية محددة المعالم ذات مشروعات إنتاجية وخدمية تستوعب أعداد من السكان وأسرهم .

- العلاقة بين معدل نجاح برامج تنظيم الأسرة، وترشيد الاستهلاك المحلى، وترشيد الإنفاق الحكومى، وزيادة الادخار والاستثمار .. وغيرها خاصة فى ظل سياسات الخصخصة والتحولات الاقتصادية والسياسية الحالية، كذلك علاقة التزايد السكانى بمشكلات التعليم والصحة والإسكان ، والغذاء ، والعمل والعمالة،... الخ مع تبنى استراتيجية ذات مدخل تنموى شامل يعتمد على الابتكار لأفكار غير تقليدية لحل هذه المشكلات، مع تعظيم دور المنظمات غير الحكومية والمؤسسات التطوعية والسكان لتحقيق ذلك.

- كذلك دور الخدمة الاجتماعية فى زيادة الإنتاج، وإعادة توزيع السكان وتشجيع العمل فى الصحراء وضع سياسة لتطوير المجتمعات الجديدة وجعلها مناطق جذب سكانى بما يحقق الانتشار على الخير الجغرافى كله فى مصر.

مراجع الفصل:

(١)- عبد الفتاح عثمان : النظرية الاجتماعية بين العلم والفلسفة، القـــاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٩.

(٢)- عبد المنعم عبد الحى : " علم السكان " الأســـس النظريـــة والأبعـــاد الاجتماعية ، طنطا ، مركز النشر والتوزيع بجامعـــة طنطا، ط١، ١٩٨٤.

(٣)- عبد الحميد لطفى حسن الساعاتى: دراسات فى علم السكان، القـــاهرة، دار المعارف، ط٧، ١٩٨١.

(٤)- على عبد الرازق جلبى: " علم اجتماع الســـكان" ن الإســـكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٩.

(٥)- محمد الغريب عبد الكريم : سوسيولوجيا السكان، الإسكندرية، المكتـب الجامعى الحديث، ١٩٨٢.

(٦)- إسماعيل حسن عبد الباري: الديموجرافيا الاجتماعيـــة، القـــاهرة، دار المعارف، ط١، ١٩٨٣.

(٧)- عبد الباسط عبد المعطى وآخرون: السكان والمجتمع، من سلسلة علـــم الاجتماع وقضايا الإنسان والمجتمع، الكتاب الثـــانى، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٧.

(8)- J Overbeek: “ History Of Population Theories” , (Ro Herdam, Rotterdam University Press, 1974).

(٩)- حسن أحمد همام: " التطبيقات العلمية والنظرية لعلم الاجتماع الريفي والحضري " ، مذكرات غير منشورة، كلية الهندسة والتكنولوجيا، جامعة حلوان ، القاهرة، ١٩٩٥.

(١٠)- ثروت أسحق : " علم الاجتماع ودراسة السكان " ، القاهرة، مكتبة الحرية للطباعة والنشر، ١٩٨٤.

(١١)- لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع لكل من:-

- محمد الغريب عبد الكريم : سسيولوجيا السكان، مرجع سبق ذكره، ص٢١.

- عبد الحميد لطفي، حسن الساعاتي: دراسات في علم السكان، مرجع سبق ذكره، ص١٢٢.

- عبد المنعم عبد الحى : " علم السكان" ، مرجع سبق ذكره ، ص٧٨.

- محمد شفيق: " السكان والتنمية " ، القضايا والمشكلات، الإسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٩٨.

(١٢)- أنور عطيه العدل : " السكان والتنمية " ، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٧.

(١٣)- صلاح العبد : علم الاجتماع التطبيقي وتنمية المجتمع العربي ، القاهرة، دار التعاون للطباعة والنشر، ١٩٧٢.

(١٤)- لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع لكل من:-

- ثروت أسحق : مرجع سبق ذكره ، ص ٦٥.

- حسن أحمد همام : مرجع سبق ذكره ، ص٢١٦.

- على عبد الرازق جلبي: مرجع سبق ذكره، ص١٣٨.

- عبد الباسط عبد المعطى – غريب محمد سيد أحمد: مرجع سبق ذكره ، ص ٦٣.

- عبد الحميد لطفى ، حسن الساعاتى: مرجع سبق ذكره ، ص٩٧.

(١٥)-زيدان عبد الباقي : " أسس علم السكان " ، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٦.

(16)- William Petersen: " Population", (N.Y., Mac - Millan Publishing Co., Inc., 1969).

(17)- Kenneth C.W. Kammeyer : " An Introduction To Population" (London , Intertext Books Company Limited, 1972.).

(18)- Warren S. Thompson & David T. Lewis: " Population Problems" (New Delhi, TATA

Mc-Graw- Hill Publishing Company LTD., 1976.).

الفصل الرابع

السلوك الإنساني والبيئة الاجتماعية

إعداد

دكتور/ مصطفى رضا أحمد

محتويات الفصل:

- مقدمة .
- حتمية العلاقة بين الإنسان والبيئة .
- السلوك الإنسانى والبيئة الاجتماعية .
- الخدمة الاجتماعية وتعديل السلوك الإنسانى تجاه البيئة .

مقدمة:

ان الإنسان هو جزء من البيئة الطبيعية ، ولكنه أعقد جزء منها لأنه الجزء الأكثر تطورا . ورقيا من مكونات هذه البيئة ، فالإنسان بحكم تركيبته البيولوجية وخصائصه النفسية والفسيولوجية ، وما يتوافر لديه من دوافع وغرائز وميول ... طبيعية لا يمكن أن يعيش بدونها ، وتكون فى مجملها المكون الأساسى للكيان الإنسانى . (١ :ص١٥)

وهذا الأساس الطبيعى للإنسان يمثل إطارا ضروريا لوجود المجتمع الإنسانى واستمراره . فما المجتمع فى النهاية إلا تركيبة اجتماعية لتنظيم السلوك للإنسان . وإشباع احتياجاته المختلفة .

لهذا فإن دراسة العلاقة بين السلوك الإنسانى والبيئة لها أهمية كبرى خاصة فى الدراسات الإنسانية والاجتماعية بصفة عامة ، والخدمة الاجتماعية بصفة خاصة ، نظرا لما تتضمنه المهنة من اهتمامات بالبيئة وحمايتها ، وذلك من خلال المناهج التعليمية ، واكتساب المهارات الضرورية لطلابها فى هذا المجال الحيوى فيها ، كذلك لما للبيئة من علاقة بالتنمية الاجتماعية الشاملة .

وإذا نظرنا لمكونات العلاقة بين الإنسان والبيئة نجد أنها علاقة تأثير متبادلة حيث يؤثر كل منهم فى الأخر ويتأثر به .. (٢ : ص١٤٢) فالإنسان قد يؤثر فى البيئة بالخير أو بالشر بسلوكه ، فمثلا السلوك العدوانى تجاه البيئة قد يؤدى للعديد من مظاهر التلوث والتدهور البيئى مثل الأنشطة الملوثة للهواء والماء والتربة .. وغيرها أو بالحرص على البيئة وصيانة مواردها ، وحمايتها من التلوث .

كذلك فالبيئة بكل أنواعها الطبيعية والاجتماعية والمصطنعة تؤثر على سلوك الإنسان فمثلا العوامل الجوية كالحرارة والرطوبة أو نوع أو طبيعة الأرض مثل الزراعية ، الصحراوية ، الجبلية .. الخ وكذلك نوع المجتمع الذى يعيش فيه وأسرته و الحى والزملاء فى المدرسة والجيران .. وأيضاً نوع المسكن .. وغيرها ، كلها عوامل تؤثر على تشكيل سلوك الإنسان وتوجيهه .

وفيما يلى سيتم توضيح العلاقة المتبادلة بين السلوك الإنسانى والبيئة سواء بالتأثر أو بالتأثير من خلال عرض المتغيرات المرتبطة بهذه العلاقة وكيفية تفاعل هذه العوامل وميكانيزمات عملها ، وكيفية تشكيل السلوك الإنسانى الرشيد نحو البيئة كدور أساسى فى المهنة .

حتمية العلاقة بين الإنسان والبيئة :-

رغم أن العلاقة بين الإنسان والبيئة ليست علاقة من طرف واحد وإنما علاقة تأثير متبادل إلا أن التاريخ الحديث للإنسان يكشف عن تزايد قدرات الإنسان على السيطرة على قوى الطبيعة بل واستخدامها لتحقيق إشباع احتياجاته ، لذا فأنه عند عرض حتمية العلاقة لابد من تناولها من جانبين وهما :-

أ- تأثير البيئة على الإنسان .

ب- تأثير السلوك الإنسانى على البيئة .

أولاً : تأثير البيئة على الإنسان :-

منذ بداية ظهور العلوم الاجتماعية ظهرت العديد من المؤلفات والدراسات عن هذه العلاقة حيث أن الاهتمام بها يقع ضمن التخصصات الرئيسية لعلم الاجتماع و الأنثروبولوجيا والجغرافيا ... وغيرها .

فنجد فى علم الجغرافيا دراسات تناولت تأثير العوامل أو المتغيرات الجغرافية على سلوك الإنسان مثل المناخ والتضاريس ، ونوعية التربة ، وحالة المطر أو الفيضانات ، أو وجود أنهار أو موارد معدنية من عدمه ... الخ حيث أظهرت هذه الدراسات أن تشكيل أفعال وسلوكيات الإنسان يتأثر بهذه المتغيرات ، فمثلا استخدام الإنسان للماء فى حدود وادى النيل تختلف تماماً عن استخداماته للماء فى المناطق الصحراوية ، وكذلك تشكيل طباعة وعاداته وسلوكياته فى المناخ الحار يختلف عن المناخ البارد أو شديد البرودة، كما أن طاقة الإنسان على العمل تختلف من بيئة إلى بيئة أخرى تبعاً لمثل هذه الظروف .

ونجد علماء الاجتماع وأيضاً علماء الأنثروبولوجيا قد اهتموا بهذه العلاقة وتجلت مظاهر الاهتمام فى دراسة العلماء الأوائل مثل أبن خلدون فى القرن الرابع عشر الميلادى والذى اهتم بدراسة المجتمعات البشرية ووصف سكان الحضر والبدو وتأثير البيئة الجغرافية على السكان من حيث السلوك والعادات والتقاليد والطباع ... وغيرها (٣ : ص١٢) .

وشملت هذه الجهود دراسات لعلماء عرب وأوروبيين لتوضيح المزيد من المتغيرات المرتبطة بهذه العلاقة مما يدل على أهميتها حتى وقتنا هذا ،

بل وحتمية هذه العلاقة رغم تعاقب الزمن ، مما يدل علـــى أنــها ظــاهرة مستديمة وعلاقة أبدية .

وبالنسبة لعلماء الأنثروبولوجيا فقد تركزت جهودهم علـــى دراســة خصائص الإنسان وعلاقتها بالنشاط الإنسانى المرتبط بالبيئة سواء بـــالإبداع والخلق أو بالسلب كالهدم والتدمير للبيئة .

ومن هنا ظهر اتجاه أنثروبولوجيى يذهب إلى أن الفوارق بين البشر هى العامل الأساسى لتفسير ظواهر الحياة الاجتماعية وعملياتـــها ، وكذلـك التأثير على الطبيعة ، حيث يختلفون فى التركيب العضـــوى والخصـــائص السيكولوجية والذكاء ، والقدرات العقلية ، ... وهى المحدد للنشاط الإنســانى سواء بالإيجاب أو السلب تجاه البيئة .

كذلك فأن الخصائص البيولوجية تنتقل من جيل إلى جيــل بواســطة قوانين الوراثة لذا فقد برز تساؤل هام وهو :- هل لهذه الصفات تأثير علــى البيئة ؟

وكان هذا التساؤل محور للعديد من الدراسات فى هـــذا المجـــال أو التخصص ، انتهت إلى تأكيد علاقة العوامل الوراثيـــة والبيولوجيـــة علـــى السلوك وبالتالى على البيئة :-

وخلاصة هذه الآراء أن هناك علاقة واضحة وحتمية بين الإنســـان والبيئة وهذه العلاقة قد درست منذ بدايات العلوم الاجتماعية وتم التأكد منها ، إلا أن تركيز العلماء الأوائل أنصب على إيضاح تبعية الخصائص النفســـية والعمليات الاجتماعية والنشاط الإنسانى والسلوك للبيئة بشكل حتمى حيث أكد

هؤلاء العلماء أن تشكيل نفسية الإنسان وسلوكه ما هو ألا انعكاس لظواهـــر البيئة مما يعنى تأثيرها المباشر على حياته بكافة جوانبها النفسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية ... الخ ، مما يعنى أن وجهة نظرهم تعبر عن اتجـــاه واحد وهو تأثير البيئة على سلوك الإنسان ، وعدم دراسة الاتجاه الثانى هـــو تأثير سلوك الإنسان على البيئة .

ثانيا : تأثير السلوك الإنسانى على البيئة :-

وهى وجهة النظر الثانية ، والتى أكدتها الدراســـات البيئيـــة التـــى ظهرت منذ السبعينات وتلتها دراسات اجتماعية ، واجتماعية بيئية ، تركـــز على نفس المضمون أو وجهة النظر ، حيث أشارت إلى أن الإنسان يملك من القدرات ما يمكن أن يغير به البيئة ، بل والقدرة على إنشـــاء بيئـــة جديـــدة مستقلة تماما عن الظروف البيئية الطبيعية التى قد يتواجد ، أو يعيش فيـــها . (١ :ص١٥) فعن طريق التطور التكنولوجى واستخدام الوسائل والتقنيـــات المتقدمة أمكن إحداث تغيرات كبيرة وإيجاد بيئة تكنولوجية تمثـــل مجتمـــع الحضارة الصناعية المعاصرة ، مما يعنى المزيد من استقلالية الإنسان عـــن الظروف البيئية ، بل وتطويعها فى أغلب الأحيان لمصلحته الشخصية ، بـــل واســـتنزافها فـــى أحيـــان أخـــرى كثـــيرة والأمثلـــة علـــى ذلـــك كثـــيرة مثل : (٤ :ص١١٧)

- سوء استخدام المياه والإسراف الشديد فيها وما يتبعه من فاقد فى المخزون الإستراتيجى للمياه العذبة .

- الاستخدام الجائر للموارد الطبيعية الموجودة فى البيئة .

- التلوث البيئى الناتج عن النشاط الإنسانى بكل أنواعه سواء تلوث الهواء أو الماء أو التربة أيضا التلوث السمعى " الضوضاء " أو البصرى " تشوه المبانى وانتشار القمامة " والتلوث الإشعاعى و الكهرومغناطيسى .. وغيرها .
- الزيادة الهائلة فى المواليد وارتفاع معدلات الهجرة وما ينتج عنها من تكدس سكانى وازدحام خاصة بالمدن الكبرى ، وما يتبعه من مشكلات كالضغط على المرافق والتدهور البيئى ، وانتشار الأوبئة ، والازدحام الناتج عن السكن العشوائى أو فى المناطق الشعبية ، والانحراف والجريمة .. وغيرها .

وهذه مجرد أمثلة بسيطة لما يحدثه السلوك الإنسانى فى البيئة ، ولا تمثل كل النواتج أو الآثار المترتبة عليه ، وهى أن دلت على شئ فإنما تدل على عمق التأثير الناتج عن هذه العلاقة واهميتها وخطورتها على المجتمع ككل ، فالأزمة البيئية هى بالدرجة الأولى ظاهرة سلوكية مرضية تستلزم وعيا بالبيئة ، وتعديلا للسلوك الإنسانى واتجاهاته تجاه البيئة حيث يعزى التدهور البيئى إلى موقف الإنسان من البيئة (٥ : ص٣٧) .

كذلك فأن الإنسان هو المسئول عن حماية البيئة ، من خلال تعديل سلوكياته وذلك من خلال استثارة الإنسان للإلمام بمخاطر التلوث والتدهور البيئى عليه أولا ، وضرورة تكاتف الجهود وتحقيق حياة أفضل . فالتنمية والبيئة متلازمان فلا يمكن للتنمية أن تقوم على موارد بيئية متداعية ، كما لا يمكن حماية البيئة عندما يسقط النمو من حسابه تكاليف تدمير البيئة (٦: ص٧٥) .

مما سبق تتضح حتمية العلاقة بين الإنسان والبيئة ، وأن البيئة تعتبر حاليا هى المتغير التابع للسلوك الإنسانى أكثر من كونها السبب فى تشكيل سلوكه ، وهو ما سوف نتناوله بالشرح فى الجزء التالى :-

السلوك الإنسانى والبيئة الاجتماعية :-

يقصد بالسلوك Behavior بوجه عام أنه عبارة عن الاستجابات الحركية والفسيولوجية " المتصلة بالجسم ووظائفه مثل الغدد والعضلات ..الخ لذا فأن السلوك الإنسانى يتكون من العديد من الأنشطة التى يؤديها الفرد فى حياته اليومية حتى يمكن أن يتواءم مع مقتضيات البيئة المحيطة التى يعيش فيها . (٧ : ص١٧)

ويتمثل السلوك فى الأنشطة الظاهرة الملموسة " كالحركة وإنجاز الأعمال " والأنشطة غير الظاهرة أو غير الملموسة " كالتفكير ، الإدراك ، والتأمل .. الخ " أى أن السلوك يشمل جميع أنشطة الكائن الحى الداخلية والخارجية .

وهناك محاولات لوصف السلوك فيقسم إلى :-

- **سلوك فطرى** : وهو الذى لا يحتاج لتعلم .

- **سلوك مكتسب** : وهو الذى يتعلمه الفرد نتيجة لاحتكاكه بالبيئة المحيطة به

ونلاحظ أن العوامل البيئية المحيطة بالفرد تلعب دورا هاما فى تهذيب وتطوير السلوك الفطرى حتى يكون مقبولا من المجتمع ، ويظهر

تأثير العوامل البيئية على السلوك الفطرى بدرجة كبيرة فى مرحلتين من حياة الإنسان وهما :

- التنشئة الاجتماعية الأسرية .

- التنشئة فى المرحلة الدراسية .

حيث يتعلم فيهما الفرد كيفية تهذيب سلوكه الفطرى " كالعدوان والغرائز الطبيعية " أو من حيث تعامله مع الآخرين ومع البيئة المحيطة به ، مثل استخدام الأساليب المشروعة للحصول على احتياجاته ، وتقليل العنف عند محاولة التفوق على الآخرين وكيفية تنظيم قدراته وطاقاته للوصول إلى الهدف ، كذلك احترام القانون ، واحترام البيئة واكتساب القيم بأنواعها المرغوبة ، وتعلم السلوك القويم كالنظافة ، وترشيد الاستهلاك ، والحفاظ على الجمال ... وغيرها .

وحدوث أى خلل خلال هذه المرحلة يعنى احتمال تراجع السلوك الإنسانى عن الوجهة الصحيحة واتجاهه نحو العدوان والتدمير وعدم الحرص على البيئة واكتساب سلوكيات أقل ما توصف به أنها ضارة له ، وللمجتمع .

وكذلك فأن هناك بعض الخصائص للسلوك البشرى كالأتى :-

- **أنه سلوك مسبب** :أى لا يظهر من العدم ولكن يكون هناك دائما سبب يؤدى إلى نشأته أو "دافع " . (١٩ :ص١٦)

-**أنه سلوك هادف** : بمعنى أن السلوك البشرى يسعى دائما إلى تحقيق غاية معينة أو إشباع حاجة .

-**أنه متنوع** : أى يظهر فى صور متعددة حتى يمكـــن للفــرد أن يتــواءم ويتوافق مع المواقف التى تواجهه .

-**أنه مرن** : بمعنى أن السلوك يتعدل وفقا للظروف المتغــيرة ، والحاجــات والدوافع المتجددة دائما ، مع الأخذ فى الاعتبار أن هـــذه المرونـــة نســبية وتختلف من شخص لأخر طبقا لاختلاف مقومات شخصيته ، حيــث يتــأثر السلوك بكل من :-

أ- عامل السن .

ب- الجنس " ذكر ــ أنثى " .

ج- خصائص الشخصية .

د- الوسط الاجتماعى " المادى أو المعنوى "

هـ- العوامل البيئية الأخرى المحيطة به .

كذلك فهناك نقطة ترتبط بالسلوك وهى أنواعه فهناك :-

- السلوك الإنسانى الفردى .
- السلوك الإنسانى الجماعى " الجمعى " . (٨:ص٧٤)

والسلوك الفردى يتعلق بفرد واحد من حيث ما يتعــرض لــه مــن مواقف حياتية تحمل مجموعة من المثيرات ولها مجموعة من الاســتجابات ، أما النوع الثانى فهو السلوك الذى يتمثل فى علاقة الفرد بغيرة مـــن أفــراد الجماعة أو المجتمع المحيط به وهو أحد صور السلوك الشائعة فـــى الحيـــاة

الإنسانية ، حيث يميل الإنسان بطبيعته إلى الانتماء وتكوين العلاقـات مـع غيره من الأفراد .

ويتمثل السلوك الجمعى فى التأثير المتبادل بين الفـرد والجماعـة ، والقدرة على تطوير قواعد وعادات وقيم ... للسلوك ترتبط بما هو شائع فـى المجتمع .

كذلك هناك السلوك الجماهيرى وهو سلوك جمعى أيضا إلا أنه غالبـا ما يكون سلوك مؤقت ، وقد يتسم فى بعض الأحيان بالاندفاع سـواء نحـو الخير أو العنف . كما أنه يتسم بسرعة الاسـتثارة وانتقـال التـأثير بيـن الجماهير، كما أنه يزيل الشعور بالفردية ، مما يعنى أن الفرد قد لا يشـعر بتصرفاته ، ويعطى اهتمامه لتصرفات الآخرين . وقد يفعل ما لا يمكن أنـه يفعله لو كان بمفرده . ولكن ما الذى يدعو إلى السلوك الإنسانى ؟ وما الـذى يوجه هذا السلوك ؟ وكيف يمكن المحافظة على السلوك ؟

ويمكن الإجابة على ذلك من خلال فهمنا لمكونات السلوك فى مجـال عمله من خلال :-(٩ :ص١١٢)

١- السلوك يشير إلى القوى والطاقات داخل الأفراد التى تدفعهم للسـلوك بطرق معينة ، والقوى البيئية التى تطلق الدوافع .

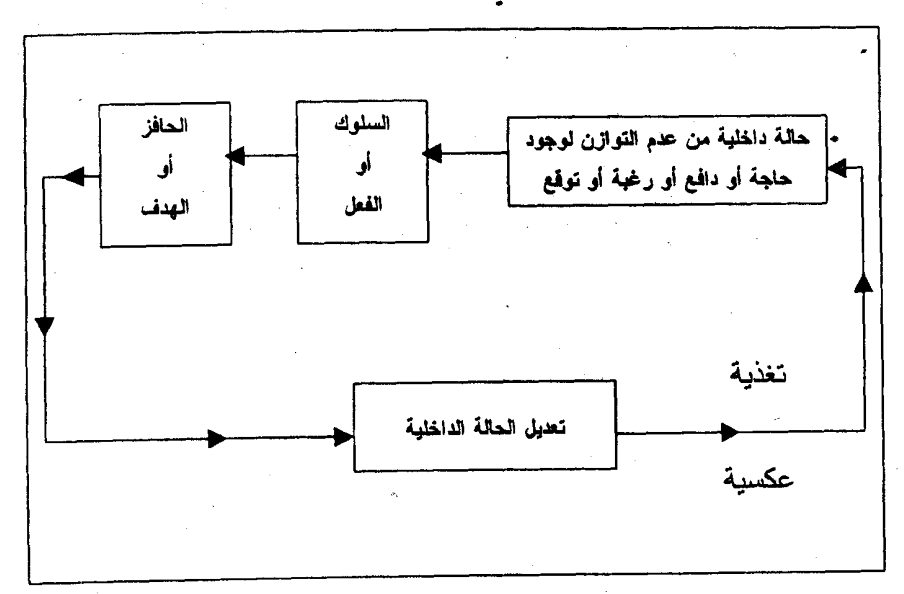
٢- هناك فكرة التهيئة للهدف من جانب الأفراد ، فسلوكهم موجه نحـو تحقيق شئ أو هدف ما .

٣- أن النظرة إلى الدافع تشتمل على أنساق من التهيئة بمعنى أنها تعتـبر تلك القوى الكامنة فى الأفراد وفى المحيط البيئى الذى يقـوم بـدور

التغذية العكسية للأفراد بحيث تدعم كثافة دوافعهم واتجاه طاقتهم أو يعرقلها عن السير فى طريقها ويعيد توجيه جهودها .

ويوضح الشكل التالى التفاعل ما بين المتغيرات السابقة :

شكل رقم (١)



وعندما ترغب فى إكساب الإنسان السلوك المرغوب تجاه البيئة لابد من مراعاة عامل الدافعية حيث يمكن من خلالها جعل الإنسان قادراً على تعلم السلوك ، ثم يقبل على ممارسته ، ثم يحتفظ به ويتابع تنفيذه فى المواقف المشابهة ، ويتم ذلك من خلال :- (١٠ :ص٢١٦)

١- البدء بتغيير نشاط الكائن الحى " الإنسان " .

٢- خلق حالة استثارة فعالة لهذا التغيير . "سلوك البحث عن الهدف"

٣- اختزال حالة التوتر الناشئة عن الدافع ." تحقيق الهدف "

٤- اختزال حالة الاستثارة .

من العرض السابق عن السلوك يتضح أنه يمكن أن يؤثر فى البيئة من جانبين :

أ-جانب إيجابى يتمثل فى الحفاظ على البيئة وحمايتها .

ب-جانب سلبى يتمثل فى التدهور البيئى ، وتلويث البيئة ، وتدمير الموارد البيئية .

أولا: السلوك الإنسانى والحفاظ على البيئة :-

أن مشكلة المحافظة على استقرار التوازن البيئى ، واستقرار النظم البيئية من أهم المشكلات التى تواجه إنسان العصر الحالى ، بل أن الإنسان نفسه يعتبر أحد العوامل الأساسية فى الحفاظ على البيئة واستقرارها أو فى تدميرها وعدم استقرارها وأهم الطرق لتحقيق ذلك هى :

١- الحفاظ على البيئة من التلوث ومكافحته ، ووضع التشريعات اللازمة لذلك وتشجيع البحوث والدراسات فى هذا المجال .

٢- تنمية الوعى البيئى لدى الناس من حيث كيفية الحفاظ على البيئة وكيفية التعامل معها ، واستخدامها لإيجاد أفضل نظام ممكن لعلاقة الإنسان مع البيئة .

٣- الحرص على الخضرة بعدم قطع الأشجار وزيادة الرقعة الخضـــراء والتوسع فى إنشاء الحدائق ، أو تشجيع نشر الخضرة فى كل الأماكن والمشاركة فى مشروعات التشجير بالجهود الذاتية والحرص علـــى عدم الرعى الجائر ، والحفاظ علـــى الـــثروة الخضـــراء وتعـــهدها بالرعاية المستمرة .

٤- الحفاظ على الأرض الزراعية وعدم تجريفها أو البناء عليها .

٥- تنظيم المكافحة الكيميائية للأفات ، واستخدام المكافحة البيولوجية بدلا من المبيدات الحشرية والتى ينتقل تأثيرها للنبات والحيوان والإنسان.

٦- المشاركة فى الجهود المدعمة للبيئة مثل التخلص من القمامة ، وطفح المجارى والتشجير ، مقاومة الآفات والحشرات والحيوانات الضـــارة ..وغيرها .

٧- الامتناع عن الصيد الجائر ونشر المحميات الطبيعية لحماية الكائنـــات المعرضة للانقراض من الفناء مع تشديد العقوبات فـــى التشـــريعات المرتبطة بذلك .

٨- تحسين وسائل التخلص من الفضلات والنفايات وعدم تلويث البيئـــة بها .

٩- ترشيد الاستهلاك للموارد البيئية خاصة المياه العذبة والغذاء .

١٠- ضبط معدلات الزيادة السكانية حتى لا تستنزف الموارد البيئية.

١١- الاهتمام بزيادة الوعى البيئى والثقافة البيئية لدى الناس .

١٢- الحرص على استخدام التكنولوجيا النظيفة فى الصناعة واستخدام المرشحات " الفلاتر" وكذلك فى المواصلات بتقليل العوادم الناتجة عن وسائل النقل باستخدام الوقود الغازى بدلا من الوقود السائل والحرص على صيانة المعدات باستمرار .

١٣- استعمال الأدوات والأجهزة والمعدات الأقل ضجيجا على قدر الإمكان والحرص على مراعاة إصدار التشريعات التى تمنع انتشار الضوضاء .

١٤- وقاية الناس من أخطار التلوث الكهرومغناطيسى والإشعاعى كذلك وقاية العمال المعرضين لأخطار التلوث فى مواقع العمل ، وتوفير الأمن الصناعى والتغذية المناسبة لهم .

١٥- الاهتمام بمواصفات البناء للسكن أو للتصنيع أو لغيرها من الأنشطة بمراعاة العنصر البيئى والصحى ، وعدم البناء بشكل عشوائى أو غير مرخص لما له من أضرار بيئية وصحية خطيرة على الإنسان .

١٦- التخلص من الأمراض الاجتماعية بتقليل معدلات الجريمة والانحراف، والقيم السلبية كاللامبالاة ، والأنانية والفردية ،والمادية البحتة والاغتراب عن المجتمع ، ومحاربة الإدمان ... وغيرها .

١٧- المواءمة بين النمو السكانى والقدرة الإنتاجية للبيئة والحرص على وجود علاقة بين الإنسان والبيئة تقوم على التوازن والمنفعة المتبادلة.

ثانيا : السلوك الإنسانى وتدهور البيئة :-

البيئة هى الإطار الذى يعيش فيه الإنسان ويستمد منـــها المقومـــات الحياتية من غذاء وكساء ومأوى .. كما أنه يمارس فيها علاقاته مع أقرانـــه من بنى البشر ، والعلاقة بين الإنسان والبيئة دائما متفاعلة ودينامية وليســت جامدة أو استاتيكية ، لهذا فإن فعل الإنسان يؤثر على البيئة أن خيرا فخـــير وأن شرا فشر بمعنى أن سلوكه بالضرورة عائد عليه فـــى شـــكل أمـــراض وأوبئة .. أو وفرة فى الغذاء وارتفاع فى المستوى الصحـــى والاجتمـــاعى ..الخ .

والبيئة تعرف بنمط العلاقة بينها ومستخدمها فهى إما بيئة صحيـــة أو بيئة متدهورة وملوثة ، لذا أصبحت مشكلة التلوث قضيـــة عامـــة حظيـــت بالاهتمام والدراسة لأن أثارها شملت الإنسان نفسه فى كل مكان .

ولقد أمتد أثر التلوث إلى كل مجـــالات الحيـــاة البشـــرية والماديـــة والصحية والنفسية والاجتماعية ، مما أدى إلى حالة تعرف " بالتمزق البيئى " جعلت الإنسان يعيش فى دوامة من القلق والاضطراب والخـــوف ممـــا قـــد يصيبه من أضرار بيئية .(١١:ص١٥٥)

كذلك فالتلوث كحالة قائمة فى البيئة وناتجـــة عـــن مجموعـــة مـــن المتغيرات المستحدثة فيها ونتج عنها المزيـــد مـــن الإزعـــاج والأضـــرار والأمراض .. للإنسان عن طريـــق الإخـــلال بتـــوازن الأنســـاق البيئيـــة (١٢ :ص٣٠١) مما يعنى عدم توافر البيئة الملائمة للإنسان والكائنات الحية بصفة عامة وهو ما يؤدى بصورة مباشرة أو غير مباشرة إلى التأثير ســـلبا

على سلامة الوظائف المختلفة لكل الكائنات الحية علـــى الأرض " الإنســـان والحيوان والنبات " ، وبالتالى التأثير على نوعية الحياة .

ورغم أن مشكلة التلوث البيئى حظيت بالاهتمام الأكبر مـــن كافـــة التخصصات والدراسات والبحوث حتى رسخ فى أذهان الكثيرين أن التلـــوث هو المشكلة الوحيدة للبيئة إلا أن هناكَ العديد من المشكلات الأخرى المرتبطة بالسلوك الإنسانى مثل :-

- مشكلة التصحر الناتجة عن تدمير الغابات وعدم الاهتمام بالتشـــجير "الخضرة "
- مشكلة الفقر وما يتبعها من مشكلات اجتماعيـــة وأمنيـــة وإســـكانية ..الخ.
- مشكلة استنزاف البيئة الهامة وعدم ترشيد الاستهلاك ... وغيره من المشكلات البيئية الهامة .

وفيما يلى عرض لبعض المظاهر السلبية للسلوك الإنســـانى تجـــاه البيئة:-

<u>أولا : مشكلات التلوث :-</u>

١- مشكلة تلوث الهواء

فى شكل أدخنة أو أتربة أو غازات أو أبخرة بنسب غير طبيعية قـــد تنتج عن طريق القمامة أو التدخين أو المصانع المخالفة لصهر الرصاص أو غيرها من الأنشطة الصناعية الملوثة للبيئة أو استخدام معدات وأجهزة بـــها

أعطال مثل وجود عيوب فى محرك السيارة يؤدى لانبعاث غازات ضـــارة ... وغيرها من أشكال السلوكيات السلبية المؤدية لتلوث الهواء ، والتى ينتج عنها انتشار ملوثات الهواء وهذه الملوثات تتمثل فى ثانى أكسيد الكربـــون ، وهو غاز خانق ولكنه غير سام ، وثانى أكسيد الكبريت " والذى ينتـج عـن احتراق الوقود كالبترول والفحم " وأكاسيد النتروجين الناتجة عـن احـتراق الوقود " مثل السولار والمازوت " ومركبات الرصاص ، وهــذه الملوثـات تؤدى إلى الأضرار التالية :- (١٣:ص٢٢)

-إصابة الإنسان بالصداع المزمن ، والدوار ، والغثيان و القيء ، وارتفـــاع ضغط الدم ، والتشنجات ، وصعوبة التنفس ، وضعف التركـــيز ، وخفقـــان القلب والسعال والربو والالتهاب الشعبى ، ضيق التنفس وتلـــف الرئتيـــن ، والتهاب العيون والحنجرة والرئتين .

-انتشار ظاهرة الأمطار الحمضية والتى تؤثر على النباتـــات التـــى يأكلـــها الحيوان والإنسان ، وما تنقله من أمراض خطيرة كنتيجة لذلك.

-يؤدى انتشار الأتربة الناتجة عن الأنشطة الصناعيـــة مثـــل الأســـبتس أو السيليكيا الليفية ، ورقائق الحديد ، وأتربة القطن ، وغبار الخشـــب، غبـــار التبغ، وأبخرة الزرنيخ الناتجة عن صناعة المبيـــدات الحشـــرية، وأبخـــرة الكاديوم الناتجة عن صناعة السبائك والبطاريـــات ومـــادة كلوريـــد الفنيـــل المستخدم فى صناعة البلاستيك وغيرها إلى إتلاف المبانى والمنشآت وإلحاق الأضرار بالماشية ، والحيوانات المنزلية ، وأتلاف الغطاء الأخضر للأرض، كما تؤدى لظاهرة الاحتباس الحرارى " زيـــادة حـــرارة الأرض " .(١٤: ص٤٤)

-استخدام المبيدات الحشرية والغازات المستخدمة فى أجهزة التبريد "كالثلاجات " وهى " الكلورو فلورو كربونات " واستخدام الرزازات فى تصفيف الشعر ومزيلات الروائح .. وغيرها (١٥: ص٦٣) وينتج عنها العديد من الأمراض نتيجة لتدمير طبقة الأوزون مثل سرطان الجلد ، ونقص المناعة المكتسبة ، والتغير فى المناخ ، وتناقص المحاصيل الزراعية ، والثروة السمكية ، و أصابه العيون بمرض المياه البيضاء ، وكل هذه المخاطر تخل بالتوازن البيئى وتلحق الضرر بالإنسان .

-التلوث الناتج عن الازدحام مما ينتج عنه انتشار الرزاز الحامل للأمراض ، وأضرار التدخين فى أماكن مغلقة ومزدحمة مثل سرطان الرئة وغيرها من أمراض الحساسية والنزلات الشعبية والصراع ... الخ .

-يرتبط تلوث الهواء ببعض الأضرار الاجتماعية والنفسية والعقلية ..الخ التى تؤثر على الإنسان مثل الأرق ،وسرعة الاستثارة ، واضطراب الذاكرة، وقد تصل إلى الاكتئاب أو الصرع ، وأيضا ضعف القدرة على التركيز والانتباه مما ينعكس على ممارسة الإنسان لعملة وقيامه بأدواره ووظائفه الاجتماعية ، كذلك زيادة العدوانية وما ينتج عنها من مشكلات وجرائم كذلك الإصابة بالأمراض المزمنة التى تستنزف موارد الإنسان ودخله " كمثال فأن التلوث بعادم الأسمنت يؤدى لضعف القدرات الحركية وتدهور الوظائف العقلية والإصابة بالرئة الحجرية وهو مرض يؤدى للموت " كما أن هذه المظاهر كلها تعنى التأثير على الإنتاج وارتفاع تكاليف الإنفاق على الخدمات الصحية وتدهور المستوى المعيشى والتعرض للفقر . (١٦ :ص١٢٨)

٢-تلوث الماء :-

قد تضر سلوكيات الإنسان بالموارد المائية وتلوثها مما يعود عليـــه بأضرار بالغة يمكن أن تشير لأهم مظاهر تلوث الميـــاه وأضرارهـــا فـــى الأتى :-

- التلوث الناتج عن مياه الصرف الصناعى والزراعى ، وما تحمله من مواد كيميائية ونفايات سامة تضر بالثروة السمكية ، كما تسبب مـــرض الفشل الكلوى لما لها من آثار سمية هائلة على الإنســـان ممـــا يســـبب السرطان وعسر الهضم . (١٤ :ص٦١)
- إلقاء المنظفات الصناعية فى مياه الصرف الصحـــى الناتجـــة عـــن الاستخدام المنزلى أو الصناعى مما يسبب أمـــراض الفشـــل الكلـــوى . والسرطان . (١٣ :ص٤٥)
- التلوث بمياه الصرف الصحى بدون معالجة وأيضا الصرف الصناعى مما يسبب الفشل الكلوى والالتهابات الشديدة بالجلد والســـرطان وتليـــف الكبد والكوليرا .
- تلويث مياه الأنـــهار والبحـــار بـــالمواد البتروليـــة ، والفضـــلات ، والمخلفات الصلبة ، وإغراق النفايات السامة فى البحـــار ... وغيرهـــا وأثره على الثروة السمكية والتى تنقل للإنسان العديـــد مـــن المخـــاطر والأمراض الناتجة عن هذا التلوث .

- تلويث المياه بالتبول والتبرز فيها مما يؤدى لانتشار البلهارسيا وتليف الكبد وسرطان المثانة ودوالى المرئ والفشل الكلوى ، كذلـــك الإصابـــة بالانكلستوما وغيرها من الفطريات والجراثيم .

ويتضح مما سبق أن سلوك الإنسان تجاه المياه وعدم مبالاته بتلويثها أدى للعديد من الأمراض والمخاطر المتمثلة فى احتواء المياه علـــى بكتريـــا خطيرة مثل السالمونيلا والشيجلا والكوليرا ، كذلك تكون مواد كيمائية ســـامة تؤدى لتسمم الأسماك وقتلها ، وانتقال هذه الأمراض للإنسان ، كذلك انتقـــال العديد من الطفيليات الخطرة التى تهلك الإنسان وتفتك بصحته مما يؤثر على قدرته على العمل وبالتالى انخفاض الإنتاج ووفاة الكثيرين بالأمراض المزمنة (١٧ :ص٦٩) .

٣-التلوث بالقمامة والفضلات :-

مثل الفضلات الآدمية والحيوانية والقمامة المنزلية سواء فى المدن أو القرى والتى يتم إلقاؤها والتخلص منها بطرق بدائية ، كذلك فضـــلات ذبـــح الماشية ومخلفات المزارع كالقش ومخلفات الطيور الداجنة وغيرها والتى يتم التخلص منها بالحرق أو إلقاءها فى المصارف والترع والمجارى المائية ... أو بأى أساليب بدائية مما يتسبب فى تلويث المياه والتربة والهواء وانتشـــار السحابة السوداء صيفا ... وغيرها كذلك انتشار القوارض والحشرات الناقلـة للعديد من الأمراض للإنسان ، وتلويث مياه الشرب بما يساعد على انتشـــار العديد من الأمراض . (١٤ :ص٨٤) .

٤-التلوث البصرى (١٦ : ص١٣٧) :-

يعتبر تحقيق الجمال مطلب أساسى لأى تكوين معمارى فى أى مجتمع وفى أى عصر فالإحساس بالجمال مطلوب فى المبانى والمنشآت ، وفى النظافة العامة للشوارع وفى انتشار الخضرة والحدائق لذا فأن سلوكيات الإنسان السلبية تعمل على نشر التلوث البصرى المتمثل فى :-

ـ السكن العشوائى والبناء بدون ترخيص داخل وخارج المدن وإلحاق وحدات سكنية بوحدات مبنية من الأصل والارتفاعات المتباينة للمساكن والألوان المتنافرة للعمارات والوحدات السكنية .

ـ ندرة المساحات الخضراء والأشجار بالإضافة للتعدى على الخضرة من خلال تدمير الحدائق واقتلاع الأشجار والبناء الخرسانى مكانها .

ـ عدم التجانس المعمارى حتى فى الشارع الواحد وتنافر الشكل والتشويه لأغلب المساكن .

ـ عدم التجانس مع البيئة المحيطة مما يؤدى لعدم راحة الإنسان وتخزين الحرارة وزيادة الإحساس بها فى البيئة الحارة .

وكل هذا يؤدى للإحساس بالتلوث البصرى وما يتبعه من مشكلات نفسية واجتماعية ومرضية وفاقد فى التكاليف والوقت و إهدار للثروة العقارية وانتشار الأمراض الناتجة عن الازدحام والتلوث الهوائى وضياع الخصوصية وغيرها من الأضرار .

الخدمة الاجتماعية وتعديل السلوك الإنساني تجاه البيئة .

مع تزايد المشكلات البيئية وتفاقمها ، وانعكاساتها الخطيرة على حاضر الإنسان ، ومستقبله ، ارتفعت الأصوات ، وعقدت الندوات والمؤتمرات المحلية والعالمية ، التى تنادى بضرورة مواجهة تلك المشكلات، والعمل على حلها مع وضع القوانين والتشريعات البيئية اللازمة للحد من السلوك المدمر للإنسان تجاه البيئة ، غير أن القوانين وحدها لا تستطيع أن تحقق الغرض المرجو منها أن لم تستند إلى وعى وإدراك يصل إلى ضمير الإنسان ذاته ، ويكون عنه اتجاهات وقيم بيئية ، وضوابط سلوكية من أجل الحفاظ على البيئة .

فالإنسان لابد أن يدرك أن البيئة ملكه وما يفعله بها يعود عليه أولا وأخيرا وبالتالى فلمهنة الخدمة الاجتماعية دورا هاما فى تكوين القيم والاتجاهات من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية ، وإعداد الأفراد ، والجماعات ، وتنظيم أهالى المجتمعات وتوجيههم توجيها سليما داخل المؤسسات التى تعمل بها ، وخارجها ، مع استخدام هذه المؤسسات كمراكز للإشعاع البيئى للمناطق المحيطة بها ، باستخدام وتنفيذ البرامج ذات الوسائل المناسبة " الأمثل " .

كذلك استخدام التخطيط السليم لهذه البرامج ، ومن خلال المؤسسات لإكساب الناس السلوكيات والاتجاهات المرغوبة تجاه البيئة ، من خلال توفير تفاعل صحى سليم بين أفراد المجتمع وبيئتهم التى يعيشون فيها ، مما يجعلهم قادرين على التصرف بدافع من احترام القوانين – أن وجدت – أو العمل

على إصدار تشريعات وقوانين جديدة لازمة ، بما يتمشى مع مصلحه المجتمع والفرد على حد سواء .

ومن خلال ممارسة مهنة الخدمة الاجتماعية فى مجال حماية البيئة يمكن المساهمة فى إيقاف تفاقم تدهور البيئة والمشكلات البيئية ، والحد من تزايدها ، وذلك عن طريق برامج لتوعية المواطنين بهذه المشكلات ،والتى أصبحت تشكل خطورة على مستقبل الإنسان والمجتمع ، فالإنسان هو مشكلة البيئة الأولى ، فلم يعد فى مقدور الأنظمة " الأنساق " البيئية الاستجابة لمطالبة ، ما لم يحافظ عليها فالبيئة طاقة واحتمال مجدود بإمكانها أن تعطى ولكن فى حدود اتزانها المرن .

كذلك فأن نجاح أى سياسات لحماية البيئة يفترض سلفا تعاون جميع فئات السكان – دون تمييز – وكل القوى الاجتماعية ، بدافع إحساسها بمسئوليتها الاجتماعية تجاه البيئة ، وحمايتها ، وتحسينها وهذا يتطلب عملا اجتماعيا وجهودا مهنية مستمرة ، خاصة مع فئات الشباب ، والمرأة ، حيث أنهم يلعبون دورا هاما فى مجتمعهم ، كما أن الشباب مطالبين فى المستقبل كمسئولين باتخاذ قرارات لا تؤثر على البيئة فقط وإنما تعود عليهم وعلى بلادهم .

مما سبق يتضح أن لمهنة الخدمة الاجتماعية دورا محوريا وفعالا ورائدا بالتعاون مع غيرها من المهن فى تحقيق أهم متطلبات حماية البيئة وهى تغيير الإنسان ويمكن لها أن تقوم بمثل هذا الدور من خلال :-

١- التركيز على التوعية والمشاركة الشعبية للمواطنين فى برامج حماية البيئة والعناية بتدريب الكوادر والفنيين ومساعديهم ليمكنهم من

معالجة الجوانب المختلفة للمشكلات البيئية ، وأيضا تعبئة هذه الجهود وتنسيقها وتوجيهها بشكل سليم ومنظم .

٢- الإسهام فى إصدار التشريعات والقوانين اللازمة لحماية البيئة وصياغة السياسات الاجتماعية ، المراعية لهذا الهدف ، مع الأخذ فى الاعتبار الآثار بعيدة المدى لمشكلات البيئة .

٣- الاهتمام بالتنشئة الاجتماعية السليمة للطفل وللشباب لمساعدتهم على اكتساب القيم البيئية ، وتذوق الفن والجمال والحفاظ على الخضوة ، وأهمية التشجير وحماية التراث ، وفهم البيئة والتكيف معها ، وذلك بالتعاون مع الأسرة والمدرسة والجامعة ، ومراكز الشباب ، وبيوت الثقافة والإعلام ... وغيرها من المؤسسات التى تعمل بها أو تتعاون معها .

٤- الإسهام الفعال والمباشر فى العمل على تعديل السلوك السلبى تجاه البيئة ، والحد من المشكلات البيئية والمعاونة فى زيادة الوعى البيئى باستخدام البرامج والمشروعات والأنشطة التى يمارس الأخصائيين الاجتماعيين العاملين فى أى مكان وفى كل المجالات والمؤسسات مثل المدارس بكافة أنواعها ومراحلها ومراكز الشباب والجامعات... وغيرها وباستخدام الندوات والمحاضرات والمعسكرات والاحتفالات والمسابقات وفى الريف والحضر كذلك قيادة جهود العمل الاجتماعى فى مجال البيئة فى الجمعيات الأهلية العاملة فى مجال التنمية وحماية البيئة ، وأيضا فى المؤسسات الإنتاجية كالمصنع .. وغيرها وإكساب الأفراد المعارف والمهارات والخبرات والاتجاهات البيئية السليمة من

خلال هذه الجهود بما يمكنهم من حل مشكلاتهم ووقاية البيئة حاضرا ومستقبلا .

٥- الاهتمام بأعداد الأخصائيين الاجتماعين بحيث تتضمن إعدادهم نظريا وعمليا الجوانب التالية : (١٦ :ص١٦٠)

أ- فهم موقع الإنسان فى إطار البيئة والإلمام بعناصر العلاقات المتبادلة التى تؤثر على ارتباط الإنسان بالبيئة .

ب- إيضاح دور العلم والتكنولوجيا فى تطوير علاقة الإنسان بالبيئة وإدراك ما يترتب على اختلال توازن العلاقات من نتائج قد تؤثر على حياة الإنسان .

ج- إبراز فكرة التفاعل ما بين العوامل الاجتماعية والحضارية والقوى الطبيعية ومعاونة الطلاب على أدارك تصور متكامل للإنسان فى إطار بيئته.

د- تكوين وعى بيئى لدى الطلاب وتزويدهم بالمهارات والخبرات والاتجاهات الضرورية التى تجعلهم أكثر إيجابية فى تعاملهم وتصرفاتهم مع البيئة وأكثر قدرة على قيادة جهود حماية البيئة فى المجتمع مستقبلا والتأثير على اتجاهات وخبرات الأخرين فى تعاملهم مع البيئة .

هـ- دراسة بعض القيم والعادات والتقاليد والثقافات ... السائد فى المجتمع خاصة فيما يتعلق بالبيئة وتأثير ما يعوق منها تنمية

البيئة والإنسان والأساليب الأمثل التى يمكن مواجهة هذه المعوقات بها .

و- تأكيد أهمية التعاون بين الأفراد ، والجماعات والبيئات والهيئات الحكومية والخاصة بمستوياتها المختلفة فى البيئة .

ي- التأكيد على أهمية البحوث التطبيقية ، ومداومة الزيارات الميدانية ، ومعايشة الظروف البيئية ، حتى يمكن الخروج بنماذج للممارسة تصلح للدراسة فى مجال البيئية ، مع زيادة الاهتمام بدراسة مادة البيئة فى مقررات الخدمة الاجتماعية .

٦- استخدام طرق الخدمة الاجتماعية فى زيادة الوعى البيئى وتعديل سلوكيات المواطنين كالآتى :- (١٦: ص١٦٧)

أ- خدمة الفرد :-

-التعامل مع الأفراد الذين يمثلون نماذج سلبية منتشرة فى المجتمع مثل المدخنين – للتخلص من هذه الظاهرة ، أو غيرها من السلوكيات الضارة .

-تحديد أهم الأسباب والعوامل التى تساعد على زيادة معدلات السلوك السلبى.

-دراسة السلوكيات الخاطئة من قبل الأفراد تجاه البيئة وعلاجها .

-الإلمام بالعوامل الاجتماعية المرتبطة بتلوث البيئة مثل القيم والعادات السلبية والعمل على تغييرها لدى الأفراد .

-الإسهام فى توعية الأفراد وتعديل اتجاهاتهم وسلوكهم ليتناسب مع البيئة.

-الإفادة من أساليب العلاج كالمعونة النفسية والاستبصار .. وغيرها فى تعديل السلوك الإنسانى السلبى تجاه البيئة .

-المساهمة فى عمليات تنظيم الأسرة .

ب- خدمة الجماعة :-

- المساهمة فى نشر الوعى البيئى بين جماعات الشباب والطلاب ..
- المساهمة فى تدعيم الاتجاهات الإيجابية نحو البيئة .
- تدعيم القيم الإيجابية نحو البيئة .
- إكساب الجماعات المهارات البيئية .
- مشاركة الجماعات فى برامج حماية البيئة .
- توجيه وقيادة البرامج الجماعية المناسبة لحماية البيئة مثل المسابقات، والمناقشات الجماعية ، والمعسكرات ، والرحلات ، والمعارض ... وغيرها.

ج- تنظيم المجتمع :- (١٨: ص٣٨٢)

- العمل مع قيادات المجتمع لزيادة الوعى البيئى لديهم وحثهم على قيادة الجماهير للعمل فى مجال حماية البيئة وتنظيم البرامج المناسبة لذلك واكتشاف قيادات جديدة .
- التحرك السريع لمواجهة الانحرافات والمشكلات بالمجتمع والمحافظة على الإطار القيمى السليم ، وقيادة العمل الاجتماعى فى مجال حماية البيئة .
- خلق الوعى البيئى والاجتماعى لدى الإنسان المصرى من خلال تهيئة المناخ المناسب ، ومساعدة المواطنين على تفهم المعلومات والحقائق بشكل شامل .
- استثارة المشاركة فى مجال حماية البيئة لكافة المواطنين .
- الاهتمام بالاتجاه الوقائى فى مجال حماية البيئة ، وتكوين رأى عام فى هذا المجال .
- التنسيق والتكامل بين المؤسسات العاملة فى مجال حماية البيئة .

د- التخطيط الاجتماعى :-

- التعاون مع خبراء التخطيط العمرانى للمدن لمراعاة البعد البيئى .
- الاشتراك مع فريق الخبراء فى التخطيط الصناعى لأخذ الاعتبارات البيئية ضمن خطة إنشاء المصانع الجديدة

- وضع الخطط التى تعتمد على الأبعاد الاجتماعيـــة البيئيـــة للتنميـــة المتواصلة .

- القيام بالبحوث البيئية وإدخال التخطيط فى كل المجالات البيئية .

- القيام بعمليات الرقابة والمتابعة والتقويـــم للـــبرامج والمشـــروعات البيئية.

المراجـــع

١. جمال مجدى حسانين : أسس علـــم الاجتمـــاع " الإســكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ٢٠٠٠ .

2. Parker G. Marden & Dennis Hodgson : Population, Environment And The Quality Of Life, "N.Y., John Wiley & Sons Inc.,1974

٣. محمد الغريب عبد الكريم : سوســيولوجيا الســكان ، الإســكندرية، المكتب الجامعى الحديث ، ١٩٨٢ .

4. Paul. R Ehrlich & Ann H. Enrlich. Population Resources Environment " San Francisco, W.H Freeman and Company, Inc.2970.

٥. محمد نجيب توفيق حسن : الخدمة الاجتماعية فى مجال حماية البيئــة من التلوث ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٧ .

٦. اللجنة العالمية للبيئة والتنمية " مستقبلنا المشترك " ترجمة محمد كامل عارف، الكويت ، عالم المعرفة ، أكتوبر ١٩٨٩ .

٧. إبراهيم الغمرى : " السلوك الإنسانى " الإســـكندرية دار الجامعـــات المصرية ، ١٩٧٩ .

٨. على السلمى : الســلوك الإنســانى فــى الإدارة " ، القــاهرة ، دار المعارف، ١٩٧٢ .

٩. سيد عبد الحميد مرسى ، العلاقات الإنسانية ، من سلسلة دراسات نفسية إسلامية ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٩٨٧ .

١٠. أنور محمد الشرقاوى : التعلم نظريات وتطبيقات ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٧ .

١١. رشيد الحمد ، محمد سعيد صبارينى : البيئة ومشكلاتها ، القاهرة ، دار الهلال للطباعة والتجارة ، ١٩٨٤ .

١٢. توفيق محمد قاسم : التلوث مشكلة اليوم والغد ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٩ .

١٣. محمد نبهان سويلم : التلوث البيئى وسبل مواجهته ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٩ .

١٤. طلعت إبراهيم الأعوج : التلوث الهوائى والبيئة ، الجزء الأول ، للقاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٩ .

١٥. جابر عوض سيد ، حاتم عبد المنعم أحمد : البيئة والتنمية والخدمة الاجتماعية، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٤ .

١٦. محمد كمال عبد العزيز : " الصحة والبيئة ، التلوث البيئى وخطره الداهم على صحتنا " ،القاهرة ، دار الطلائع ، ١٩٩٩ .

١٧. أحمد محمد السنهورى وآخرون : الخدمة الاجتماعية والبيئة ، القاهرة، دار السعيد للطباعة والنشر ، ١٩٩٣ .

18- John Burton: Conflict : Human Need Theory, London, The Macmillan press LTD., 1990

الفصل الخامس

الواقع السكاني في مصر

إعداد

د/فؤاد حسين حسن

محتويات الفصل

- مقدمة .
- أولاً: ملامح النمو السكانى فى العالم .
- ثانياً: المشكلة السكانية فى الواقع المصرى .
- ثالثاً: العوامل المؤثرة على السلوك الإنجابى فى مصر.
- رابعاً: الآثار المترتبة على المشكلة السكانية .
- خامساً: المداخل المقترحة لمواجهة المشكلة السكانية .

مقدمة

يعد تزايد النمو السكانى فى العالم نتيجة حتمية للزيادة الطبيعية الناجمة عن ارتفاع أو ثبات معدلات المواليد فى ظل الانخفاض المستمر والمطرد لمعدلات الوفيات ...

فلقد تزايد عدد سكان العالم تزايدا هائلا مستمرا برغم ما مر به من كوارث ، وما تعرضت له الشعوب فى مختلف أنحاء العالم من حروب وأوبئة وعوامل أخرى مدمرة ، ولا زال معدل الزيادة السكانية فى ارتفاع مطرد نتيجة التقدم البشرى المستمر فى العلوم والفنون وما يتبعه من توفر مقومات الحياة وتحسن المعيشة وارتفاع متوسط العمر (١١٢،١) .

ومن الملاحظ أن الزيادة السكانية لم تحدث بنسب متساوية بين مناطق العالم المختلفة ، وإنما اختلفت القارات بعضها عن بعض من هذه الناحية ، كما اختلفت الأجناس أيضا فى نسب زيادتها ، أما بالنسبة للأقطار المختلفة فنجد أن تضاعفها لم يحدث هو الأخر بنسب واحدة (٣٨،٢) .

ولقد جذب هذه التزايد السكانى السريع والمستمر انتباه واهتمام الكثير من العلماء والمفكرين وآثار قلق ومخاوف بعضهم على مستقبل البشرية فى ظل استمرار هذا التزايد السكانى مع محدوديه الطبيعة ومواردها ...، وظهر العديد من الآراء والأفكار التى تحذر من عواقب وأخطار وأضرار التزايد المفرط فى النمو السكانى " مالتس ، ريكاردو ،جون ستيوارت ميل ...وغيرهم " الأمر الذى أدى إلى اهتمام حكومات العالم والمنظمات الدولية بدراسة السكان والاهتمام بمختلف الأنشطة السكانية عملا على التخفيف من حدة التزايد السكانى ومواجهة أثاره وأخطاره .

وفيما يلى سوف نعرض فى هذا الفصل بعض ملامح النمو السكانى فى العالم والمشكلة السكانية فى مصر وأبعادها ،والعوامل المؤثرة على السلوك الإنجابى ، والآثار المترتبة على المشكلة السكانية ، والمداخل المقترحة لمواجهتها .

أولا: ملامح النمو السكانى فى العالم :

لقد مرت بالعالم قرون طويلة كانت الزيادة بين سكانه طفيفة ، إلا أن عدد السكان أخذ ينمو بشكل واضح ابتداء من القرن الثامن عشر، أما خلال القرنين التاسع عشر والعشرين فقد أصبحت الزيادة أكثر وضوحاً (٣٧،١) .

ويوضح الجدول التالى عدد سكان العالم فى السنوات المختلفة (٣٨،٣) .

السنة	العدد	المدة المستغرقة فى التزايد
١٨٠٤	بليون	—
١٩٢٧	٢بليون	١٢٣
١٩٦٠	٣بليون	٣٣
١٩٧٤	٤بليون	١٤
١٩٧٨	٥بليون	١٣

فلقد استغرق العالم ١٢٣ سنة لينتقل من البليون الأولى عام ١٨٠٤ إلى البليون الثانية فى عام ١٩٢٧، أما البليون التالية من الزيادة فقد استغرقت ٣٣سنة ، حيث بلغ عدد سكان العالم ٣بلايين نسمة فى عام ١٩٦٠،

واستغرقت البليون التى تلت ١٤سنة حيث بلغ عدد سكان العالم بلايين نسـمة فى عام ١٩٧٤ ، ولم يمضى سوى ١٣ سنة قبل أن يبلغ عدد سكان العـالم ٥بلايين نسمة فى عام ١٩٨٧ .

ولقد قدر عدد سكان العالم فى عام ١٩٩٤ بحوالى ٥,٦ مليار نسـمة وتقدر الزيادة السكانية بما يزيد عن ٨٦ مليون نسمة سنوياً وتشير الاسقاطات السكانية التى وضعتها الأمم المتحدة للسنوات العشرين القادمـة أن نمـاذج الاسقاطات السكانية تتراوح بين ٧,١ مليار نسمة فى النموذج المخفض إلـى ٧,٥ مليار نسمة فى النموذج المتوسط ، وإلى ٧,٨ مليار نسمة فى النمـوذج المرتفع ، وكذلك يتوقع مع حلول عام ٢٠٥٠ أن تتراوح نماذج الاسـقاطات السكانية بين٧,٩ مليار نسمة فى النموذج المنخفض إلى ٩,٨ مليار نسمة فـى النموذج المتوسط إلى ١١,٩ مليار نسمة فى النموذج المرتفع (٨،٤ :٩) .

والزيادة بين سكان العالم يمكن أن ترجع إلى عدة عوامـل يتمثـل أهمها فيما يلى (١٠٩،٥ :١١٠) :-

١- التقدم المستمر فى العلوم الطبية والعلاجية وأثر ذلك فى الحـد مـن آثار الأمراض المعدية والوبائية بل والعضوية أيضاً ، بالإضافة إلـى تحسن الظروف المحيطة بالحمل والولادة ورعاية الطفل والصحـة العامة .

٢- تزايد معدلات الهجرة واتساع نطاقها فى القرن الأخير وبوجه خاص الهجرة إلى العالم الجديد فى الولايات المتحدة واستراليا ونيوزيلنـدا مع استمرار عملية استغلال الأراضى الجديدة فى أجـزاء العـالم ، وهو ما أتاح فرصاً جديدة للعمل ، وأدى إلى انتعاش اقتصادى كبـير ساهم بدوره فى التزايد السكانى .

٣- حركة التصنيع الكبيرة التى أدت إلى زيادة السلع المنتجة وسهولة نقلها وتوزيعها ، مما مهد سبل العمل لأعداد كبيرة من الأفراد .

٤- أثر التقدم العلمى فى مجالات مختلفة الذى أدى بدوره إلى التوسع فى بناء المساكن لتستوعب أكبر عدد من السكان مع زيادة الإنتاج الزراعى والحيوانى والسلعى ... الخ.

٥- التوسع فى الاستخدامات الآلية وخاصة ما يتعلق بالآلات الزراعية وغيرها من المواد التى ترتبط بحاجات الإنسان الأساسية .

وتجدر الإشارة إلى أن هناك اختلاف وتباين بين المجتمعات من ناحية النمو السكانى فالمجتمعات النامية تتسم بارتفاع معدلات النمو السكانى بصورة مستمرة ومتزايدة ، بينما المجتمعات المتقدمة تتسم بمحدودية وبطء معدلات النمو السكانى ... لذلك يمكن تصنيف المجتمعات وفقاً لمعدلات نموها السكانى على النحو التالى :

١- مجتمعات متقدمة تتسم بانخفاض معدلات المواليد وانخفاض معدلات الوفيات ، ولذلك فهى مجتمعات مستقرة من حيث النمو السكانى ، حيث تحدث زيادة سكانية طفيفة ومحدودة .

٢- مجتمعات نامية تتسم بارتفاع معدلات المواليد وانخفاض معدلات الوفيات ولذلك فهى مجتمعات تتسم بارتفاع معدلات النمو السكانى حيث تحدث زيادة سكانية مفرطة وسريعة .

٣- مجتمعات متخلفة تتسم بارتفاع معدلات المواليد وارتفاع معدلات الوفيات ولذلك فهى مجتمعات تتسم بانخفاض معدلات النمو السكانى حيث لا تحدث زيادة سكانية نتيجة تساوى معدلات المواليد والوفيات رغم ارتفاع كليهما .

ويوضح الجدول التالى المؤشرات الديمجرافية الرئيســـية لإجمـــالى العالم من ١٩٥٠-٢٠١٥ (٣، ٣٤) :

المنطقة	حجم السكان بالملايين	معدل التغيير السنوى %	معدل المواليد الأولى لكل ألف من السكان	معدل الوفيات الأولى لكل ألف من السكان	إجمالى معدلات الخصوبة	معدل وفيات الرضع (لكل ألف من السكان	العمر المتوقع عند الميلاد
العالم							
١٩٥٠	٢ ٥١٦	١,٧٩	٣٧,٥	١٩,٧	٥,٠٠	١٥٥	٤٦,٤
١٩٧٥	٤ ٠٧٨	١,٩٦	٣١,٥	١٢,٢	٤,٤٦	٩٢	٥٧,٩
١٩٩٥	٥ ٧٥٩	١,٦٨	٢٦,٠٠	٩,٢	٣,٢٦	٦٢	٦٤,٧
٢٠١٥	٧ ٦٠٩	١,٢٥	٢٠,٢	٧,٨	٢,٦٢	٤٠	٧٠,٢
البلدان المتقدمة النمو							
١٩٥٠	٨٣٢	١,٢٨	٢٢,٦	١٠,١	٢,٨٣	٥٦	٦٦,٠٠
١٩٧٥	١ ٠٩٥	٠,٨٦	١٦.٧	٩,٣	٢,٢١	٢٢	٧١,١
١٩٩٥	١ ٢٤٤	٠,٥٤	١٤,٢	٩,٧	١,٩١	١٢	٧٤,٦
٢٠١٥	١ ٣٦٦	٠,٣٨	١٣,٠	١٠,٠٠	٢,٠١	٨	٧٧,٥
البلدان النامية							
١٩٥٠	١ ٦٨٤	٢,٠٤	٤٤,٧	٢٤,٤	٦,١٩	١٨٠	٤٠,٧
١٩٧٥	٢ ٩٨٣	٢,٣٨	٣٧,٢	١٣,٣	٥,٤٢	١٠٥	٥٤,٥
١٩٩٥	٤ ٥١٥	٢,٠١	٢٩,٤	٩,١	٣,٦٤	٦٩	٦٢,٤
٢٠١٥	٦ ٢٤٢	١,٤٤	٢١,٩	٧,٣	٢,٧٥	٤٤	٦٨,٦
أقل البلدان نموا							
١٩٥٠	١٩٤	١,٨٩	٤٨,١	٢٧,٧	٦,٤٩	١٩٣	٣٥,٧
١٩٧٥	٣٤٤	٢,٤٧	٤٧,٥	٢١,١	٦,٦٨	١٤٨	٤٣,٦
١٩٩٥	٥٩٠	٢,٩٤	٤٣,٩	١٥,٦	٥,٩٧	١١١	٥٠,٢
٢٠١٥	٩٧٩	٢,٣٩	٣٤,٠٠	٩.٩	٤,٢٨	٧٣	٥٨,٨

ومما لا شك فيه أن التزايد فى معدلات النمو السكانى فى أى مجتمـع من المجتمعات من شأنه أن يخلق أوضاعا اجتماعية واقتصادية وبيئية تتباين وفقا لقدرات المجتمع وإمكاناته ومعدلات التنمية التى يحققها ومدى تناســبها

مع معدلات التنمية التى يحققها ومدى تناسبها مع معدلات التزايد السكانى ... وغيرها ولذلك أصبح الفكر الاقتصادى .

فالنمو السكان السريع يمكن أن يزيد الضغط على الموارد ويسبب بطء أى ارتفاع فى مستويات المعيشة ، ومن ثم لا يمكن تحقيق التنمية المستدامة إلا إذا كان حجم السكان وزيادتهم منسجمين مع الإمكانيات الإنتاجية المتغيرة للنظام الايكولوجى (٣،١٥) .

والمشكلة السكانية ترجع فى أصولها إلى العلاقة المتينة بين عدد السكان من جهة وبين الإنتاج الاقتصادى من جهة أخرى ، فإذا كان الإنتاج الاقتصادى يزيد فى مجتمع ما بحيث يكفى الزيادة السكانية فثمة لا مشكلة ، وإذا زاد الإنتاج عن حاجة الناس ارتفع مستوى معيشتهم ، أما إذا قل الإنتاج عن حاجة الناس فثمة مشكلة سكانية يلزم حلها (٦، ١٩٤ : ١٩٥) .

ثانيا: المشكلة السكانية فى الواقع المصرى :

يعد المجتمع المصرى من المجتمعات التى تعانى من اختلال العلاقة بين معدلات النمو السكانى ومعدلات التنمية ، حيث يتسم بارتفاع معدلات النمو السكانى بشكل مطرد وسريع ، وفى ذات الوقت يعانى من محدودية الموارد الطبيعية والإمكانات الممكن استثمارها لتحقيق التنمية والوفاء بمتطلبات إشباع الاحتياجات للأعداد المتزايدة من السكان .

ولقد أفرز هذا الواقع اختلاف فى وجهات النظر حول قضية التزايد السكانى فى علاقتها بمعدلات التنمية ، فالبعض يرى أن المجتمع المصرى يعانى من مشكلة سكانية تتمثل فى ارتفاع معدلات النمو السكانى بشكل حاد ومطرد فى ظل محدودية الموارد الطبيعية والإمكانيات ، بينما يرى البعض

الأخر أنه لا توجد مشكلة سكانية بل أن المشكلة الحقيقية تتعلق بانخفاض معدلات التنمية .

ولعل الفهم الشائع حول قضية التزايد السكانى إلى مزيد من الدراسة المتأنية ، ومن الضرورى عدم فصل الظاهرة السكانية عن سياقها التاريخى المجتمعى من ناحية ، وعدم تجاهل الدراسات النظرية والتطبيقية من ناحية أخرى بالإضافة إلى ضرورة مراجعة الخبرات الدولية فى شأن العلاقة بين السكان والتنمية (٧، ٤٥) .

فالسكان يمكن أن ننظر إليهم كمستهلكين ويمكن النظر إليهم كمنتجين فى نفس الوقت ، كما وأن زيادة عند السكان تعنى زيادة عدد الأفواه التى تطلب الطعام ، وكذلك فهى أيضا تعنى زيادة الأيدى العاملة القادرة على العمل (١،١) .

فالمشكلة السكانية ذات طابع نسبى بمعنى تتوقف على درجة تطور النظام الاجتماعى فعدد السكان الذى يعبر عن فائض سكانى فى ظل درجة معينة من التطور قد لا يكون فائضا سكانيا فى مرحلة أخرى من مراحل التطور .. وهى أيضا ـ المشكلة السكانية ـ ذات طابع تاريخى بمعنى أنها ارتبطت وولدت فى إطار عملية النهب الرأسمالى العالمى ونمط التراكم الرأسمالى العالمى أى من خلال النهب الاستعمارى لبلدان العالم الثالث والذى أدى إلى تشويه العلاقة المتوازنة والتى كانت قائمة فى تلك البلدان بين النمو السكانى وبين درجة التقدم الاقتصادى و الاجتماعى بها ... لذلك يمكن القول أن المشكلة السكانية الموجودة الآن فى البلدان المتخلفة لا تفسر بالعوامل الديموجرافية داخل هذه البلاد وإنما لابد من ربطها بالنظام الرأسمالى العالمى وتغلغله فى هذه البلاد بصوره المختلفة بمعنى أنها عملية

تاريخية ظهرت كنتيجة مباشرة لعمليات نهب وسلب الفائض الاقتصادى للبلدان المتخلفة وتجميد نموها وفرض نوع من الركود المستمر على اقتصادياتها فى ظروف صحية أدت خفض معدلات الوفيات وهو ما أدى إلى المحافظة على العوامل المؤدية لارتفاع معدل المواليد (٨، ٧٥ : ٨٣) .

وبذلك فأصحاب وجهة النظر هذه لا يروا أن هناك مشكلة سكانية فى ذاتها بل هى مشكلة اقتصادية اجتماعية سياسية مرتبطة بالظروف التاريخية للدول النامية وتطور النظام الاجتماعى بها .

وتركز هذه الآراء على أهمية العنصر البشرى فى تطور المجتمع وفعاليته فى تهيئة الظروف المناسبة لزيادة معدلات التنمية السسيو اقتصادية بالمجتمع (٩ ،١) .

فالزيادة السكانية تعمل على توفير العمالة اللازمة للإنتاج وذلك بتوفير خطة تدريب وتوزيع العمالة المتاحة لتحقيق أفضل عائد اقتصادى واجتماعى .. ومثال ذلك الاتجاه نحو الميكنة الزراعية مما يوفر أعداد من العمالة يمكن توجيهها إلى المجالات التى تعانى من نقص فى العمالة .. وكذلك يدلل البعض على وجود فوائد عديدة للزيادة السكانية منها ما يحدث الآن من هجرة العمالة إلى الدول العربية والعائد الذى تحصل عليه مصر نتيجة لهذه الظاهرة من عملة صعبة ومن التخلص من العمالة الزائدة (١٠ ،١٨) .

التحليل العلمي لقضية السكان

لذا قضية السكان يجب النظر إليها في التحليل العلمي من منظورين متكاملين (٤٥،٧ :٤٦) هما :-

المنظر الأول :

يتعلق بطبيعة الظروف التى مرت بـــها الفئـــات الدنيـــا فـــى هـــذه المجتمعات وخاصة الظروف المادية حيث تمثل الزيادة السكانية لها مصـــدر خير خلاف ما هو شائع فى المعنى السياسى للسلطات المحلية وما هو شـــائع أيضا فى المعنى الأكاديمى الوافد على هذه المجتمعات .

المنظور الثانى :

فيمثل الخطر الحقيقى حيث أن النظرة الشائعة للظاهرة السكانية ، قـد أفضت إلى تصور البعض من أهل العقـــد والحـــل أن إصـــلاح الأحـــوال الاقتصادية والاجتماعية رهن بالعثور على حل للمشكلة السكانية وذلك فـــى الوقت الذى تترقب فيه الجماهير بصبر نافذ تحقيـــق عـــدد مـــن التغـــيرات السياسية والاقتصادية للخروج بالبلاد من أزمتـــها الاقتصاديـــة الاجتماعيـــة المتفاقمة .. ومن هذا الرأى فإن المنطق للقضية المحورية ليســـت الزيـــادة السكانية وإنما العلاقة غير المتوازنة أو غير المتكافئة بين السكان والتنميـــة وبرغم تعدد جوانب الموضوع إلا أن الاهتمام بجانب النمو السكانى بســـبب النظرة الاقتصادية السطحية التى سادت فوضعت النمو السكانى والاقتصـــادى على شطرى معادلة يتم معادلتها بإقصاء الجزء الزائد من الســـكان لصـــالح النمو الاقتصادى دون مراعاة أو فهم للعلاقات المتبادلة التى تتواجـــد بيـــن شطرى المعاملة ، وقد يكون السبب أن السياسة الاقتصاديـــة الفاشـــلة فـــى المجتمعات النامية لا تؤدى إلى التنمية بقدر ما تؤدى إلى التخلف .

فالمشكلة تتمثل فى خلل العلاقة بين السكان والتنمية ـ منجزات التنمية ـ وانعكاس هذه المنجزات على أوضاع كل من قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج الخاصة .. وبذلك تتمثل المشكلة فى إمكانية التوجيه الرشيد للطاقات البشرية والاستثمار الأمثل للقوى العاملة وبذلك فالزيادة السكانية ليست بمشكلة فى حد ذاتها لكنها مسألة نسبية وتعتمد نسبتها على طبيعة العلاقة الدينامية بينها وبين التنمية من ناحية ، وعلى العلاقة المتبادلة بين المتغيرات الديموجرافية والمتغيرات الاقتصادية من ناحية أخرى .. لذا فالتطورات التاريخية ذات دور أساسى فى تحديد سمات وملامح الوضع القائم فى الدول المتخلفة (١١ ، ٤: ٧) .

وهكذا برزت المشكلة بشقيها :

- هل الحد من التزايد السكانى المرتفع هو الطريق الأمثل لتحقيق التوازن الاقتصادى والاجتماعى من أجل رفع مستوى المعيشة ؟ .
- أم التوازن يتحقق برفع معدلات التنمية للحاق بالمعدلات المرتفعة للنمو السكانى (١٢ ، ١٢) .

ورغم أن الكثيرون المتتبعين للتغيرات السكانية يرى أنه من الضرورى أن يصبح موضوع خفض معدلات نمو السكان هدفا قوميا وأن ينال أولوية كبيرة ومع ذلك فإن هناك من هو أقل اهتماما بهذا الموضوع ويتحدث عن فوائد زيادة حجم السكان .. ورغم ذلك فإن هناك شيئا واحد يتفق عليه الجميع وهو أنه يجب عدم التغاضى عن هذا الموضوع .. لذا فإن المؤمنين بضرورة خفض معدلات المواليد " الزيادة السكانية " يعترفون بوجود مشكلة سكانية ، بينما نجد أن المعارضين لذلك يعترفون بضرورة تناول موضوع السكان كمسألة تحتاج إلى الإعداد لها من حيث توفير الغذاء

والتعليم والرعاية الصحية وفرص العمل للإعداد المتزايدة من السكان (١٠،١٧) .

وبعد العرض السابق لوجهات النظر المتباينة حول قضية السكان فى علاقتها بالتنمية ، نرى أن هناك اختلال وعدم توازن بين معدلات النمو السكانى ومعدلات التنمية .

و المشكلة السكانية التى تواجهها مصر ذات الأبعاد الثلاثة هى (٩،١٣) :

١- ارتفاع معدل النمو السكانى .

٢- عدم التوازن فى التوزيع الجغرافى .

٣- انخفاض الخصائص السكانية .

وهذه الأبعاد تتفاعل فيما بينها كما تتفاعل باقى مكونات النظام الاجتماعى الاقتصادى بصورة تبادلية حيث أن هذه المشكلة السكانية تشكل إحدى العقبات التى تعترض سبيل التنمية وجنى ثمارها وانعكاسها علي المجتمع ، كما أن مستوى لتنمية يؤثر بدوره على علاج المشكلة السكانية بأبعادها المختلفة .

البعد الأول : ارتفاع معدل النمو السكانى :-

من المعروف أن عدد سكان مصر كان فى بداية القرن التاسع عشر حوالى خمسة ملايين نسمة ، وزاد العدد بصورة مضطرده حتى بلغ حوالى عشر ملايين نسمة فى نهاية القرن التاسع عشر .. ثم تضاعف بعدئذ مرة أخرى بحلول منتصف القرن العشرين ، وتضاعف مرة ثالثة فى أقل من

ثلاثين عاما بعد ذلك .. وهكذا نلاحظ أن الفترة الزمنية التى يتضاعف خلالها عدد السكان تقل باطراد ، فبعد أن كانت مائة عام صارت خمسين عـام ثـم أصبحت ثلاثين عاما .. وكان وراء ذلك عوامل أساسية كامنة هى العوامـل البيولوجية أى معدلات المواليد والوفيات ، فقد تسبب التناقص المستمر لمعدل الوفيات وثبات معدل المواليد على مستوى مرتفع فـى الإخـلال بـالتوازن الديموجرافى التقليدى فى مصر (٢: ١,١٤) .

وتشير الإحصائية التالية لأعداد السكان ومعدلات نموهم خلال فترات التعدادات المختلفة (١٣،١٥/ ١٩) .

سنوات التعداد	عدد السكان	معدل النمو السكانى
١٩٣٧	١٥,٩٢٠	
١٩٤٧	١٨,٩٦٧	١,٧٥
١٩٦٠	٢٦,٠٨٥	٢,٣٤
١٩٦٦	٣٠,٠٧٦	٢,٥٢
١٩٧٦	٣٦,٦٢٦	١,٩٢
١٩٨٦	٤٨,٢٥٤	٢,٧٥

ولقد بلغ عدد سكان مصر الموجودين بالداخل فى تعداد عـام ١٩٩٦ حوالى ٥٩,٢٧٢,٣٨٢ نسمة بعدل نمو سكانى يبلغ ٢,١ % (١٣،١٦) .

وارتفاع معدل نمو السكان نجم عن الزيادة الطبيعية فى أعداد السكان نتيجة لاستمرار التزايد وارتفاع معدل المواليد وفى الوقت الذى تنخفض فيه معدلات الوفيات بشكل مطرد ومستمر .

والزيادة الطبيعية هى الفرق بين أعداد المواليد والوفيات فى سنة معينة .

معدل الزيادة الطبيعية = الفرق بين معدل المواليد ومعدل الوفيات فى سنة معينة .

وتشير الإحصائيات إلى أن معدلات المواليد المسجلة انخفضت من أكثر من ٤٠% فى منصف الستينات إلى ٣٦,٢% عام ١٩٨٢ ثم تذبذبت ارتفاعا وانخفاضا إلى أن بلغت ٣٨,٦% عام١٩٨٦ ، ثم ٣٠,٩% عام ١٩٩٠ كما بلغت ٢٩,٢% عام ١٩٩١ ثم انخفضت إلى ٢٦,٢% عام ١٩٩٢، ثم ارتفعت ٢٨,١ عام ١٩٩٣ ، ثم إلى ٢٨,٩% عام ١٩٩٤ ثم انخفضت إلى ٢٧,٧% عام ١٩٩٥ (١٠،١٥) .

كما تشير الإحصائيات إلى أن معدلات الوفاة الخام قد تذبذبت حول ٢٥% حتى أواخر الأربعينات ثم انخفضت مع بداية الخمسينات إلى حوالى ١٩% ثم إلى ١٠% مع بداية الثمانينات ثم انخفضت إلى ٧% فقط عام ١٩٩٥ (١٠،١٥) .

ويوضح ذلك أن معدلات الزيادة السكانية ارتبطت بارتفاع معدلات المواليد وانخفاض معدلات الوفيات .

وتجدر الإشارة إلى أن عدد سكان مصر المقيمين بالداخل قد بلغ فى أول يناير عام ١٩٩٨ حوالى ٦٠٧٠٥٨٣٩ نسمة بمعدل نمو سكانى سنوى

يبلغ ٢,٠٩% ، وأن عدد سكان مصر يزايد فى المتوسط فرد واحد كل ٢٥,١ ثانية ، وأن متوسط الزيادة الشهرية فى عدد السكان تبلـــغ ١٠٤,٧٦ آلــف نسمة، ولو استمر التزايد السكانى بنفس المعدل من المتوقع أن يصــل عــدد سكان مصر فى عام ٢٠٢٩ إلى حوالى ١٢٣ مليون نسمة (١١،١٧) .

البعد الثانى : عدم التوازن فى التوزيع الجغرافى :

يتسم المجتمع المصرى بسوء التوزيع الجغرافى واختلال التـــوازن الجغرافى حيث توجد مناطق مأهولة ترتفع فيها الكثافة السكانية بمـــا يفــوق المعدلات المتعارف عليها مع وجود مناطق أخرى تنخفــض فيــها الكثافــة السكانية بشكل ملحوظ ولقد نجم ذلك عن عوامل طبيعية حيث أن الحياة فـــى مصر ارتبطت بالوادى الضيق حول مجرى نهر النيل ودلتاه حيــث المنـــاخ المعتدل ووفرة الموارد المائية والتربة الخصبة ... الخ ممـــا ســـاعد علـــى تمركز السكان حول مجرى نهر النيل ودلتاه وعدم انتشـــارهم علـــى بقيـــة المساحة الجغرافية الشاسعة من مساحة المجتمع المصرى .

والكثافة السكانية فى الوادى والدلتا من أعلى الكثافات فى العـــالم ، إذ تصل فى المتوسط إلى ٩٠٠ نسمة فى الكيلو متر المربع، وترتفع فى بعــض المناطق الريفية فى جنوب الدلتا إلى أكثر من ١٠٠٠ نسمة فى الكيلو مـــتر المربع ، وتختلف الكثافة السكانية فى الريف المصرى من مكـــان لآخــر ، ويرجع ذلك لعدة عوامل منها درجة وخصوبة التربة ووفـــرة ميـــاه الـــرى بالراحة أو القرب من العاصمة وعلى هذا الأساس ترتفع الكثافة إلى أعلـــى معدل فى جنوب ووسط الدلتا خاصة فى محافظة المنوفية والقليوبية ثم الجيزة وشمال الوادى ،وتقل الكثافة فى شمال الدلتا فى محافظات كفر الشيخ ودمياط والبحيرة وفى أطرافها الشرقية والغربية نتيجة الاقتراب من الصحراء والبعد

عن موارد المياه، وفى الوادى تنخفض الكثافة شرقا وغربا كلما ابتعدنا عــن مجرى النهر أو جنوبا ، لذلك تعتبر محافظات قنا وأسوان أقــل محافظــات الصعيد كثافة لضيق الوادى وانحسار مساحة الأرض الزراعيــة ، وترتفــع الكثافة فى سوهاج وتنخفض فى المنيا والريف المصرى يمثل أعلــى كثافــة سكانية مقارنة بقرينه فى أى مكان فى العالم (٢٠،١٨ : ٢١) .

ولقد أوضحت نتائج تعداد السكان لعام ١٩٨٦ أن عدد سكان مصــر ٤٨,٣ مليون نسمة وأن أكثر من ٩٧% من السكان المصريون يتمركــزون فى حوالى ٤% من مساحة الجمهورية التى تزيد قليلا عن مليون كيلو مــتر مربع أى على حوالى مساحة ٣٨٦٠٠٠ ميل مربع تاركين الجــزء البــاقى ٩٦% من المساحة ومعظمه صحراء (١٠،١٥) . ولقد أدى هذا الوضع إلــى اختلال وسوء التوزيع الجغرافى للسكان وبالتالى إلى خلــق كثافــة ســكانية مرتفعة فى بعض المناطق المأهولة حيث يتمركز السكان فى أماكن تمركــز الموارد والأنشطة الاقتصادية وكذلك الخدمات .. الخ .

والكثافة السكانية تقدر بعدد السكان فى الكيلو متر مربع الواحد .

الكثافة السكانية (للمساحة الكلية) = عدد السكان في منتصف العام / المساحة الكلية

الكثافة السكانية (للمساحة المأهولة)= عدد السكان في منتصف العام / المساحة المأهولة فقط

وتوضح الإحصائية التالية الكثافة السكانية فى المساحة الكلية والمساحة المأهولة خلال السنوات المختلفة على النحو التالى (١٩، ١٦٣):

السنة	الكثافة داخل المساحة الكلية	الكثافة داخل المساحة المأهولة
١٩٠٧	١١,٣	٣٢٥,٢
١٩١٧	١٢,٧	٣٧٠,٧
١٩٢٧	١٤,٢	٤٠٩,٦
١٩٣٧	١٦,٠	٤٦٦,١
١٩٤٧	١٩,٠	٥٤٦,٤
١٩٦٠	٢٦,١	٧٣٧,٢
١٩٦٦	٣٠,٠	٨٤٥,٥
١٩٧٠	٣٣,٣	٩٢٦,٠

ولقد بلغت الكثافة السكانية فى عام ١٩٨٦ حوالى ٤٨ نسمة فى الكيلو متر المربع من المساحة ، الكلية وأكثر من ١١٧٠ نسمة فى الكيلو متر مربع بالنسبة للمساحة المأهولة (١٥،١٠) .

وتشير تقديرات السكان لعام ١٩٩٥/٩٤ إلى ارتفاع الكثافة السكانية فى المناطق المأهولة بالسكان إلى درجة كبيرة ، وتتفاوت الكثافة السكانية بين المحافظات المختلفة بشكل واضح فبينما تبلغ نحو ٣٢,١ آلف نسمة فى الكيلو متر المربع فى محافظة القاهرة تبلغ نحو ٢٢ نسمة فى الكيلو متر المربع فى محافظة السويس (٢٩٥،٢٠) .

والمدن المصرية تعد ظاهرة فريدة فى نموها وكثافتها السكانية ، فالقاهرة نمت سرطانيا بعد الحرب العالمية الثانية ، فقد كان عدد سكانها عام ١٩٥٠ حوالى ٢ مليون نسمة وارتفع حاليا إلى ١٤ مليون نسمة ، كما أن عدد سكان العاصمة ـ القاهرة ـ يزيد عند الظهيرة حوالى ٢ مليون نسمة أخرى ممن يفدون إليها من الأقاليم لقضاء مصالحهم ، والإسكندرية نمت فى نفس الفترة من مليون إلى أربعة مليون نسمة ، وهذا النمو السرطانى يرجع إلى أن هاتين المدينتين كانتا ومازالتا أهم مناطق الجذب البشرى ، وبالإضافة إلى النمو الطبيعى السريع لأبناء هذه المدن فإن تيارات الهجرة الداخلية قد اشتدت من محافظات الطرد سواء من الصعيد مثل أسيوط وقنا وأسوان ، ومن محافظات الوجه البحرى المنوفية والغربية ، ونظرا لأن القاهرة مقر الحكومة المركزية ومراكز الخدمات الحضارية تعليمية أو صحية أو ترفيهية جعلها أكبر مدن أفريقيا والوطن العربى (١٨،٢١: ٢٢) .

ومن المتوقع أن ترتفع الكثافة السكانية فى محافظات الجمهورية خلال عام ٢٠٠١ حيث قد تصل فى محافظة القاهرة إلى ٣٥,٦٨٦ آلف نسمة فى الكيلو متر المربع ، وقد تصل فى محافظة السويس إلى ٣٤ نسمة فى الكيلو متر المربع ، وكذلك من المتوقع أن تصل الكثافة السكانية فى محافظات الحدود إلى ٠,٩٣ نسمة فى الكيلو متر المربع (٤٦،١٥: ٤٧) .

كما تتفاوت الكثافة السكانية بين أحياء وأقسام المدينة الواحدة ، فقد تبين بالنسبة لأحياء القاهرة أن قسم قصر النيل تبلغ الكثافة فيه فى ١٩٩٣/٧/١ نحو ٧,٣ آلف نسمة فى الكيلو متر المربع، وترتفع إلى حوالى ١٠٨ آلف نسمة فى الكيلو متر المربع فى قسم شبرا، وتبلغ الكثافة فى أقسام روض الفرج والزيتون وحلوان وباب الشعرية نحو ٨١،٨٣،٨٦،٩٤ آلف نسمة فى الكيلو متر مربع على التوالى ، وكذلك تتسم الأقسام القديمة

بمحافظة الإسكندرية بأعلى المتوسطات فى الكثافة السكانية فتبلغ فـــى قســم الجمرك ١٢٨,٣ آلف نسمة فى الكيلو متر المربع وهو أكثر الأقسام ازدحامـا على الإطلاق على مستوى الجمهورية ويلى ذلك أقسام محرم بك والمنشـــية والرمل وكرموز حيث تبلغ الكثافة ٦٩,٧، ٧٥,٦، ٦٨,١، ٦٦,٢ آلف نسمة فـى الكيلو متر المربع على التوالى (٢٠، ٢٩٥) .

البعد الثالث : انخفاض الخصائص السكانية :-

يعد انخفاض الخصائص السكانية محصلة ونتيجة طبيعيـــة للبعديـــن الأولين حيث أن ارتفاع نعدل النمو السكانى مع عدم التوازن فـــى التوزيـــع الجغرافى للسكان وتمركز السكان مع عدم التوازن فى التوزيع الجغرافـــى للسكان وتمركز السكان فى مساحة جغرافية محدودة مما يترتب عليه ضغـط على الخدمات والمرافق القائمة وخاصـــة التعليميـــة والصحيـــة والتدريبيـــة والتثقيفية ... الخ مما يؤدى إلى قصور فى كفاءة الخدمات وعدم قدرتها على مقابلة وإشباع احتياجات السكان ويؤثر سلبا علـــى خصائصـــهم الصحيـــة والتعليمية والثقافية .. الخ وبالتالى انخفاض خصائص سكان المجتمع .

فالزيادة السكانية تقف حائلا دون ارتفاع مستوى الدخل الفردى رغـم تزايد الدخل القومى فى مجموعة وإذا أضفنا فى اعتبارنـــا تنـــاقص القيمـــة الفعلية للنقود بسبب الارتفاع المطرد فى تكاليف المعيشـــة ، وهنـــاك آثـــار اجتماعية تترتب على ذلك مثل عدم كفاية الخدمـــات الصحيـــة والتعليميـــة ومستلزمات الإسكان وقصور المرافق عن سد الاحتياجات (٢١، ١٥) .

وكذلك فالنمو السريع " التزايد السكانى " له آثاره الخاصة والتـــى تتمثل فى :

- وجود أعداد ضخمة من الأطفال لابد لها من التعليم .

- خطر دائم واضطراب بسبب عجز الدولة عن إنتاج ما يكفـــى مـــن الغذاء لسد الاحتياجات .

- قلق على ما قد يصيب الموارد الطبيعية من إجهاد بسبب الإســـراع المستمر فى استغلالها (٨٨،١٩) .

وبالإضافة إلى ما سبق فإن ارتفاع معدلات النمو السكانى الســـريع تؤدى إلى :

- الضغط المستمر على المرافق والخدمات مما يؤدى إلـــى قصورهـــا وإتلافها .

- الاضطراب فى الخدمات الصحية .

- عدم القدرة على إشباع احتياجات السكان كما ينبغى أن يكون .

- ارتفاع متوسط الإعالة بما يؤدى إلى خفض مستوى المعيشة .

وتجدر الإشارة إلى أن التركيب العمرى للسكان تركيبا فتيا يتمثل فى الهرم السكانى ذوى القاعدة العريضة والقمة الضيقة حيث تشغل فئة الأطفـــال (١٤سنة فأقل) أكثر من ٤٠% من السكان والجزء الأكبر من خدمات التعليـــم والصحة يوجه عادة إلى الأطفال فى هذه الفئة العمرية ، لذلك فأن ارتفاعـــها يشكل ضغطا على هذه الخدمات وبالتالى تقصر الخدمات المحدودة المتاحـــة

عن استيعاب الأطفال أو توفير الرعاية الصحية لهم ومن هنا يبدأ تدنى الأوضاع التعليمية والصحية (٢٢،٣١ :٣٢) .

ولقد أدى التوزيع الجغرافى غير المتوازن وتركز السكان فى مساحة ضيقة حوالى ٤% من مساحة الجمهورية مع تركز الخدمات والتنمية فى العاصمة والمدن الكبرى إلى الهجرة الريفية إلى الحضر والنمو الحضرى المفرط التى صاحبها ... الضغط على الخدمات فى الحضر ونشوء المناطق العشوائية والفقيرة فى المدن وقد كان نتيجة ذلك سوء توزيع الخدمات التعليمية وخاصة فى الريف مما ساعد على ارتفاع كثافة الفصول فى المناطق الحضرية وإنقاص كفاءة العملية التعليمية ، كما ساعد النمو الحضرى المفرط على ارتفاع الكثافة السكانية وما صاحبها من ازدحام وتزاحم وتلوث للبيئة مما أدى إلى تدهور الخدمات والأحوال الصحية وخاصة فى الريف والمناطق الفقيرة (٢٢،٣٢) .

ثالثا: العوامل المؤثرة على السلوك الإنجابى فى مصر :-

يأخذ الإنجاب فى مصر نمطا خاصا لم يتغير خلال القرن العشرين ، فمبدأ الأسرة الكبيرة القوية يسيطر على عقول أفراد الشعب ، والخوف من الوفاة المبكرة عنصر ثانى يزلزل أى منطق يؤيد مزايا الأسرة الصغيرة ، والاتكال ــ دون فهم وعلم ــ على أن كل مولود حى يجئ ومعه رزقه وطريق حياته عنصر ثالث يغلق منافذ التفكير فى كيفية إعالة الأعداد الوفيرة من الأبناء بالموارد المحدودة ، وكذلك العادات والتقاليد والأسباب كثيرة لن نحصيها وكلها معا تسببت فى زيادة الإنجاب وارتفاع معدل المواليد إلى مستوى الانفجار السكانى (٢٣،٧) .

وتتمثل أبرز العوامل المؤدية إلى التزايد السكانى فى مصر فيما يلى (١٣٠،٥: ١٣١) :-

١- ارتفاع مَعدلات الزواج فى مصر بوجه عام بسبب التدين والإقبال على الزواج كوقاية أخلاقية وعادة اجتماعية .

٢- شيوع ظاهرة الزواج المبكر فى المجتمع المصرى

٣- ارتفاع نسبة الأمية داخل المجتمع المصرى .

٤- السماح بالانفصال بين الزوجين وتعدد الزوجات .

٥- القيم السائدة وخاصة فى المناطق الريفية باعتبار الطفل مصدر عزوه وعنصر إنتاج فضلا عن ضعف نفقات تربيته .

٦- ضعف وسائل الترفيه وخاصة فى كثير من المناطق الريفية .

٧- ما تمتاز به المرأة المصرية من خصوبة عالية .

٨- تحسن الأحوال الصحية التى أدت إلى انخفاض معدلات الوفيات نتيجة تحسن ظروف الطب العلاجى والوقائى وانحسار الأوبئة والأمراض الفتاكة .

ونظرا لتعدد العوامل المؤثرة على السلوك الإنجابى وزيادة المواليد التى تنعكس على زيادة معدلات النمو السكانى وتؤدى بدورها إلى تفاقم المشكلة السكانية فى مصر وتتمثل أبرز هذه العوامل فى المعتقدات الدينية والبناء الاجتماعى ، والقيم والمعايير السائدة فى المجتمع والعوامل الاقتصادية ... وغيرها .

وفيما يلى سنحاول إلقاء الضوء على تأثير بعض هذه العوامل مــــن خلال عرض بعض الدراسات والبحوث العلمية التى أجريت فى هذا الصـــدد بإيجاز على النحو التالى :

١- المعتقدات الدينية وأثرها على السلوك الإنجابى :-

أن الزواج ضرورة اجتماعية لقيام واستمرار المجتمعات البشـــرية ، وقد دعى إليه ديننا الإسلامى الحنيف وأكد عليه وجعل مــــن أهـــم أهدافـــه تحصين الفروج والعفة مع تحقيق النسل ويؤكد ذلك قوله عز وجل :

" والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكـــم بنيـــن وحفدة ورزقكم من الطيبت " النحل آية ٧٢ .

" ومن آيته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم موده ورحمة " . الروم آية ٢١ .

وقال كثير من المفسرين أن الرحمة هى النسل

" يا أيها الناس أتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلـــق منـــا زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء " . النساء آية ١ .

وبذلك نجد كل آية من الآيات السالفة الذكر يقترن فيها ذكر الـــزواج بالنسل صراحة أو كناية .. مما قد أوحى إلى بعض العلماء بأن النسل غرض أساسى والمحافظة عليه من مقاصد الشريعة الإسلامية (٢٣،٢٤) .

ويقول صلى الله عليه وسلم فى حديث ما معناه .

"تناكحوا ، تناسلوا فإنى مباه بكم الأمم يوم القيامة "

"تزوجوا الودود الولود " .

ويعنى ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم حث على الزواج والإنجاب وخاصة بمن لديها القدرة على الإنجاب .

والإسلام فى الوقت الذى حث فيه على كثرة النسل إنماء للأمة وتكوينا لقوتها ، قضى بصيانة هذه الكثرة من عوامل الضعف وبواعث الوهن ، ومن أن تكون غثاء كغثاء السيل ، فحث على الصحة على بوجه العموم ، والسبيل إلى هذا هو العمل على تنظيم الأسرة تنظيما يحفظ للأسوة قدرتها وطاقتها وحسن أدائها وقيامها بواجباتها ، ويحفظ للنسل قوته ونشاطه، ويحفظ للأمة وجوده ونماءه وكفايته بحاجتها (٣٣،٢٥) .

وتنظيم الأسرة يعنى التباعد الزمنى بين مرات الحمل أى تطويل الفترة الزمنية بين مرات الحمل .. حيث قد ينجم عن تكرار الحمل والإنجاب فى فترات قصيرة ومتعاقبة الأضرار بصحة الأم أو عدم قدرتها على رعاية أبنائها أو إهمالها لنفسها وتجاهلها لشئون أسرتها وزوجها وما قد يترتب علية من مشكلات أسرية واجتماعية ، بالإضافة إلى أنه فى بعض الأحيان قد ينجم عن كثرة عدد الأبناء عدم إمكانية توفير حياة كريمة لهم وعدم القدرة على الوفاء بمتطلباتهم الأساسية وتوفير مستوى معيشى مناسب لهم .

ولقد روى الحاكم فى تاريخه وصححه عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

"جهد البلاء كثرة العيال مع قلة الشئ "

فالبلاء يشتد ويصعب حين يكثر عند الإنسان أولاده ، ولا يتيسر له ما يحتاج إليه حياتهم وكثرتهم من مطالب وحاجيات (٥٨،٢٥ :٥٩) .

ويروى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يقول : أن كثرة العيال أحد الفقرين ، و قلة العيال أحد اليسارين ، والفقران هما قلة المال التى تسبب العجز والتقصير وكثرة العيال المرهقة لصاحبها ، واليساران هنا هما كثرة المال المعاونة على قضاء المطالب وقلة عدد الأولاد المساعدة على حن تربيتهم وإجابة كطالبهم والقيام بأعبائهم .

وهناك أحاديث تبيح تنظيم الأسرة عن طريق العزل ومنها :-

يروى فى صحيح مسلم عن جابر رضى الله عنه قال " أن رجلا أتى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : أن لى جارية وهى خادمنا وسانتينا ، وانا اطوف عليها واكره أن تحمل ، فقال صلى الله عليه وسلم : اعزل عنها أن شئت ، فأنه سيأتيها ما قدر لها .. ، فلبث الرجل ثم أتاه فقال أن الجارية قد حبلت ... فقال قد أخبرتك أنه سيأتيها ما قدر لها .. ، وفى بعض الروايات " أنا عبد الله ورسوله " (٢٦،١٢: ١٠) .

"معنى كلمة سانتينا : تسقينا الماء على البعير "

- عن جابر رضى الله عنه قال : كنا نعزل والقرآن ينزل ، وزاد إسحاق أحد الرواة : لو كان شيئا ينهى عنه لنهانا القرآن عنه) أخرجه مسلم (٢٦،٢١٨) .

- عن جابر رضى الله عنه قال : كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك نبى الله فلم ينهنا) أخرجه مسلم عن أبى الزبير عن جابر (٢٧،٢٨٧) .

- عن جابر رضى الله عنه قال : قلنا يا رسول الله : إنا كنـــا نعـزل فزعمت اليهود أنها المؤده الصغرى ، فقال كذبت اليـهود إن الله إذا أراد أن يخلقه لم يمنعه) (٢٨، ١٣١) .

- عن أبى محيرز عن أبى سعيد الخدرى أنه أخبره قال أصبنا سـبايا، فكنا نعزل ، ثم سألنا صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال لنـا وأنكـم لتفعلون وإنكم لتفعلون، وإنكم لتفعلون ، ما من نسمة كائنة إلى يـوم القيامة إلا هى كائنة " وفى رواية أخرى : لا عليكم أن تفعلوا فإنمـا هو القدر . (٢٩،٣٠٥) .

مما سبق يتضح أن هناك إباحة وإجازة " الله أعلم " للعزل كوسـيلة لتنظيم الأسرة باعتباره الوسيلة الوحيدة المعروفة آنذاك ، وأنه يجب أن نـأخذ بالأسباب وما هو مقدر سوف يحدث فإن أراد الله عز وجل أن يخلقـه فلـن يمنعه أى شيئا مهما استخدمت من وسائل واتبعت من أسباب . وكذلك فعملية الحمل والإنجاب تعكس المشيئة الإلهية فقد تستخدم مختلف وسـائل تنظيـم الأسرة لمنع الحمل ويحدث وتنجب المرأة إذا قدر لها ذلك، وحياتنـا مليئـة بالأمثلة والصور الدالة على ذلك وأحيانا قد لا تستخدم المرأة أى وسيلة مـن وسائل تنظيم الأسرة وتتمنى الحمل والإنجاب ولا يحدث كما هو مقدر لـها فالمسألة كلها قضاء الله ونحن نأخذ بالأسباب وعلى قصد السبيل هـو يعلـم بواطن الأمور ويعلم ما فى الأرحام .

وبناء على ما سبق يمكن أتباع تنظيم الأسرة فى الحـالات التاليـة (٢٥،٣٤: ٣٦) :-

<u>أولا :</u> العمل على منع الحمل مؤقتا منعا يمكن الأم مـن إرضـاع الطفـل إرضاعا كاملا نقيا وقد حددت مدة الرضاعة بحولين كاملين .

ثانيا : التباعد بين كل حمل وحمل بما يعود مباشرة على صحة الرضيع وبنيته .

ثالثا: قدرة الأسرة وكفايتها وإمكانياتها فى تربية نسلها والقيام بشأنهم .

رابعا: يجوز تنظيم الأسرة كعلاج تدفع به أضرار محققة أو مرتقبة ويكون به النسل القوى الصالح .

خامسا: يجوز للمرأة استخدام الوسائل التى تؤجل الحمل وتؤخره ، ولا يجوز لها استعمال الدواء الذى يمنع أصلا الصلاحية للحمل .

وتجدر الإشارة إلى أن هناك اختلافات فى وجهات نظر العامة والخاصة حول قبوله فكرة تنظيم الأسرة فالبعض يرى أن تنظيم الأسرة مباح وجائز والبعض يرى أنه حرام ويتجنبه وهناك العديد من العوامل التى تؤدى إلى وجود اختلافات فى وجهات النظر ومنها على سبيل المثال :

- على الرغم من عدم وجود آيات قرآنية تحرم تنظيم الأسوة ، إلا أن هناك مجموعة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى هى بمثابة توجيهات تحث على الإنجاب وزيادته وترغب فيه ، والبعض يأخذ بهذه الدعوة الواضحة والصريحة إلى الإنجاب وزيادته ويتجنب فكرة تنظيم الأسرة ويرفضها .

- على الرغم من وجود أحاديث تحدد موقف الإسلام من العزل " كوسيلة لتنظيم الأسرة " إلا أن هناك اختلافات فى تفسير تلك الأحاديث فالبعض يرى أن تنظيم الأسرة حرام ومخالفة لأمور

الشريعة تماما .. بينما يذهب البعض الآخر إلى إباحة تنظيم الأسرة في أضيق الحدود وخاصة في الظروف التي قد تؤثر على كيان الأسرة سلبا مثل مرض الزوجة وعدم قدرتها على الإنجاب ، وضيق المسكن ،وإهمال شئون الزوج بسبب الانشغال باحتياجات الأولاد ... إلى غير ذلك من الأمور التي تهدد استقرار الأسرة وتعرضها لمختلف المشكلات ، ويذهب فريق ثالث إلى إباحة تنظيم الأسرة كما يترأى للأسرة ومصلحتها ويذهبون إلى أنه ليس هناك تحريم طالما أن المانع ليس الخوف من الفقر أو ضيق الرزق .

- أن الحكم على تنظيم الأسرة يرتبط بظروف المجتمع وواقعه وإمكانياته والواقع أن ظروف الدولة لا تتحمل الإنجاب الكبير الذى يجهض كافة محاولات التنمية ويبتلع عوائدها حيث أن معدلات الإنجاب والزيادة السكانية تفوق معدلات التنمية .

- أن البعض قد يربط تفسير بعض آيات القرآن بتنظيم الأسرة في غير موضعه .. فعلى سبيل المثال

" ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم " الإسراء آية ٣١.

"ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم " الأنعام آية ١٥١.

فالآيات السابقة تعنى تحريم صريح لقتل الأطفال خوفا من الفقر أو المعاناة من الفقر واستخدام وسائل تنظيم الأسرة لا يعنى قتل الأطفال أو الأجنة ولكن يعنى توفير الظروف غير الملائمة لتكوين الأجنة ، وكذلك تختلف ردود أفعال الأفراد في المواقف المختلفة فالخوف من الفقر أو معاناة الفقر قد تدفع البعض في أسوأ الأحوال إلى قتل أطفالهم وهذا حرام وقد تدفع

بالبعض الأخر إلى السعى الجاد وراء الرزق وإلى العمل على زيادة الدخـل أو إلى الأخذ بتنظيم الأسرة وتحديد عدد الأبناء .. الخ وبالتالى فالآيات تنص على تحريم قتل الأطفال ولا تنص على تحريم تنظيم الأسرة .

-أن بعض العلماء وذوى الرأى يتجنبوا إبداء الرأى حـول تنظيم الأسرة ويتركون هذا الأمر ولا يستطيعون الإفتاء فيه إلا أضيق الحدود ممـا يثير شكوك البعض حول تحريم وإباحة تنظيم الأسرة .

كل هذه العوامل تدعم عدم وضوح الرؤية حول تنظيم الأسرة وتؤدى إلى البلبلة الفكرية لدى العامة تجاه تنظيم الأسرة وقد ينظر إليه بأنـه أمـر محرم مما قد يدفع البعض إلى تجنبه .

ولقد أكد فضيلة الدكتور / محمد السيد طنطاوى فى دراسة أجراهـا عن تنظيم الأسرة ورأى الدين فيه (٢٥، ٩٣ :٩٤) أن تنظيم الأسرة مـن المسائلة التى تختلف فيها الأحكام باختلاف ظروف كل أسرة وكـل دولـة ، وباختلاف إمكانياتها ، فمثلا هناك دول هى فى حاجة إلى هذه الكثرة البشرية لأن وسائل الإنتاج والرقى فيها تحتاج إلى هذه الكثرة للقوة المنتجة الرشيدة ، وأمثال هذه الدول يقال لها مرحبا بهذه الكثرة القوية المؤمنة العاملة ، وهنـاك دول لا تحتاج إلى الكثرة فى عدد أفرادها لأن هذه الكثرة موجـودة فيـها ، ولأن إمكانياتها لا تتحملها ، ولأن السواد الأعظم من أفرادها يعيـش علـى جهود القلة فيها ، ولأنها مع كثرتها تستورد من غيرها معظـم ضروريـات الحياة ، وأمثال هذه الدول يكون تنظيم الأسرة فيها أمـرا مرغوبـا فيـه ، ومطلوبا مع غيره من الوسائل الأخرى التى تؤدى إلى تقدمـها كمضاعفـة الإنتاج ومواصلة تطوير الزراعة والصناعة وغيرها، وحرص أفرادها علـى أداء واجباتهم بأمانة ونشاط وقوة، فالكثرة الصالحة المنتجة القوية مرحبا بها،

أما الكثرة الهزيلة الضعيفة الشاردة عن الطريق القويم والمعتمدة فى كثير من ضروريات حياتها على غيرها فالقلة خيرا منها .

وتجدر الإشارة إلى أن معدلات الإنجاب لا تتأثر بالمعتقدات الدينية فقط ولكن هناك عوامل أخرى أوضحتها العديد من الدراسات والبحوث لها التأثير الأكبر على السلوك الإنجابى وبالتالى زيادة معدلات الإنجاب ونمو السكان .

٢- دراسة على البناء الاجتماعى وأثره على عملية الإنجاب (٣٠) :

لقد أوضحت هذه الدراسة أن السمة البارزة للمناطق المتخلفة هى ارتفاع درجة الخصوبة ومعدلاتها أعلى بكثير من المناطق الصناعية المتقدمة وقد أرجعت ذلك لوجود اختلافات فى التنظيم الاجتماعى بين تلك المجتمعات والتى بدورها تبرز اختلافات متنوعة فى درجة الخصوبة ومعدلاتها وفقا لتأثير عناصر وأنماط التنظيم الاجتماعى .. حيث هناك متغيرات من شأنها تقليل أو زيادة معدلات الخصوبة المجتمعية على اعتبار أن هناك متغيرات ثقافية تؤثر فى مختلف مراحل عملية الإنجاب بداية من الجماع والإخصاب ونهاية بالحمل والوضع ، ومن هذه المتغيرات السن كبداية للارتباطات والزواج ، وكذلك عدد مرات الإنجاب والفترات الزمنية بينها ، والامتناع عن الإنجاب لأسباب قهرية كالعقم والمرض أو لأسباب إرادية كاستخدام أى وسيلة من وسائل منع الحمل .. وكل متغير من المتغيرات السابقة يختلف تأثيره من مجتمع لآخر حسب البناء الاجتماعى وبذلك فكل متغير يمكن أن يؤثر سلبيا أو إيجابيا على معدلات الخصوبة . فالمجتمعات النامية أو المتخلفة "قبل الصناعية" تشجع على الارتباط المبكر من خلال الإعداد

للزواج بينما المجتمعات الصناعية تأكد على تأجيل أو تجنب تكوين ارتباطات في سن مبكر .

وهناك شواهد كافية للبرهنة على أن نمو السكان يسير وفق نمط محدد كلما تقدمت المجتمعات من المرحلة قبل الصناعية إلى المرحلة الصناعية وهكذا ، فالمجتمعات قبل الصناعة تتميز عادة بارتفاع معدل المواليد إلى جانب ارتفاع معدل الوفيات ونتيجة لذلك بنمو السكان فى هذه المجتمعات بدون توقف ، ويعد نمو السكان فى المجتمعات الصناعية المتقدمة بطيئا فى العادة وكاد أن يتوقف ، وقد يرجع ذلك إلى أن المجتمعات قبل الصناعية تفتقر إلى وسائل التحكم فى الخصوبة أو الوفيات ، بينما المجتمعات الصناعية ينتشر فيها استخدام وسائل منع الحمل الحديثة (٢٢،٣١: ٢٣) .

٣-دراسة عن العلاقة بين القيم والمعايير والسلوك الإنجابى فى حضر وريف مصر : (١٨٧،٣٢ : ٢٤٨) :-

لقد أوضحت هذه الدراسة أن هناك عدة عوامل محددة تتعلق بجهاز القيم والمعايير السائدة فى المجتمع المصرى والتى تعم الأفراد بالمجتمع منذ قرون طويلة وتمثلها الأفراد فى بناء شخصياتهم وقد يكون لتلك العوامل تأثيرا أو علاقة ينتج عنها تعويق عملية تغير السلوك الإنجابى وتؤدى إلى ارتفاع معدل المواليد .. لذا فمن المعتقد أن مكونات جهاز القيم والمعايير التى تغطى جميع الأنشطة والتفاعلات الإنسانية قابلة للتغيير، ولكن تتفاوت سرعة التغيير تبعا لبعض العوامل الثقافية والاجتماعية التى يعتقد الأفراد بالمجتمع بأنها ضرورية وظيفيا لاستقرار واستمرار التفاعلات كما تعكسها خبراتهم بذلك فالأفراد يسلكون فى إطار ثقافى محدد يؤثر فى أهدافهم العامة

ويحدد السبل والوسائل التى يجب أن يستعملها الأفـــراد لتحقيــق الأهـــداف المشروعة ، وكل ثقافة تركز على جانب أو أكثر من جوانب السلوك المفضل وكذلك تؤكد على عدد من المتطلبات ، والتى تميز حياة جماعة إنسانية معينة عن الجماعة الأخرى ..

والسلوك المفضل والمتطلبات المرغوبة يتعلمها الأفراد فى عمليـــات التنشئة الاجتماعية ويحدث تأكيد عليها بمرور الأفراد فى الأجهزة التى تقــوم بهذه العملية وبذلك يتمثلها الأفراد فى بناء شخصياتهم فضلا عن عموميتـــها بينهم وانتقالها من جيل إلى آخر .. والمجتمع المصرى يعيش فى ظل إطـــار ثقافى يحتوى على قيم ومعايير تغطى الأنشطة المتعددة والمتنوعة التى يقــوم بها الأفراد ومن بينها قيما ومعايير تؤكد على تفضيل الزواج والتبكير فيــــه لتكوين الأسرة والإنجاب الكبير وجميعها عوامل لها علاقة بمعدل الإنجـــاب " الذى ينعكس فى ارتفاع معدل المواليد فى المجتمــــع المصـــرى " والأفـــراد يعملون على تلافى التوترات أو مسايرتها بالتوافق مع أحكام القيم والمعـــايير والمعتقدات وتوجيهاتها .. ومن هذه التوترات الضغوط على تنشئة البنـــات ، والفصل بين النوعين ـــ الخوف من عدم الزواج ـــ الخوف من عدم القـــدرة على الحمل والإنجاب ـــ الخوف من التعرض للطلاق أو الهجر ... الخ .

وفيما يلى سوف نتناول العلاقة بين القيـــم والمعـــايير وعلاقتـــها بالسلوك الإنجابى وبالتالى معدل المواليد :

- أن المجتمع المصرى يعيش فى ظل محتوى ثقافى يحتـــوى ضمـــن مكوناته الرمزية المتنوعة تأكيد على قيمة الزواج وتكوين الأسرة ... محددا ، ومعرفا الحقوق والوجبات المتعلقة بمكانة الزوجـــة (الأم)

فى نسق الأسرة وكذلك الزوج (الأب) والدور المتوقع منه وأيضــا مكانات الأولاد والبنات وأدوارهم .

وتعكس تكرارات الحياة الزواجية للأفراد بالمجتمع مدى توافق سلوك الأفراد الفعلى خضوعا لأحكام القيم والمعايير المتعلقة بالزواج ويؤثر توزيـع الأفراد حسب الحالة الزواجية وخاصة بالنسبة للنساء فـى سـن الإنجـاب ومعدلات الخصوبة والذى يعكسه معدل الخصوبة الخام ومعـدل الخصوبـة الكلية .

- ولذلك فارتفاع نسبة الأفراد فى فئة المــتزوجين وكذلـك الارتفـاع والثبات النسبى فى سن الزواج عبر السنوات المتتالية وهمــا معـا يعكسان ارتفاع نسبى فى درجة شيوع التوجيهات القيمية التى تشـجع على الزواج وتكوين الأسرة .

- يتزوج الذكور والإناث فى مصر فى سن مبكر نســبيا ويســتجيبون للتوجيهات القيمية المشجعة على الزواج فى سن مبكــرة .. وبذلـك تتزايد فرص تعرض الفتاه للحمل والولادة فى سن صغيرة وبالتـالى يزداد معدل المواليد .. وهناك اعتقاد سائد يتحـدد فـى أن المـرأة وظيفتها الأولى هى إنجاب الأطفال وبالتالى تستمد المـرأة المنزلـة العالية المتعلقة بالمكانة التى تشغلها فى نسق الأسرة وما يتعلق بـها من أدوار من خلال الإنجاب الكبير ، ومنزلة المرأة بذلك منبثقة مـن أداء دورها الإنجابى .

- هناك توجيهات قيميه متعلقة بحجم الأسرة وتتضـح فـى الإنجـاب المرتفع للسيدات وتدعم التوجيهات القيمية السائدة بين الأفراد وجهاز المعتقدات يؤثران معا فى السلوك الإنجابى الذى يعكسه ارتفاع معدل

المواليد ... وقد دلت نتائج البحوث دلت اتباع تنظيم الأسرة يتم بعد إنجاب عدد كبير من الأبناء وأكد ذلك عادل عازر بأن نسبة من الزوجات فى الريف والحضر بدأت استعمال وسائل منع الحمل بعد ولادة الطفل الرابع وهناك من الريفيات مازلن يرغبن فى إنجاب عدد متزايد من الأطفال .

- هناك بعض التوترات يعكسها البناء الاجتماعى وتظهر فى الأسر عندما تنجب طفلة إلى الحد الذى يعكسه الغضب والشعور بالخزى وترتبط هذه المشاعر بضرورة العناية والحرص والمراقبة المستمرة لسلوك الفتاه والذى يتضح فى التنشئة الاجتماعية ، ويتضح عند تقييد فرص خروج الفتاه أو التفاعل مع الجنس الآخر وكذلك الفصل بين الجنسين فى سن مبكرة ، وكذلك تفرح الأسر فى الريف والحضر بمولد طفل .. وهناك حالات تكرر فيها الزوجة الإنجاب لتحصل على طفل تكرار ولادة البنات يدفع بعض الأزواج إلى الارتباط بزوجة أخرى وترجع أسباب تفضيل الذكور إلى أنهم القوى الإنتاجية والقوة الاجتماعية ونظم التوريث .. وكذلك توفير الدعم الاقتصادى للأسر فى حالات الشيخوخة ، وينشأ التوتر نتيجة الفصل بين الجنسين فى مراحل النمو والأساليب التقليدية المتبعة فى التربية والتنشئة ويمكن إقناع الفتيات بالزواج فى سن مبكرة بسهولة خوفا عليهن من الزلل وتشويه السمعة والفتاه تفرح فى الزواج للتحرر من السلطة الأبوية والتباهى أمام أقرانها بزواجها فى سن صغيرة بمعنى أنها مرغوبة ، وكذلك لأن هناك توترات لعدم الزواج أو الزواج فى سن متأخر يدفع الفتيات إلى الزواج فى سن مبكر حيث كلما تقدمت الفتاه فى السن قلت فرصتها فى الحصول على زوج مناسب وهناك

توترات بسبب الجنس تدفع الأفراد إلى التبكير فى الزواج حيث تحدد الثقافة تعريفات للرجولة والأنوثة .. فالزواج هو الوسيلة لإشباع الرغبة الجنسية ولا توجد وسائل بديلة ، كما أنه سلوك متوافق مع قيم المجتمع والدليل الواضح على القدرة الجنسية للرجل والمرأة هو الإنجاب ، وهناك تواترت فى علاقات النسب خاصة بالحمل والإنجاب الأول والمدة التى يستغرقها وخوف الزوجين من العقم ، والرغبة فى توثيق الروابط والخوف من الطلاق أو الهجر فالمعتقد أن الإنجاب يحقق ذلك .

- أن ارتفاع معدل المواليد فى المناطق الحضرية المتخلفة سلوك تعويضى نتيجة للتوترات التى يعكسها البناء الاجتماعى وهى تشير إلى التوافق الزائد لسلوك الأفراد مع التوجيهات وجهاز القيم والمعتقدات المنقولة عبر الأجيال .

- هناك توترات يعكسها البناء الاجتماعى وتوجد بدرجة مرتفعة وتبرز التناقض بين الآراء بالموافقة على تنظيم الأسرة فى مواقف المقابلات البحثية وبين سلوكهم الإنجابى الفعلى .. وكذلك فيما يتعلق بالآراء والتفضيلات المرتبطة بالحجم الأمثل من ناحية وبين سلوكهم الفعلى وينتج عن ذلك الإنجاب المتكرر نظرا لوجود ولاستمرار التوترات بالنسق الاجتماعى .

- هناك أيضا توترات تعكسها الأنساق الفرعية بالبناء الاجتماعى تلك المتعلقة بالأسرة والزواج والتعليم والصحة والأحوال القانونية المتعلقة بوضع المرأة .

٤- دراسة عن دور العوامل الاقتصادية فى التأثير على السلوك الإنجابى للزوجين فى مصر : (٢٣،٩ :٣٨) .

تتعدد العوامل المؤثرة فى الخصوبة وتتبلور فى علاقات متداخلة والعلاقة بين العوامل الاقتصادية والخصوبة إنما تتأثر وتختلف وفقا للدور الذى تقوم به هذه العوامل إلى جوار العوامل الاجتماعية والثقافية والنفسية الأخرى التى تؤثر على الخصوبة .

وتدور النظريات التى حاولت إبراز أهمية العوامل الاقتصادية فى التأثير على الخصوبة محورا أساسى هو أن الزواج والإنجاب يتحددان وفقا لظروف اقتصادية ، حيث يرى آدم سميث A. Simth أنه حيث توجد زيادة فى عدد السكان وقلة فى فرص العمل فإن الأحوال الاقتصادية والمادية ستتحول دون إقبال الأفراد على الزواج والإنجاب أما إذا ما توافرت فرص العمل بكثرة تفوق الارتفاع فى الكثافة السكانية فإن أجور الأفراد ترتفع وتتحسن تبعا لذلك حالتهم الاقتصادية ويقدرون على الزواج والإنجاب ، وهكذا إلى أن تعود الحالة السكانية إلى مرحلة التوازن .

أما كنان Cannan " نظرية الحجم الأمثل للسكان " ، وكار سوندرز Carr-Sannders يران أن جهاد الإنسان الدائم للوصول بعدده إلى الحجم الأمثل والذى يتحقق فيه بلوغ الناتج المتوسط أقصاه ، ويرتبط ذلك من وجهة نظر جينى C.Gini بتطور الأنماط البنائية فيختلف هذا المتوسط فى ظل الاقتصاد الرعوى عنه فى ظل الاقتصاد الزراعى والصناعى . ففى كل مرحلة من هذه المراحل يرتفع الحد الأقصى لمتوسط الناتج الفردى وبالتالى يرتفع الحجم الأمثل للسكان .

ويرى روبنسون Robinson أن الخصوبة تتحدد عن طريق ما يتخذ الأباء من قرارات بشأن إنجاب الأطفال ، واتخاذ القرار هنا مبنى على عملية موازنة اقتصادية بين التكلفة والعائد منها ، ومقارنة بنواحى الإنفاق الأخرى فى الحياة والتى يتعارض الحصول عليها مع وجود أطفال .

ويوضح سيدنى كونتز S. CONTZ أن الخصوبة تتأثر بمقدار العمل المطلوب ، فتتحدد فرص العمل المتاحة معدلات الزواج والإنجاب وتتحدد أيضا بنوع العمل المطلوب فزيادة الطلب على العامل غير الماهر قد تؤدى إلى ارتفاع الخصوبة والعكس نظرا لما يتطلبه العمل من عمالة ماهرة، ومن تكاليف باهظة لا تستطيع الأسرة معها الإنفاق على عدد كبير من الأطفال الذين تعدهم للحياة المهنية ... وبذلك فقلة أبناء ذوى الدخول المرتفعة ترجع إلى نوع المهن التى يمارسونها والتى تتطلب إعدادا طويلا وتكاليف كبيرة ، وتتأثر الخصوبة بتغيير وظائف الأسرة الاقتصادية إذ هى فى المجتمعات الزراعية وحدة إنتاجية تحتاج إلى الأيدى العاملة الكثيرة بينما هى فى المجتمعات الصناعية وحدة استهلاكية مما أدى إلى فقدان الأطفال لقيمتهم الاقتصادية وبالتالى انخفاض الخصوبة وساعد على ذلك خروج المرأة إلى العمل ومشاركتها فى الإنتاج خارج المنزل مما يتعارض معه كثرة الإنجاب الذى يفقدها بعض الأجر الذى تتقاضاه .

والعلاقة بين مهنة الزوج والخصوبة تبين أن ترتيب المهن بالنسبة للخصوبة كما يلى :

١) أصحاب المهن الفنية.

٢) أصحاب المهن الإدارية.

٣) أصحاب المهن التجارية.

٤) العمال والفنيين .

٥) عمال النقل والمواصلات. ٦) عمال الخدمات .

٧) عمال الزراعة والصيد والتعدين.

٨) مهن غير محددة وبدون عمل .

وهناك نتائج دراسات قد أكدت على بعض العوامل التى لها علاقة بالخصوبة ومنها :

- أن الريفيون يفضلون الزواج المبكر نظرا للظروف الاقتصادية التى يعيشونها واعتقادهم بأن كثرة الأيدى العاملة فى الأسرة يزيد من دخلها .

- كما أن زواج الإناث المبكر يجنب الانحراف ويخفف من أعباء الأسرة الاقتصادية .

- أن هناك علاقة إيجابية بين الدخل والمهنة والتعليم والخصوبة ، فمع ارتفاع مستوى الدخل والتعليم يقل حجم الأسرة فتتغير قيمة الأبناء من عائلين إلى معالين وتتغير قيمة الزوجة من مصدر للإنجاب إلى معين اقتصادى ويزداد تطلع الزوجين إلى مستوى معيشى مرتفع يتنافى مع الحجم الكبير للأسرة والعدد الكبير من الأبناء .

وبذلك نستطيع أن نستخلص أن هناك عوامل اقتصادية لها علاقة بالخصوبة ومنها :

- الحالة العملية " المهنية " وكما سبق أن أوضحنا فى ترتيب المهن بالنسبة للخصوبة بحيث تتضمن نظام العمل – الإجازات والرغبة فى تغيير العمل والمستقبل الوظيفى فى العمل ... الخ .

- الحالة التعليمية : بالنسبة للـــزوج والزوجـــة والأولاد والشـــهادات الحاصل عليها كل منهم .

- الدخل والاستهلاك : كميته ومصادره ــ الفائض منه أو العجز فيه ــ أوجه الإنفاق والاستهلاك .

- السكن والإقامة : نوع السكن ــ قيمة الإيجار ــ عدد الحجـــرات ــ الكهرباء والمياه .

كل هذه العوامل مجتمعة فيما يسمى بالعوامل الاقتصادية لها تـــأثير على الخصوبة بالإضافة لتأثير العوامـــل الأخـــرى الاجتماعيـــة والثقافيـــة والنفسية.

ومن العرض السابق يتبين أن الخصوبة العالية فى المجتمع المصرى تتأثر بمجموعة من العوامل وتتبلور فى علاقات متداخلة وبذلك فالخصوبـــة تتأثر وتختلف وفقا للدور الذى يقوم به كل عامل بجوار العوامـــل الأخـــرى المؤثرة والتى تتمثل فى المعتقدات الدينية والقيم والمعايير والبناء الاجتمـــاعى والعوامل الاقتصادية فى المجتمع ، وإذا أردنا أن نعمل من أجـــل تخفيـــض معدل الخصوبة فعلينا أن نأخذ فى الاعتبار تلك العوامل مجتمعة حتى يمكننـــا التوصل إلى أنسب البرامج وأكثرها ملائمة للحد من ارتفاع معدل المواليد .

رابعا: الآثار المترتبة على المشكلة السكانية :

أن المشكلة السكانية تعنى الزيادة السكانية وبصفة أساسية فى العـــالم الثالث حيث يعيش ثلاث أرباع سكان العالم ، والزيادة الســـكانية تســـتحضر صور الأطفال المصابين بسوء التغذية ويحتضرون ، وعشوائيات تـــتزايد ، وزيادة التصحر ، ودائرة لا تنتهى من الفقر والمرض والجـــهل والفوضـــى

الاجتماعية والسياسية ، ويعتبر النمو السكانى الذى يصاحبه ضعف فى التخطيط الصناعى وتدمير للبيئة تهديدا لاستمرار الحياة على مستويات مقبولة فى المستقبل (١٥٥،٣٣) .

والمشكلة السكانية تمس حياة الإنسان اجتماعيا واقتصاديا ونفسيا وثقافيا وأمنيا ، وتؤثر فيها تأثيرا مباشرا ، خاصة وأن زيادة السكان من شأنها أن تؤثر على قدرات المجتمع وموارده ، وعدم القدرة على رفع مستوى المعيشة وتوفير الحياة المستقرة المزدهرة للمواطنين (١٢٤،٣٤) .

وإذا كان السكان يزيدون بطريقة آسيه فإن استهلاكهم لكل شئ على سطح الأرض يزيد بطريقة أسية أيضا (١٣٧،٣٥) لذلك فكبر حجم السكان يؤدى إلى انشغال الدولة بإطعام سكانها ، والتركيز على الصناعات الاستهلاكية ، والذى يفوت عليها الفرص فى توجيه استثماراتها نحو الصناعات الثقيلة ، وكذلك استنفاذ المصادر الطبيعية (١٩١،٦) .

ولقد أصبح التضخم السكانى بسبب خلل التوازن بين موارد الدولة وحاجات السكان فيها وكلما اتسعت الفجوة انخفض مستوى المعيشة وتدنى بالنسبة للفرد والأسرة وبالتالى ينحدر المستوى الاجتماعى إلى مزيد من التخلف وعدم القدرة على الإنتاج نتيجة تدنى خصائص السكان فتتفاقم المشكلة (٢١،٢٢) .

والنتيجة الحتمية للزيادة السكانية السريعة أن قصرت فترات تضاعف السكان وأصبحت فى الفترة الأخيرة كل ٢٨ سنة ، وينعكس هذا النمو السريع على تركيب السكان فى المجتمع المصرى فأصبح :

- ٤٠% من السكان تحت ١٥ سنة .

- ٥٠% من السكان بين سن ١٥ و ٦٤ سنة .

- ١٠% من السكان فوق ٦٤ سنة .

ومعنى ذلك أن القطاع القادر على العمل لا يزيد عن ٥٠% من عدد السكان (٢٣،٢٢) .

ولذلك فنصف عدد السكان غير منتج ، وإذا أضفنا أن نصف العدد المنتج تقريبا من النساء والكثير منهن لا يعملن فى وظائف ومهن بأجر لانشغالهن بتربية الأطفال والخدمات المنزلية أو لأنهن أميات لا تتوفر لهن فرص العمل .. فذلك يعنى أن نسبة المعالين ستزداد كثيرا وهكذا ارتفعت نسبة الإعالة فى مصر إلى ٣٧٠% (١٨ ، ١٥) .

ويؤدى الانفجار السكانى العشوائى والتزايد غير الموجه والذى لا يقترن غالبا باستغلال أمثل للقوى البشرية المتزايدة إلى تأثير سلبى على التنمية حيث يؤدى إلى مشكلات متعددة فى المجالات المختلفة سواء الاقتصادية أو الاجتماعية أو التنظيمية أو الإدارية أو السياسية .. الخ ومن أهم هذه المشكلات الناجمة عن الزيادة السكانية ما يلى (١١٠،٥ : ١١٣) :

١- تبتلع الزيادة السكانية كل زيادة فى الإنتاج وتستنزف كل عائد للجهد البشرى المبذول .

٢- تستنزف مصادر الثروة مع إمكانية نضوب بعضها نتيجة عدم مسايرة هذه الثروة لمعدلات التزايد السكانى ، فالطبيعة ضنينة وموارد الأرض محدودة سواء فى المجالات الزراعية أو المياه الجوفية أو الثروة المعدنية .. الخ .

٣- تؤثر على مستوى المعيشة وتساهم فى خفض متوسط دخل الفرد وتحد من نصيب الفرد فى الثروة الطبيعية والعائد الصناعى .

٤- يؤدى التزايد السكانى العالى الذى لا يواكبه غالبا تزايد فى الثروات الطبيعية والإنتاج البشرى المناسب إلى حدوث مجاعات ، وتزداد حدة تأثير هذا العامل حينما تساهم العوامل الطبيعية غير المواتية فى ذلك مثال ذلك المجاعة التى تعرض لها بعض البلدان الأفريقية فى السنوات الأخيرة نتيجة ما حل بها من جفاف .

٥- زيادة المشكلات والتأثير السلبى على مستوى الخدمات المختلفة سواء التعليمية أو الصحية أو الترفيهية ... الخ ، مما يؤدى إلى صعوبات معيشية وضغط على أوجه الحياة بالمجتمع فى المجالات المختلفة سواء فى مجال الإسكان والمرافق العامة ووسائل النقل والمواصلات ومياه الشرب والاتصالات والصرف الصحى ... الخ وهو ما يترتب عليه مشكلات أخرى تتمثل فى البطالة وارتفاع نسبة الإعالة وزيادة معدلات الجريمة والجناح والأمراض الاجتماعية المختلفة ... الخ .

٦- تساهم الزيادة السكانية فى ارتفاع درجة تلوث البيئة ، والذى يأخذ صور مختلفة منها تلوث الهواء والماء وتلوث التربة الزراعية .

٧- تكدس السكان فى المدن الناجم عن تزايد أعدادهم والاتجاه نحو الهجرة من الريف إلى الحضر يؤدى إلى زيادة نسبة الضوضاء التى أصبحت تهدد الصحة والسعادة البشرية ومعدلات تنمية المجتمع .

والمجتمع المصرى يعانى من أثار الإفراط السكانى الذى لا يتناسب معدلاته مع معدلات التنمية الاجتماعية والاقتصادية ، وتلك الحالة تؤدى بالتبعية إلى انخفاض مستوى المعيشة للمجتمع وللأسرة وللفرد (١٨٥،٣٦) .

فالمسألة السكانية فى مصر لها أكثر من بعد وأكثر من جانب فلها بعدها الكمى الخاص بالجوانب الكمية المتمثلة فى زيادة المواليد وزيادة الوفيات وزيادة الهجرة ، وجانب كيفى يتمثل فى خصائص السكان لا الديموجرافية فحسب وإنما الاجتماعية التى يمكن أن تكون أو لا تكون حافزا ميسرا للتنمية ومنها على سبيل المثال ارتفاع نسب الأمية ، انخفاض أعداد السكان النشيطين اقتصاديا واعتلال الصحة ، وخلل التوزيع الجغرافى بمستوياته القاعدية والإقليمية (٢٥٤،٣٧) .

وهناك علاقة مباشرة بين السكان والمشكلة الاقتصادية ، فأفضل الأساليب لقياس الراحة النفسية للفرد هو مستوى الدخل الفردى ، وثمة حقيقية هى أنه كلما قل عدد الأفراد ازداد الدخل الفردى ارتفاعا ، ويمكن أن يكون للنمو الديموجرافى فى حالات محددة وإلى درجة معينة تأثير على النمو الاقتصادى ، ويمكن أن يكون النمو الديموجرافى حافزا للنمو الاقتصادى ، ولكن فى أغلب الأحيان وبصفة خاصة فى الدول المتخلفة يمثل عبئا خطيرا للغاية من حيث أثره على التكوين الرأسمالى ، فالموارد القليلة المتاحة تستخدم فى الاستهلاك بهدف تغذية الناس الذين يتزايد عددهم على حساب الدخل الفردى . (٣٨ ، ٩٧) .

والعلاقة بين السكان والتنمية علاقة وثيقة ، وتختلف المجتمعات فيما بينها وفقا لمدى التوازن أو الاختلال فى هذه العلاقة ، فبعض المجتمعات تتوفر لها الموارد الطبيعية والإمكانات ولديها القدرة على استثمارها

الاستثمار الأمثل لتحقيق معدلات تنموية تفوق معدلات النمو السكانى ، وقد حققت هذه المجتمعات مستويات معيشية مرضية لسكانها ، وأنها بحاجة إلى مزيد من السكان لاستثمار مواردها وإمكانياتها المتاحة وبالتالى تضع الحوافز لتحفيز سكانها على زيادة معدلات نموهم ، بينما هناك مجتمعات أخرى تتسم بارتفاع معدلات النمو السكانى بما يفوق معدلات التنمية حيث تعانى من ندرة الموارد الطبيعية والإمكانات الممكن استثمارها لتحقيق التنمية وبالتالى فهى تضع الحوافز لتحفيز سكانها على خفض معدلات نموهم لأنها تعانى من اختلال وعدم توازن بين النمو السكانى ومعدلات التنمية .

والسكان يمثلون المتغير الحيوى لعملية التنمية ، فهم محورها وجوهرها ومضمونها والمستهدفون منها ، لذلك فأى تغيير فى البناء الديموجرافى للمجتمع يؤدى إلى حدوث تغييرات هيكلية ووظيفة ذات انعكاس مباشر على خطط وبرامج ومشروعات التنمية .

فالسكان هم الموارد البشرية التى يقع على عاتقهم مسئولية إحداث التغيير وتحقيق التنمية ، مع الأخذ فى الاعتبار أن مسئولية التنمية هى أعداد الموارد البشرية علميا وثقافيا وصحيا واجتماعيا .. بحيث يمكن تكوين القوى العاملة الماهرة ، والأوفر إنتاجا والأيسر مرونة على الحركة والعمل فى مختلف قطاعات النشاط فى المجتمع بما يحقق إمكانية استثمارها الاستثمار الأمثل للنهوض بالمجتمع " تنمية الموارد البشرية " .

والسكان أيضا هم المستهدفون من عمليات التنمية ، فالتنمية فى مفهومها المعاصر تنمية بشرية ، والتى تعنى " بتوسيع اختيارات الناس وقدراتهم من خلال تكوين رأسمال اجتماعى يمكن من تلبية حاجات الأجيال الحاضرة بأكبر قدر من العدالة بدون إهدار فرص إشباع حاجات الأجيال

القادمة (١٢،٣٩) لذلك فخطط التنمية بما تتضمنه من برامج ومشـــروعات تستهدف مقابلة وإشباع احتياجات سكان المجتمع وتحقيق مســـتوى معيشـــى مناسب لهم عن طريق ما توفره من خدمـــات تعليميـــة وتثقيفيـــة وصحيـــة وإسكانية واجتماعية ... وغيرها من الخدمـــات التـــى تحســـن مســـتوياتهم المعيشية وكذلك تزيد من قدراتهم على العمل والعطاء .

" ولقد أصبح الحق فى التنمية حق عالمى وغير قابل للتصرف وجزأ لا يتجزأ من حقوق الإنسان الأساسية ، والإنسان هـــو المحـــور الرئيســـى للتنمية، فى حين أن التنمية تيسر التمتع بجميع حقوق الإنسان ، ولا بد مـــن تحقيق التنمية حتى يمكن أن تلبى بأنصاف الحاجـــات الســـكانية والإنمائيـــة والبيئية للأجيال الحالية والمقبلة " . (١٣،٤)

وهناك علاقة تأثير متبادل بين الزيادة السكانية والتنمية بمعنـــى أن الحد من زيادة السكان يدعم جهود التنمية فى رفع المستوى العام للمعيشـــة ، كما وأن تقدم جهود التنمية يؤدى إلى نجاح برامج خفض الخصوبة الســـكانية ، ومن ثم الزيادة السكانية ، مما يؤكد على ضرورة جعل السياسة الســـكانية جزءا مكملا لخطط التنمية القومية الشاملة حتى لا تبتلع أى زيادة سكانية أولا بأول عوائد الجهود التنموية .(٣٠،٤٠)

فالنمو السكانى السريع يمثل معوق من معوقات التنمية ، وتزايد هـذا النمو السكانى معناه عرقلة كل مجهود إيجابى للتقدم فـــى أى مجـــال مـــن مجالات التنمية ، بل من شأنه إجهاض كافة الجهود التنموية وتبديد فـــرص تحسين مستويات المعيشة ونوعية الحياة حيث أن الزيادة فى عـــدد الســـكان تعنى زيادة عدد الأطفال دون سن العمل مما يؤدى إلى زيادة متوسط الإعالة فى المجتمع خلال فترة زمنية ، وكذلك ارتفاع نسبة البطالة لصعوبة توفـــير

وإتاحة فرص العمل بالإضافة إلى حاجة أولئك الأطفال للعديد من الخدمات الصحية والتعليمية .. وغيرها وقد تؤدى خطط التنمية بما تتضمنه من برامج ومشروعات إلى مواجهة الآثار الناجمة عن المشكلة السكانية واستيعابها من خلال توفير فرص عمل جديدة وكذلك توفير الخدمات المختلفة التى تشبع احتياجات أفراد المجتمع .. إلا أن هذه الجهود التنموية لا تتضح آثارها على المجتمع فى ظل استمرار ارتفاع معدلات النمو السكانى .

فالاتجاهات السكانية ترتبط بشكل وثيق بجميع نواحى التنمية وخاصة الاقتصادية منها والتى تنعكس على مشكلات الوضع الاقتصادى والاجتماعى مثل الادخار والاستثمار .. وغيرهم وحيث أن النمو السكانى كما يترجمه الاقتصاديون عبارة عن نمو الاحتياجات من وسائل الإشباع من سلع وخدمات فإذا لم يقابل هذا النمو نموا فى إمكانيات الإنتاج بحيث يمكن فعلا زيادة الإنتاج بصورة تكفى لسد الاحتياجات المتزايدة ازدادت حدة المشكلة الاقتصادية ، وهذا يعنى أنه لو حدث وازدادت الأعداد السكانية فى مجتمع ما بمعدل مرتفع واستمر لفترة من السنوات ولم يقابله زيادة فى الإنتاج فى هذا المجتمع فإن المشكلة الاقتصادية تتفاقم فى حدتها وتسوء الأحوال المعيشية وهذا ما سوف نركز عليه فى النقاط التالية التى توضح تأثير الزيادة السكانية على تفاقم المشكلة الاقتصادية . (٥،٤١ : ٥١) :-

١- الإنفاق الحكومى على الخدمات :

مما لاشك فيه أن هناك زيادة فى المبالغ المخصصة للخدمات من جملة الإنفاق القومى وهو من الأمور التى تعكسها الزيادة السكانية ، لذلك فإن جزء كبيرا من ميزانية الدولة يخصص لهذه الخدمات .. مما يحد من فرص التوسع فى الإنفاق على النواحى الإنتاجية الأخرى ـ جوانب الإنتاج

ـ التى تهدف إلى زيادة الناتج القومى ، وبالتالى الارتفاع بمستوى معيشة أفراد الشعب .

٢- الاستهلاك المحلى :

أن ما يحدث الآن بسبب سرعة النمو السكانى وقصور الموارد والإمكانيات عن ملاحقة هذه السرعة مما أدى إلى انخفاض مستوى المعيشة ويلاحظ أن النمو السكانى الكبير قد صاحبه تزايد واضح فى الطلب على السلع الاستهلاكية مثل : الطعام والشراب والمسكن والخدمات الصحية والتعليمية .. وغيرهم ، وحيث أن الإنتاج المحلى من هذه السلع لا يكفى فإن أسعارها أخذت فى الارتفاع مما أضطر الاقتصاد القومى إلى تخفيض جانب من موارده من العملات الصعبة لاستيراد هذه السلع الاستهلاكية بدلا من توجيه هذه العملات لاستيراد السلع الإنتاجية .

ولقد أتضح أن إنتاج مصر من الغذاء لا يكفى لسد الاحتياجات الغذائية وتعتمد على الاستيراد لسد النقص منذ الخمسينات مثل استيراد القمح والذرة واللحوم والألبان ومنتجاتها والشاى ... الخ .. وقد ارتفعت قيمة الواردات من ٥٠,٤ مليون سنويا فى الفترة من "١٩٧٠-١٩٧٣ " إلى أن وصلت اعتمادات السلع الغذائية فى عام ١٩٧٨ إلى حوالى ١٢٠٠ مليون جنيه .

وهذا يبين المشكلة الغذائية فى مصر والمترتبة على الزيادة السكانية السريعة .

٣- الادخار والاستثمار :

أن الأفراد ذوى الدخول المنخفضة أقل قدرة على الادخار من الأفراد ذوى الدخول المرتفعة .. فأصحاب الدخول المنخفضة يحتاجون إلى إنفاق كل دخلهم على النواحى الاستهلاكية الضرورية ولا يستطيعون القيام بعملية الادخار .. ونظرا لأن الزيادة السكانية مرتفعة والدخول لا تزيد إلا بمعدلات ضئيلة وبذلك تنخفض حجم المدخرات القومية ـ فارتفاع نسبة الأطفال إلى العاملين يؤدى إلى تبديد جانب من دخل الأسرة فى تربية الأطفال وإشباع احتياجاتهم وبالتالى تعجز عن الادخار وعن تمويل الاستثمارات وبالتالى زيادة العجز فى ميزان المدفوعات وزيادة المديونية مما يثقل الاقتصاد القومى بالديون وأقساطها وفوائدها .

٤- الدخل القومى والدخل الفردى :

أن العلاقة التى تربط بين نمو الدخل القومى ونمو السكان مسألة أساسية فى الدراسة الاقتصادية وهى يبرزها الواقع الملموس فى الدول المزدحمة بالسكان والتى لا ينمو فيها الدخل القومى تبعا لذلك إلا بمعدلات ضئيلة وفى بطء ملحوظ ، ومن الملاحظ أن نصيب الفرد فى الدخل القومى فى مصر قد قل مع زيادة معدلات النمو السكانى إذ أن زيادة هذه المعدلات فى السكان قد ترتب عليها اختلال التوزيع العمرى للسكان حيث يتواجد أعداد كبيرة من المعالين " المستهلكين " على حساب الفئات المنتجة فى هذا المجتمع، وهذا يعنى أن دخول العاملين قد وزعت على عدد كبير من الأنفس.

حيث أن رب الأسرة ينفق دخله على تربية أبنائه وسد احتياجاتهم المختلفة وبذلك فمهما زاد دخل رب الأسرة لا يزداد نصيب الفرد من هذا الدخل .

وعلى الرغم من أن هناك تزايد فى الدخل القومى فى جملته إلا أن هذه الزيادة فى سباق مع الزيادة السنوية للسكان مما أدى إلى الثبوت النسبى لنصيب الفرد من الدخل بل وقد ينخفض فى بعض الأحيان وذلك انعكاس لانخفاض الإنتاجية ، وقد نشأ هذا الانخفاض مع النمو السكانى المتزايد بشكل يلتهم معدلات الدخل القومى فى ظل موارد اقتصادية محدودة .

والنمو الاقتصادى الشامل ليس هدفا فى حد ذاته ولكننا نعده غاية أساسية لأن التنمية المتقدمة توفر المزيد من العمالة وترفع مستوى الدخل الفردى ، وتزيد عدد المدارس والمستشفيات وتحسن مستويات التعليم والصحة العامة فالهدف الذى يسعى إليه ليس تكوين الجماعات الضخمة الجائعة بل العدد الأقل من الأفراد الذين يتمتعون بمستوى ثقافى أفضل وبصحة أقوى توفر لهم السعادة .(٣٨ ، ٩٨)

ومن المؤكد أن النمو السكانى السريع فى مصر أدى إلى انخفاض الخصائص السكانية من حيث الصحة والتعليم وإسكان والغذاء والخدمات وفرص العمل .(٢٢ ، ٢٥)

وفيما يلى سوف نناقش بإيجاز مختلف المشكلات المجتمعية التى يعانيها المجتمع المصرى والناجمة عن تفاقم المشكلة السكانية على النحو التالى :

١) الغذاء :-

تدور المشكلة السكانية فى مصر أساسا حول الخلل بين حاجات السكان والموارد الطبيعية المتاحة ، وتأتى الموارد الزراعية ـ وهى المصدر الرئيسى الأول للغذاء ـ فى مقدمة الموارد أهمية وكذا مصادر المياه والتربة الخصبة الصالحة للزراعة وكلاهما عصب الزراعة وإنتاج الغذاء .(١،٢٢)

ونتيجة للتزايد السكانى السريع مع محدودية التربة الخصبة الصالحة للزراعة ومحدودية نصيب مصر من المياه فقد تناقص نصيب الفرد من مساحة الأرض المنزرعة ومن المساحة المحصولية بشكل ملحوظ .

والجدول التالى يوضح السنوات وإجمالى عدد السكان ومساحة الأرض المنزرعة والمحصولية ونصيب الفرد منها (٤،٢٢) :

السنة	عدد السكان بالمليون	مساحة الأرض المزروعة بالمليون فدان	المساحة المحصولية بالمليون فدان	نصيب الفرد من المساحة المزروعة بالفدان	نصيب الفرد من المساحة المحصولية بالفدان
١٨٠٠	٢,٥٠	٢,٠٠	٢,١٠	٠,٨٠	٠,٨١
١٨٢٣	٢,٥٠	٢,٠٣٠	٢,٢٠	٠,٨١	٠,٨٢
١٨٩٧	٩,٧٠	٤,٩٠٠	٦,٧٠	٠,٥٣	٠,٧١
١٩٠٧	١١,١٩	٥,٢٧٠	٧,٥٩	٠,٤٨	٠,٦٧
١٩١٧	١٢,٧١	٥,٣٠٠	٧,٧٢	٠,٤١	٠,٦٠
١٩٣٧	١٥,٩٢	٥,٣١٠	٩,١٣	٠,٣٣	٠,٥٣
١٩٤٧	١٨,٩٦	٥,٧٦٠	٩,١٣	٠,٣١	٠,٤٨
١٩٦٠	٢٦,٠٠	٥,٩٠٠	١٠,٢٠	٠,٢٩	٠,٣٣
١٩٧٠	٣٦,٢٠	٦,٠٠	١٠,٩٠	٠,١٥	٠,٢٣
١٩٧٨	٤٠,٠٠	٦,٣٠٠	١١,٢١	٠,١٦	٠,٢٤
١٩٩٠	٥٦,٠٠	٧,٠٠	١٣,٠٠	٠,١٢٥	٠,٢١
١٩٩٥	٦٠,٠٠	٧,٤٠٠	١٤,٠٠	٠,١٥	٠,٢١

ويتضح من قراءة الجدول أن التزايد المستمر فى عدد السكان أدى إلى التناقص المطرد فى نصيب الفرد من المساحة المنزرعة وكذلك تناقص

نصيب الفرد من المساحة المحصولية وذلك يعكس تأثير المشـــكلة الســـكانية على مشكلة الغذاء .

ويوضح الجدول التالى تطور مساحة الأرض المنزرعة قمحا وحجـم الإنتاج والاستهلاك (٧،٢٢) :

السنة	المساحة المزروعة قمحا بالفدان	إنتاج القمح بالطن	استهلاك القمح بالطن	نسبة الاكتفاء
١٩٥٠	١٤٠٠٠٠٠	١٢٠٠٠٠٠	١٢٠٠٠٠٠	%١٠٠
١٩٦٠	١٤٥٦٠٠٠	١٣٠٥٠٠٠	٢٧٧٤٠٠٠	%٥٤
١٩٧٠	١٣٠٥٠٠٠	١٥٥١٠٠٠	٤٧٣١٠٠٠	%٣٢,٨
١٩٨٠	١٣٢٦٠٠٠	١٧٩٦٠٠٠	٧٤١٨٠٠٠	%٢٤,٢
١٩٩٠	٢٥٠٠٠٠٠	٤٠٠٠٠٠٠	١٠٠٠٠٠٠٠	%٤٠
١٩٩٥	٢٦٠٠٠٠٠	٥٦٠٠٠٠٠	١١٠٠٠٠٠٠	%٤٥

يتضح من الجدول السابق أنه حتى عام ١٩٥٠ كان يتحقق الاكتفـــاء الذاتى من إنتاج القمح أى أنه كان يكفى لاحتياجات واستهلاك سكان المجتمع وبتوالى السنوات واطراد التزايد السكانى بات هناك عجزا وعدم اكتفاء مـــن إنتاج القمح حيث أن متطلبات الاستهلاك فاقت ما ينتج من القمـــح وبالتـــالى اضطرت الدولة لاستيراد القمح والدقيق فضلا عن السلع الغذائيـــة الأخـــرى لسد احتياجات الأعداد المتزايدة من سكان المجتمع .

والجدول التالى يوضح تطور حجم الاستيراد من محصـــول القمـــح والدقيق خلال ٢٠ عاما (٨،٢٢) :

السنة	قيمة المستورد من القمح	قيمة المستورد من الدقيق
١٩٧٠	٢٠,٦ مليون جنيه	٨,١ مليون جنيه
١٩٨٠	٣٠٨,٩ مليون جنيه	٧١,٧ مليون جنيه
١٩٩٠	٥٧١,٩ مليون جنيه	٢٣٠,٠مليون جنيه

ويوضح الجدول السابق الأعباء التى تتحملها ميزانية الدولة وتزايدها المطرد بتزايد السكان لاستيراد القمح والدقيق فقط وفضلا عن استيراد السلع

الغذائية الأخرى مما يكلف ميزانية الدولة الكثير والذى من الممكـــن أن يوجه كاستثمارات فى خطة التنمية . وبذلك يتضح تفاقم مشـــكلة العجـــز الغذائى كنتيجة للتزايد السكانى السريع .

٢) التعليم :

التعليم من العوامل الرئيسية التى تهيئ المجتمع لاســتيعاب أســـاليب التكنولوجيا وطرق الإنتاج الحديثة مما يساعد على دفع عجلة التنمية والتطور الاقتصادى ، كما أنه من المتغيرات الأساسية فى بناء الســـلوك واتجاهـــات الفرد نحو القضايا المختلفة التى يتعرض لها المجتمع (٣٠،٢٢) .

ولقد ساعد نمو السكان فى الحضر على ارتفاع كثافـــة الفصـــول ، وتعدد الفترات الدراسية فى المبنى الواحد ... ويعنى ذلك أن الحالة التعليمية قد تأثرت بشكل مباشر بالزيادة السكانية ، مع الأخذ فى الاعتبار أن الدولـــة تبنى ثلاث مدارس كل يوم ومع ذلك لا تستطيع موارد الدولة أن توفر مكانـــا

لكل طفل فى سن الإلزام رغم أنه بحكم الدستور لابد من توفير فرص التعليم لكل طفل (١٨ ،٣٥) .

والتزايد السكانى يتضمن تخصيص جزء كبير من الموارد للاستهلاك كان يمكن توجيهه لتعليم الناس وللاستثمارات وهذا التزايد يمثل بالنسبة لغالبية البلاد عقبة رئيسية (٣٨ ،٩٨) .

٣) الصحة :

الصحة عنصر أساسى فى تقدم المجتمع وتسعى الحكومات دائما إلى بناء الفرد السليم ، إذ تحسن الحالة الصحية للسكان يؤدى إلى زيادة القدرة الإنتاجية وهو الأمر الذى ينعكس مباشرة على خطط التنمية فى مختلف مجالاتها (٢٢،٣٠) .

والإنسان يحتاج الخدمات الصحية فى مراحل حياته المختلفة ، وزيادة السكان تشكل ضغطا على الخدمات الصحية مما يؤدى إلى تدنى الأوضاع الصحية خاصة فى الريف والأحياء العشوائية فى المدن ، ومما يضاعف من تدنى المستوى الصحى ضآلة متوسط دخل الفرد وقلة الوعى الصحى وانتشار الأمية (١٨ ، ٢٥) .

٤) الإسكان :

تعتبر مشكلة الإسكان من أخطر المشكلات التى تواجه المجتمع المصرى نتيجة التزايد السريع فى نمو السكان ، وتعانى مصر عجزا صارخا فى عدد الوحدات السكنية المطلوبة ، ويقدر هذا العجز بنحو مليون وحدة سكنية ، ومازال نصيب المواطن من مساحة السكن أقل من ٦ متر مربع فى المتوسط بالإضافة إلى تدنى خدمات المرافق من مياه الشرب النقية والصرف

الصحى خاصة فى الريف والأحياء العشوائية فى الحضر مما يـؤدى إلـى مشكلات اجتماعية تؤثر على شتى جوانب الحياة (٣٨،١٨ :٣٩) .

٥) العمل والعمالة :

يعتبر التزايد المستمر فى عدد سكان مصر من أهم الأسـباب التـى تكمن خلف إيجاد وتفاقم مشكلة البطالة (٥٢،٢٢) .

وبالنسبة لحجم قوة العمل فقد زادت من حوالى ٧ ملايين عام ١٩٤٧ إلى ٧,٨ مليون عام ١٩٦٠ وذلك بمعدل سنوى مقداره ٠,٨% ثم زادت إلـى ١١,١ مليون عام ١٩٧٦ بمعدل سنوى مقـداره ٣,٢% فـى الفـترة بيـن التعدادين الأخيرين .

وعند المقارنة بين نمو قوة العمل فى الريف والحضـر نلاحـظ أن معدل النمو فى المناطق الحضريـة أعلـى منـه فـى المنـاطق الريفيـة (٣,٦%مقابل ١,٣%) كما أن معدل نمو قوة العمل من الإناث أعلـى مـن معدل نمو قوة العمل من الذكور (٢,٩% للإناث مقابل ٢,١% للذكور) .

وظلت النسبة المئوية للأفراد دون النشاط الاقتصادى إلـى إجمـالى السكان ثابتا عند القيمة ٣٠% فى سنتى ١٩٦٠، ١٩٧٦ وقد وصـل معـدل النشاط للذكور ٥٤% فى عام ١٩٧٦ بينما وصـل إلـى٥ ,٥ % بالنسـبة للإناث.

وبذلك نجد أن مجموع الأفراد فى قوة العمل تعتبر هى الفئة العائلـة لمجموع الأفراد خارج قوة العمل .. وتعتبر نسبة الإعالة فى مصر مرتفعـة إذ تصل إلى أكثر من ٣٥٠% عام ١٩٧٦ وهذا يعنى أن كل فرد من قـوة العمل المنتجة يعول ٣,٥ من الأفراد بالإضافة إلى نفسه (٧٥،٤٢ :٨١) .

ونظرا لتزايد عدد السكان بصفة مستمرة فأن نسبة السكان أقل من ١٥ سنة هى الشريحة التى تدخل سوق العمل باستمرار قد تزايدت من حوالى ١٥ مليون نسمة عام ١٩٧٦ إلى ١٩,٤ مليون نسمة عام ١٩٨٦ ، وإلى ٢١,٦ مليون نسمة عام ١٩٩١ ومن المتوقع أن تصل إلى ٢٣,٥ مليون عام ١٩٩٦ ، وإلى ٢٥ مليون عام ٢٠٠١ وهذا علاوة على تزايد السكان فى سن العمل ١٥-٦٤ عام من حوالى ٢٠,٤ مليون عام ١٩٧٦ إلى ٢٦,٧ مليون عام ١٩٨٦ إلى ٣٠,٤ مليون عام ١٩٩١ وسوف تصل إلى ٣٤,٩ مليون نسمة عام ١٩٩٦ وإلى ٤٠,٢ مليون نسمة عام ٢٠٠١ (٥٣،٢٢) .

ولقد زادت قوة العمل من ١١٠٩٢ آلف نسمة عام ١٩٨٢/٨١ إلى ١٧٨٢٧ آلف نسمة عام ١٩٩٨/٩٧ ، وارتفع معدل النشاط (نسبة قوة العمل إلى عدد السكان) من ٢٦,٣٩% عام ١٩٨٢/٨١ إلى معدل بلغ نحو ٢٩,٣% عام ١٩٩٨/٩٧ وزاد عدد المشتغلين من ١٠٥٢٢ آلف مشتغل عام ٨١/ ١٩٨٢ إلى ١٦٣٤٤ آلف مشتغل عام ١٩٩٨/٩٧ بمتوسط معدل نمو سنوى ٢,٧٩% (٧٦،٤٣ :٧٧) .

وتوضح الإحصائية التالية قوة العمل وعدد المشتغلون والمتعطلون بالألف خلال السنوات المختلفة (٧٩،٤٣) :

السنة	قوة العمل	المشتغلين	البطالة
١٩٨٢/٨١	١١٠٩٢	١٠٥٢٢	٥٧٠
١٩٨٧/٨٦	١٢٩٥٦	١١٩٩٨	٩٥٨
١٩٩٢/٩١	١٥١٤١	١٣٧٤٢	١٣٩٩
١٩٩٧/٩٦	١٧٣٥٨	١٥٨٢٥	١٥٣٣
١٩٩٨/٩٧	١٧٨٢٧	١٦٣٤٤	١٤٨٣

ومن ثم فإن سوق العمل فى مصر يعانى من زيـادة مسـتمرة فـى العرض تفوق إمكانيات الطلب المرغوب فيه ، فلقد وصلت نسبة المتعطليـن عام ١٩٨٦ إلى ١٠,٨%من إجمالى السكان ١٥ سنة فأكثر علما بأن نسـب البطالة تختلف وبشدة بين فئات المجتمع المختلفة حيث تزيد بين الإناث عـن الذكور وبين أصحاب المؤهلات العليا والمتوسطة وتقـل بالنسـبة للأميين (٥٤،٢٢) .

وتضغط المشكلة السكانية على سوق العمل حيث أن المطلوب مـن الدولة أن توفر ٥٠٠ ألف فرصة عمل سنويا ولما كـانت فرصـة العمـل الواحدة تكلف الدولة حوالى ٥٠ ألف جنيـه فـى المتوسـط فـإن توفـير هذه الفرص يفوق موارد الدولة ومع النمو السـريع يزيـد طـالبو فـرص العمل عاما بعد آخر .. ويترتب على ذلـك انخفـاض مسـتوى المعيشـة وانتشار البطالة (٤٠،١٨) .

خامسا: المداخل المقترحة لمواجهة المشكلة السكانية :

المشكلة السكانية تعتبر قضية اقتصادية سياسية ، وقوميـة البـرامج لمواجهتها تتحقق من خلال خفض معدلات المواليد والارتقاء الكيفى بمستوى الأسرة وزيادة قدرة المجتمع على مواجهة المشكلة بالعمل على الوصول إلى توازن التقدم بين معدلات النمو السكانى والتنمية الشاملة بخفـض معـدلات النمو السكانى (٧٦،٤٤) .

وهناك مدخلين أساسين متكاملين لمواجهة المشكلة السكانية هما :

المدخل الأول : تنظيم الأسرة .

المدخل الثانى : التنمية الشاملة .

وفيما يلى سوف نعرضهما بإيجاز على النحو التالى :

المدخل الأول : تنظيم الأسرة .

هناك العديد من العوامل البنائية التى لابد من وضعها فى الاعتبار على الأقل لتحريك العرض والطلب على تنظيم الأسرة وتوفير المتغيرات التى تحوله إلى قرار قابل للتنفيذ ، بخلق الرغبة فى اتجاهه ومن أبرز هذه العوامل ما يلى : (٣٧،٢٥٤ :٢٥٨) :-

أ- أن التعليم شرط ضرورى لممارسة تنظيم الأسرة ، وأن التوجه نحو التخطيط لمحو الأمية يعد مطلبا ضروريا لا للتأثير فى الزيادة السكانية فقط وإنما لتوفير مهارات وخبرات تحتاجها خطة التنمية .

ب- أن هناك علاقة بين وفيات الأطفال وبين ميل الأسرة نحو الإنجاب الأكثر ،ومعنى هذا أن خفض معدل الوفيات خاصة وفيات الرضع يمكن أن يوفر عنصر الأمان الذى يؤثر فى معدل المواليد والرغبة فى الإنجاب .

ج- هناك عدد من القيم الاجتماعية تمثل متغيرات مؤثرة فى الاتجاه نحو الإنجاب ومنها :

* يمثل الأولاد- خاصة الذكور – قدرة إنتاجية خاصة فى الاقتصاد الزراعى المصرى .

* أن الأولاد – خاصة الذكور – يساعدون على تحقيق هيبة الأسرة "العزوة حلوة " .

* تفضيل الذكر على الأنثى للمبررات السابقة بالإضافة إلى المحافظة على أسم الأسرة ، والمحافظة على ملكيتها .

* النظرة للمرأة نظرة متدنية من الرجل وتحديد مكانتها فى ضوء بعض وظائفها المتعلقة بالإنجاب والجنس .

د- إذا كان خلل التوزيع الجغرافى وتفاوت الكثافة السكانية يرتبط فى أحد جوانبه بالهجرة الريفية الحضرية ، حيث تتمثل عوامل الطرد اقتصاديا فى البحث عن فرص عمل ودخل أفضل واجتماعيا فى نقص الخدمات .

ومدخل تنظيم الأسرة يتمثل فى ضرورة التأكيد على التباعد الزمنى بين مرات الحمل والإنجاب ، والتأثير على المتغيرات المتعددة المؤثرة على عملية الإنجاب وذلك من خلال :-

١- الاهتمام بعمليات التنشئة الاجتماعية وأجهزتها المختلفة بتوضيح متطلبات الزواج ومسئوليات الأزواج والأدوار الواجب ممارستها وكيفية أدائها وبذلك يمكن الحث على تأخير سن الزواج نسبيا بما يتناسب مع ظروف المجتمع وإمكانيات الأفراد وقدراتهم على تكوين الأسرة والمستويات المعيشية التى يبتغونها من أجل توفير أفضل الظروف لتنشئة أبنائهم .

٢- إدخال مادة التربية السكانية فى مختلف المراحل التعليمية وخاصة المراحل الثانوية والجامعية من أجل إيجاد وعى مستنير بالمشكلة السكانية وأبعادها وأثارها وأهمية تنظيم الأسرة فى مواجهتها .

٣- إتاحة وسائل الإرشاد والتوعية الوافية والمناسبة من أجل تغيير اتجاهات سكان المجتمع نحو حجم الأسرة مع التأكيد على مفهوم الأسرة الصغيرة ودعم الأسر لتبنيه والإقبال عليه بحيث تصبح الأسرة صغيرة الحجم هى النمط المفضل لهم .

٤- العمل على تغيير الاتجاهات المتعلقة بأهمية زيادة عدد الأطفال وتفضيل الذكور على الإناث وتفضيل الزواج المبكر .. وغير ذلك من التفضيلات التى تؤدى إلى زيادة الإنجاب .

٥- العمل على توعية الأزواج بمتطلبات ومسئوليات الأبناء وسبل شغل الفراغ وأضرار الحمل المتكرر فى فترات قصيرة على صحة الزوجة وعلى الأسرة اجتماعيا واقتصاديا وعمليا .. والتأكد على المشكلات الأسرية الناجمة عن زيادة عدد الأبناء .

٦- العمل على إيقاظ الوعى ونشرة بضرورة تنظيم الأسرة بين سكان المجتمع عن طريق إقامة الندوات وعرض الأفلام وتوزيع المطبوعات الخاصة بتنظيم الأسرة مع التوعية بالوسائل الحديثة لتنظيم الأسرة .

٧- استثمار الجهود الشعبية التطوعية وخاصة النسائية فى الدعوة لتنظيم الأسرة مع التركيز على القيادات النسائية ، والاستفادة من المترددات على مراكز تنظيم الأسرة ومتابعة الحالات المتخلفة عن التردد ومعرفة الأسباب والعمل على عودتهم للاستفادة من خدمات المراكز.

٨- العمل على تصحيح الأفكار والاتجاهات الخاطئة عن تنظيم الأسرة لدى سكان المجتمع بتقديم المعلومات الصحيحة والإرشادات الوافية

عن وسائل تنظيم الأسرة والأعراض الجانبية وسبل معالجتها أو تغييرها إذا دعت الضرورة .

٩- الاستفادة من الهيئات والمؤسسات المحلية مثل الوحدة الاجتماعية ، الوحدة الصحية ، مكاتب الاستشارات الأسرية فى الدعوة لتنظيم الأسرة من خلال إيضاح الأضرار الناجمة عن الحمل المتكرر والإنجاب فى فترات قصيرة على الأسرة ككل وكذلك إيجابيات التباعد بين مرات العمل والإنجاب حرصا على صحة الأم وحماية للأسرة وللأبناء .

١٠- الإرشاد والتوعية والرعاية للمرأة الحامل حتى تتم فترة الحمل بسلام ويتم الوضع والإنجاب تحت إشراف طبى .

ويمكن للأخصائيات الاجتماعيات أن يسهمن بدور فعال فى التأكيد على أهمية تنظيم الأسرة وتقديم الوعى والمشورة فى هذا الصدد من خلال عملهن فى المراكز الصحية والوحدات الاجتماعية ومراكز تنظيم الأسرة وذلك باستخدام أسلوب الحوار والمناقشات الفردية والجماعية فى مناقشة النساء حول الأسرة وحجمها ومدى استخدامهن لوسائل تنظيم الأسرة وتوعية المترددات على مراكز تنظيم الأسرة وإمدادهن بالمعلومات الصحيحة والإجابة على استفسارهن وتصحيح مخاوفهن ومعلوماتهن حول تنظيم الأسرة .. وكذلك الإسهام فى تغيير اتجاهات سكان المجتمع حول حجم الأسرة الكبير ، وازدياد عدد الأولاد ، وتفضيل الذكور على الإناث .. بالتأكيد على مفهوم الأسرة الصغيرة والمساواة بين الجنسين .

المدخل الثانى : التنمية الشاملة :

تعد التنمية أحد المداخل الأساسية لحل مشكلات المجتمع وفى مقدمتها المشكلة السكانية ، فيمكن من خلالها الحد من ارتفاع معدلات نمو السكان وإعادة توزيع السكان جغرافيا والارتقاء بالخصائص السكانية .. لذلك يجب مراعاة العوامل الديموجرافية عند وضع سياسات واستراتيجيات وخطط التنمية بما يكفل تأمين الاتساق والترابط بين السكان والتنمية والموارد .

والمدخل التنموى يتمثل فى ضرورة تحقيق التنمية الشاملة والتى بدورها تسهم فى حل كافة مشكلات المجتمع وذلك من خلال :

١- التوسع فى إقامة المجتمعات الجديدة " الصناعية والزراعية والعمرانية " بما يحقق زيادة الإنتاج وجذب وإقامة الأنشطة الاقتصادية المتنوعة وتوفير العديد من فرص العمل ، بالإضافة إلى إعادة توزيع السكان على المساحة الجغرافية .

٢- التوسع فى إقامة ودعم المشروعات والصناعات الصغيرة بتقديم القروض الميسرة والمعونات الفنية والتدريب اللازم للقائمين عليها ، مع الاهتمام بالصناعات المنزلية والبيئية والريفية وإنشاء مراكز التدريب المهنى لحرفها المتعددة .

٣- التوسع فى استزراع واستصلاح الأراضى الصحراوية ، والاهتمام بالتنمية الزراعية بتحديث أدوات وأساليب الزراعة وتحسين البذور والأسمدة ... الخ .

٤- العمل على تأكيد القيم المرتبطة بالعمل والإنتاج وبذل الجهد والعطاء والتى بدورها تحث أفراد المجتمع على زيادة الإنتاج وتحقيق التنمية.

٥- العمل على تبصير سكان المجتمع بظروف المجتمع ومشكلات ، ومتطلبات المرحلة التى يمر بها المجتمع من بذل جهدهم لتحقيق التنمية ، بالإضافة إلى الادخار والاستثمار والمشاركة فى المشروعات التنموية ، وكذلك حثهم على ضرورة ترشيد الاستهلاك حتى لا تجهض الجهود التنموية .

٦- العمل على كسب دعم وتعضيد أفراد المجتمع وزيادة مشاركتهم الفعلية فى جهود وبرامج ومشروعات التنمية ، سواء كانت مشاركتهم بالمال أو الجهد أو الخبرة حتى يمكنهم الاستفادة من عوائد التنمية وجنى ثمارها .

٧- حث الشباب على العمل بالمشروعات الجديدة بالمناطق والمجتمعات الجديدة الصناعية والزراعية ومساعدتهم على التوافق والاستقرار بهذه المجتمعات بالإسهام فى حل مشكلاتهم وتوفير الخدمات لإشباع احتياجاتهم الأساسية اللازمة بما يدعم إقامتهم واستقرارهم بهذه المجتمعات .

٨- العمل على توفير الخدمات الاجتماعية والتى بدورها تساعد على الاستيطان والاستقرار بالمجتمعات الجديدة وجعلها مناطق جذب للشباب وأسرهم .

٩- الاهتمام بنشر الصناعات البيئية المنزلية بين سكان المجتمع والتى قد تفيد فى شغل أوقات الفراغ بشكل مفيد ومثمر وتزيد من دخل سكان المجتمع وتزيد من الإنتاج فى نفس الوقت .

١٠- الاهتمام بالمرأة ومشاركتها فى عمليات التنمية وخاصة المرأة الريفية من خلال توفير بعض المشروعات والبرامج المدرة للدخل والمحققة لزيادة الإنتاج .

ويمكن للأخصائى الاجتماعى أن يسهم بدور فعال فى تحقيق التنمية ومواجهة المشكلة السكانية من خلال ممارسته المهنية فى مواقع العمل المختلفة المدرسة أو المصنع أو المستشفى أو أى مكان يعمل به من خلال الاتصال الجماهيرى المباشر مع الفئات التى يتعامل معها لإقناعهم وإذكاء وعيهم بمتطلبات التنمية ومسئولياتهم فى تحقيقها وما يمكن أن يسهموا به باعتبارهم مستهدفين من هذه الجهود التنموية ، ولعل أسلوب الحوار القائم على الإقناع هنا ذو فاعلية تأكيديه أكثر من أى أسلوب آخر .

وهذا الدور المهنى من شأنه أن يسهم فى تحقيق التنمية وزيادة الإنتاج وحل المشكلة السكانية التى تنجم عن تزايد معدلات النمو السكانى بما يفوق معدلات التنمية ويلتهم منجزاتها ، ذلك بالإضافة لما يمكن أن يحققه من تخفيض الكثافة السكانية بإعادة توزيع السكان على المجتمعات الجديدة وذلك يتطلب وضع سياسة قومية محددة المعالم ذات إمكانية تنفيذية تسمح بترجمتها إلى برامج ومشروعات إنتاجية و خدمية تستوعب أعداد من السكان " العمالة " وأسرهم وتحقق لهم الاستقرار فى ضوء توزيع إقليمى للسكان يحقق الانتشار على الحيز الجغرافى الكلى ، وذلك بدوره يسهم فى معالجة المشكلات الأخرى مثل الإسكان ، والمواصلات ، والمرافق .. وغيرها .

المراجع

١. أنور عطية العدل : السكان والتنمية ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٧ .

٢. عبد الحميد لطفى ، حسن الساعاتى : دراسات فى علم السكان ، القاهرة ، دار المعارف ، الطبعة السابعة ، ١٩٨١ .

٣. الأمم المتحدة : المؤتمر الدولى للسكان والتنمية ، الخبرات المتعلقة باستراتيجيات وبرامج السكان والتنمية ، القاهرة ، ٥-١٣ سبتمبر ١٩٩٤ .

٤. الأمم المتحدة : تقرير المؤتمر الدولى للسكان والتنمية ،القاهرة ، ٥-١٣ سبتمبر ١٩٩٤ .

٥. محمد شفيق : السكان والتنمية " القضايا والمشكلات " الإسكندرية ، المكتب الجامعى الحديث ، ١٩٩٨ .

٦. حسين عبد الحميد أحمد رشوان : علم الاجتماع وميادينه ، الإسكندرية، المكتب الجامعى الحديث ، ١٩٩٧ .

٧. إبراهيم العيسوى : انفجار سكانى أم أزمة تنمية ، دراسة فى قضايا السكان والتنمية ومستقبل مصر ، القاهرة ، المجلس القومى للسكان دراسات سكانية المجلد ١٢ ، العدد ١٩٨٥،٧٣ .

٨. عقيلة حمدى ، عرض لكتاب رمزى زكى : المشكلة السكانية وخرافة المالتوسيه الجديد ، القاهرة ، المجلس القومى للسكان ، دراسات سكانية ، المجلد ١٢ العدد ٧٢ ، ١٩٨٥ .

٩. محمود الكردى : دور العوامل الاقتصادية فــى الســلوك الإنجــابى للزوجين فى مصر ، القاهرة ، معهد التخطيط القومـــى ، مذكــرة ٧٩ ، مايو ١٩٨٠ .

١٠. محمد نبيل الخزرانى : الدروس المستفادة من " مــاذا ــ لــو " مــن ثلاثين عاما من الزيادة السكانية ، القـــاهرة ، جــهاز تنظيــم الأســرة والسكان، دراسات سكانية ، المجلد ١١، العدد ١٩٨٤،٦٩ .

١١. سعد جمعة : السكان والتنمية فى العالم الثــالث ، القــاهرة المجلــس القومى للسكان ، دراسات سكانية ، المجلد ١٢ ، ٧٢ ، يناير ١٩٨٥ .

١٢. حسن أبو سعده : مقترح لحل المشكلة السكانية فى الإطار العام لخطة التنمية ، القاهرة ، جهاز تنظيم الأسرة والسكان ، دراسات سكانية ، العدد ١٨ ، مارس ١٩٧٥ .

١٣. وزارة السكان : المجلس القومى للسكان فى ١٠ ســـنوات "١٩٨٥ – ١٩٩٥" ، القاهرة ، المجلس القومى للسكان ، ١٩٩٥ .

١٤. سعد الدين إبراهيم : الهجرة الداخلية فى مصر ، القـــاهرة ، جــهاز تنظيم الأسرة والسكان ، مسلسل ٥ ،١٩٨٣ .

١٥. الجهاز المركزى للتعبئة العامــة والإحصـــاء: الكتــاب الإحصــائي السنوي، ١٩٩٠-١٩٩٥، القاهرة، يونيو ، ١٩٩٦.

١٦. الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء : النتائج الأوليــة للتعــداد العام للسكان والإسكان والمنشآت لعام ١٩٩٦ ، إجمالى الجمهورية .

١٧. المؤتمر الصحفى لرئيس الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء فى ١٩٩٩/٢/٢٤ والمنشور نصه بجريدة الأخبار بتاريخ ١٩٩٩/٢/٢٥ .

١٨. منظمة الأغذية والزراعة ، صندوق الأمم لمتحدة للسكان : المشكلة والسياسة فى مصر ، مشروع دمج الثقافة السكانية فى الإرشاد الزراعى، دكرنس ، مركز الدعم الإعلامى للتنمية ، ١٩٩٦ .

١٩. عبد المجيد فرج: الأسس الإحصائية للدراسات السكانية ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٥ .

٢٠. وزارة التخطيط : خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية لعام ١٩٩٥/٩٤ المجلد الأول ، المكونات الرئيسية والقطاعية ، أبريل ١٩٩٤.

٢١. صبحى عبد الحكيم : الموقف السكانى فى مصر ، القاهرة ، جهاز تنظيم الأسرة والسكان ، دراسات سكانية ، العدد ١٥ ، ديسمبر ١٩٧٤ .

٢٢. المجلس القومى للسكان ، صندوق الأمم المتحدة للسكان ، مشروع الإعلام السكانى ، الكتاب المرجعى ، القاهرة ، مطابع المجلس القومى للسكان ، ديسمبر ١٩٩٥ .

٢٣. مالك محمود النمرسى وآخرون : دراسة تحليلية عن اتجاهات المواليد والوفيات فى مصر وأسبابها ، القاهرة ، جهاز تنظيم الأسرة والسكان ، مسلسل (٦) ، يناير ١٩٨٢ .

٢٤. محمد سلام مدكور : نظرة الإسلام إلى تنظيم النسل ، القـــاهرة ، دار النهضة العربية ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٥ .

٢٥. وزارة الأوقاف ، وزارة الإعلام : موقف الإسلام من تنظيم الأســـرة القاهرة ، الهيئة العامة للاستعلامات ، ١٩٩٠ .

٢٦. صحيح مسلم : الجزء الأول والسادس .

٢٧. الترمذى : الجزء الرابع .

٢٨. مصطفى محمد السيد أبو عماره : الإنارة فى أحاديث مختارة ، الجزء الأول ، القاهرة ، دار الطباعة المحمدية ، ١٩٨٨ .

٢٩. صحيح البخارى : الجزء التاسع .

30. Kingly Davis & Judith Black: Social Structure and Fertility An analytic Framework In Economic Development and Cultural Change " Chicago/ university of Chicago Press, 1956.

٣١. على عبد الرازق جلبى ، دراسات فى المجتمع والثقافة والشـــخصية ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٤ .

٣٢. كمال سعيد صالح : علم الاجتماع العام ، كلية الخدمة الاجتماعيـــة ، جامعة حلوان ، مذكرات غير منشورة ، د.ت .

٣٣. لورى آن مازور : ما وراء الأرقام " قراءات فى السكان والاستهلاك والبيئة " : ترجمة سيد رمضان هداره ، نادية حافظ خيرى ، القـــاهرة ، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية ، ١٩٩٤ .

٣٤. أحمد يحيى عبد الحميد : الأسرة والبيئـــة ، الإســكندرية ، المكتــب الجامعى الحديث ، ١٩٩٨ .

٣٥. عبد المجيد عبد الرحيم : علم الاجتماع السكانى ، القـــاهرة ، مكتبـــة غريب ، ١٩٧٩ .

٣٦. زيدان عبد الباقى : أسس علم السكان ، القـــاهرة ، مكتبـــة النهضـــة المصرية ، ١٩٧٦ .

٣٧. عبد الباسط عبد المعطى وآخرون : السكان والمجتمع ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ١٩٩٦ .

٣٨. روبيرت لافون : الانفجار السكانى : ترجمـــة نبيـــه الأصفـــهانى ، جنيف، شركة ترادكسيم ، ١٩٧٧ .

٣٩. معهد التخطيط القومى : تقرير التنميـــة البشـــرية القـــاهرة ، معـــهد التخطيط القومى ، ١٩٩٥ .

٤٠. صلاح العبد : موجز تحديات التنمية فى البلدان النامية " العالم الثـــالث "، الكتاب السنوى الأول للتنمية ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعيـــة ، ١٩٨١.

٤١. مصطفى الأمين حسنين : دراسة تأثير النمو السكاني على التنمية الاقتصادية في واحدة من الدول الإسلامية ، القاهرة ، جهاز تنظيم الأسر والسكان ، دراسات سكانية ، المجلد ١١ ، العدد ٧٠ ، ١٩٨٠ .

٤٢. نادية حليم سليمان : ملخص المسح الاجتماعي الشامل للمجتمع المصري ٥٢-١٩٨٠ ، القاهرة ، المجلس القومي للسكان ، دراسات سكانية ، المجلد ١٣ أ، العدد ٧٤ ، يناير – مارس ١٩٨٧ .

٤٣. وزارة التخطيط : خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية لعام ١٩٩٩/٩٨ المجلد الأول ، المكونات الرئيسية وتفصيلاتها المكانية والقطاعية ، فبراير ١٩٩٨ .

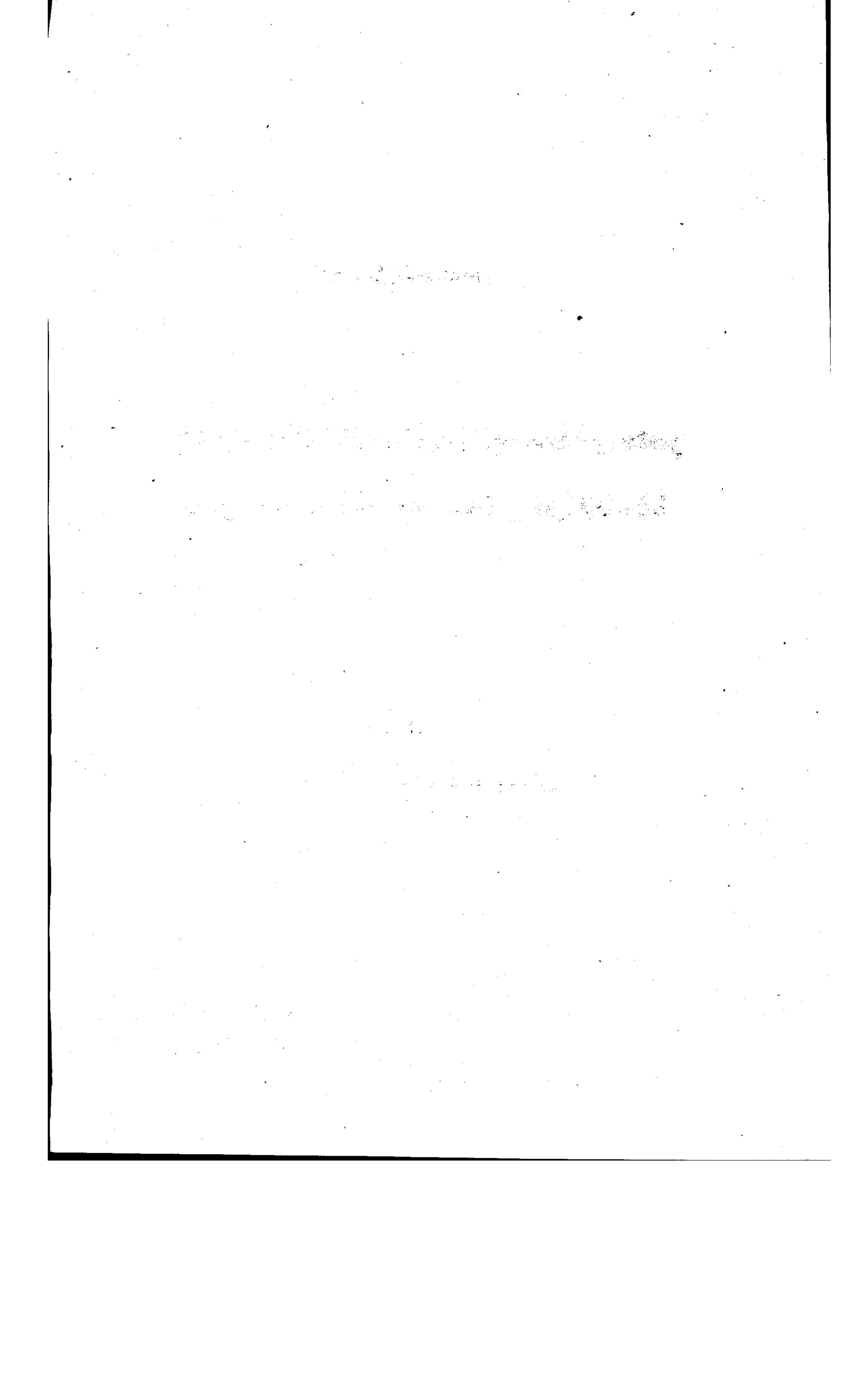
٤٤. محمود السيد أبو النيل : دراسة تحليلية نقدية لبحوث تنظيم الأسرة في مصر ، القاهرة جهاز تنظيم الأسرة والسكان ، مسلسل (٥) ، ديسمبر ١٩٨١ .

الفصل السادس

أهم المشكلات السكانية والبيئية فى مصر
ودور الخدمة الاجتماعية فى مواجهتها

إعداد

د. نادية عبد الجواد الجرواني



محتويات الفصل

مقدمة:

المشكلات المجتمعية تعنى مواقف يواجه المجتمع أفراد وجماعات وهيئات أو ككل وتعجز موارد المجتمع ولاسيما الأنظمة الاجتماعية القائمة عن مواجهتها لتصبح حاجات اجتماعية لابد التفكير فى إيجاد حلول لها.

والمشكلات المجتمعية عادة متداخلة بعضها فى بعض وهى نسبية بمعنى أننا نجدها تختلف باختلاف المجتمعات والزمان والأفراد أيضا وما هو يعتبر من المشكلات فى مجتمع قد لا يعد كذلك فى مجتمع آخر.

وبالرغم من أن التقدم العلمى والتكنولوجي الذى حققه الإنسان قد ساعد فى كثير من السيطرة على البيئة والتحكم فى عناصرها المختلفة إلا أن التزايد السكانى الكبير أصبح يهدد البيئة ويخل بنظامها الطبيعي وتوازنها ، فزيادة السكان بصورة كبيرة وتزايد معهم احتياجاتهم ومتطلبات معيشتهم أدى إلى مشكلات بيئة خاصة وأن الموارد ليست متوفرة بالقدر الكافى لأننا فى مجتمع نامى، فقد أتجه الإنسان إلى الضغط على إمكانيات البيئة. وظهور كثير من المشكلات وبذلك يمكن القول أن هناك علاقة تأثير وتأثر بين البيئة والإنسان وبذلك لا يمكن أن تحقق بيئة آمنة صحية من خلال أفراد لا يملكون قيم النهوض بتلك البيئة والحفاظ عليها.

وتعانى البيئة من مشكلات كثيرة يعتبر ألإنسان السبب الرئيسي فى إحداثها حيث أن زيادته وأنشطته هى المسئولة عن تخريب مناطق عديدة على سطح الأرض.

ومن أمثلة هذه المشكلات:

مشكلة تلوث البيئة ، الأمية ، العشوائيات (التصحر ـ قلة المـوارد الطبيعية ـ سوء استخدامها ونقص الخدمات وغير ذلك من المشكلات).

وفيما يلى سوف نستعرض بعض هذه المشكلات على النحو التالي

أولاً: الأمية :-

تعتبر الأمية ظاهرة اجتماعية تمثل عقبة كـبرى فـى سـبيل نمـو المجتمع ونهضته، ومن أكبر التحديات التى تواجه الأمم النامية وتشل حركتها نحو التقدم والوفاء بمتطلبات الحياة، ومهما سعت هذه الأمـم نحـو إيجـاد التوازن بين مواردها وبين التغلب على مشكلاتها ، فإنها تصطـدم بعوامـل التخلف التى تحد من قدرتها على البناء والإنتاج ، وعدم تجاوب أفرادها مـع التغيرات الإنمائية التى تحدثها الحضارة والمدينة (١،٣٦).

وعلى الرغم من أن الثروة البشرية تعتبر الأساس فى مجال التنميـة أو التطور، لكونها الموجهة والمسيطرة على رأس المال المادى الذى يشـكل العنصر الآخر من عناصر البناء، فالثروة البشرية تتمثل فى زيـادة أوجـه المعارف والمهارات عند جميع أفراد المجتمع كما تتضمن تحسين مسـتوياتهم الصحية، وقد يعبر عن ذلك اقتصاديا بكفاءة فى التنمية الاقتصاديـة ، أمـا سياسياً فيعبر عنها : بأنها تتضمن إعداد الأفراد للمشاركة الرشيدة فى الشئون السياسية ، كما يعبر عنها اجتماعيا بأنها تتضمن مسـاعدة الأفـراد علـى الاستمتاع بحياتهم ثقافياً، واجتماعيا فى وجود اجتماعى وإيجابي.

ولذلك استطاعت الدول المتقدمة القضاء على الأمية، فأطلقت بذلـك الطاقات البشرية من عقالها التى هى أكبر رأس مال بشرى هائل.

ومن ثم نجد أن المجتمع المتخلف هو مجتمع أمى، وإزالة أميته تكون بتطويره وتحديثه وتنميته تنمية شاملة، والفرد الأمى هو فرد أمـــى أبجديـــا، وإزالة أميته فى أبجديته وتعليمه مهارات القراءة والكتابة.

والمجتمع الأمى هو الأب الشرعى للفرد الأمى، وإن تطوير المجتمع وتنميته وأبجدة الأفراد الأميين وتعليمهم إنما يكون عن طريـــق المواجهـــة الشاملة، بمعنى التحرك فى كل جهات التخلف وبكل قدرات المجتمع الرسمية والشعبية فى مستوى التخطيط والإنجاز والمتابعة. (٢،٣٦).

مشكلة الأمية فى مصر :

مشكلة الأمية فى مصر من المشكلات المعقدة، فهى ليســـت وليـــدة الأمس القريب ، ولكنها محصلة التاريخ السياسي والاجتماعى والاقتصـــادي الطويل الذى عاشه الإنسان المصرى فى القطاعات المختلفـــة مـــن الريـــف والحضر، وانعكاس للمتناقضات التى سادت ولازالت تسود فـــى المجتمـــع بأسرة فترة طويلة من الزمن، فقد كان التعليم قاصرا على فئة معينـــة مـــن السكان هى التى تملك الإنفاق على نفسها وتستطيع أن تتحمل أعباء التعليـــم وتكاليفه. (٣، ١٤٢).

وفى عام ١٩٥٢: كانت هناك تركة مثقلة فيما يتعلق بالأميـــة، ففـــى تعداد ١٩٤٧، كان أربعة أخماس السكان وأكثر من ٩٠% من الإناث منـــهم يعانون من ظلمات الأمية، ولم يتغير هذا الوضع بمرور ثمانى سنوات، ولـــم تبدأ نسبة الأمية فى الانخفاض إلا فى الستينات حتى وصلنا إلى ٦٥% عـــام ١٩٦٦، ثم استمر الانخفاض فى تعداد ١٩٧٦ إلى ٥٦,٥%. (٤، ٤٢٠).

ونظرا إلى ضعف جهود محو الأمية وعدم تحقيق الاستيعاب الكـــامل للأطفال فى سن التعليم الابتدائي حتى منتصف السبعينات ، ويلاحظ أنه على

الرغم من انخفاض نسبة الأمية إلا أن نسبة الأمية قد تضاعفت تقريبا حتـــى زاد عن الخمسة عشر مليونا فى منتصف الســـبعينات بمعـــدل ٤٢% وفـــى الثمانينات وصلت إلى ٥٣% ، ثم بدأت فى الانخفاض التدريجي وفى عـــام ١٩٨٦ وصلت إلى ٤٩,٤، وفى عام ١٩٩٤ بلغت تلك النسبة ٤٥,٩%. (٥)

ومما يجدر ملاحظته أن الانخفاض فى نسبة الأمية كان أسرع عنـــد الذكور عنه لدى الإناث مما أدى إلى اتساع فجوة الأمية بين الذكور والإنـــاث فى المجتمع، ويؤكد ذلك الجدول التالي:-

جدول رقم (١) يوضح نسبة الأمية خلال عشر سنوات

من عام ١٩٩١ : عام ٢٠٠٠ (٦)

السنة	النسبة المئوية %
١٩٩١	٤٦,٦
١٩٩٢	٤٦
١٩٩٣	٤٥,٥
١٩٩٤	٤٩,٩
١٩٩٥	٤٤,٤
١٩٩٦	٤٣,٩
١٩٩٧	٤٣,٤
١٩٩٨	٤٢,٨
١٩٩٩	٤٢,٣
٢٠٠٠	٤١,٨

يوضح الجدول السابق :

- أن نسبة الأمية المتوقعة فى عام ٢٠٠٠ هى ٤١,٨% وقد وصلت فى آخر تعداد إلى ٤٦,٦%، وهذا يرجع إلى المجهودات التى تبذل أخيرا للقضاء على الأمية.

فئات الأميين فى مصر:-

يمكن تصنيف فئات الأميين فى مصر على النحو التالي:

(١) الأطفال الذين تستوعبهم المدارس والذين يتسربون منها.

(٢) الصبية الذين تجاوزا مرحلة الإلزام ومازالوا دون سن العمالة (١٢-١٥) سنة ولم يحصلوا على قدر مناسب من التعليم.

(٣) الشباب الذين قاربوا أو أشرفوا على سن التجنيد من الذكور وهؤلاء يقعون بين فئات السن (١٦-٢١) سنة ولم يحصلوا على التعليم الكافى.

(٤) العمال الأميون فى أجهزة الحكومة والقطاع العام.

(٥) الأميون فى القطاع الجماهيري، وهذه الفئة الرئيسية المستهدفة لحملات محو الأمية فى مصر، وهى تتكون من مجموع العاملين فى القطاع الخاص والحرف الصغيرة، وقطاعات الزراعة والصيد وربات البيوت ويبلغ عدد هؤلاء حوالى ٧ مليون مواطن (٧، ٢٢).

وإذا كانت حملات محو الأمية تركز على محو أمية من فى القطاع الجماهيري، فأيضا نالت الفئة الرابعة وهم العمال الأميون فى أجهزة قطاع الأعمال والحكومة الاهتمام الكبير بمحو أميتهم عندما تقرر عدم مزاولة أى مهنة أو حرفة أو الترشيح للأعمال والوظائف عن طريق مكتب القوى العاملة أو التعيين للوظائف العامة الحكومية والقطاع العام إلا للحاصلين على شهادة محو الأمية ، كحد أدنى كما تقرر حرمان العامل من الترقية أو منحة

العلاوة الدورية المستحقة أو منحه العلاوة التشجيعية وذلك لكل من ملزم لمحو الأمية أو أتيحت له فرصة لمحو أميته ولم يفعل (٨).

جدول رقم (٢) يوضح نسبة الأمية بين الذكور والإناث

خلال الفترة من عام ١٩٣٧ إلى ١٩٨٧ (٩)

السنة	النسبة المئوية للذكور	النسبة المئوية للإناث	إجمالى النسبة المئوية
١٩٣٧	٧٦,٦	٩٣,٩	٨٥,٢
١٩٤٧	٦٤,٣	٨٤,٣	٧٤,٥
١٩٥٧	٥٦,٢	٨٣,١	٦٩,٧
١٩٦٧	٥٠	٧٦,٠	٦٣
١٩٧٧	٤٢	٧١	٥٦
١٩٨٧	٣٧,٨	٦١,٨	٤٩,٤

يوضح الجدول السابق:

- أن نسبة الأمية بين النساء أعلى من نسبة الأمية بين الذكور، وقد يرجع ذلك إلى زيادة نسبة الإناث اللاتى لا يلتحقن بالتعليم الإلزامى عن الذكور.

- هذا بالإضافة إلى أنه بالرغم من أن الفرق بين كل نسبة هى عشر سنوات إلا ان الانخفاض فى نسبة الأمية لم يكن كبيرا، ويؤكد على ذلك أيضا الجدول رقم (١) الذى يوضح نسبة الأمية إجماليا من عام ١٩٩١ إلى عام ٢٠٠٠ كما تتوقع الهيئة العامة لمحو الأمية وتعليم الكبار.

أنماط الأمية :

عندما نحدد الأمية بأنها عدم القدرة على معرفة القراءة والكتابة فهو يفيد فى المسائل الإحصائية المتعلقة بخصر أولئك الذين ينطبق عليهم ذلك، وبذلك فالأمية لم تكن حالة شخصية يتعرض لها الفرد نتيجة لعدم تردده على مؤسسات التعليم فترة معينة ، وإنما هى حالة مجتمعية، تصيب المجتمع (إذا عانى منها الأغلبية) وتجعله غير قادر على تنمية طاقاته وموارده .

لذلك فقد كانت الأمية من أبرز مشكلات التخلف، حيث أن تأثيرها مباشر فى تعويق الأفراد عن الاستفادة من موارد متاحة لديهم، اقتصادية كانت أو اجتماعية ، وبناء على ذلك يمكن أن تصنف الأمية إلى أربعة أنماط (١٠،٤٢٥) :-

١- الأمية البدائية :

وهنا يعد معرفة القراءة والكتابة (أو الإلمام بها) شرطا ضروريا ولازما لتحقيق مسألة الإدراك بالمتغيرات التى ذهب إليها التعريف المقترح، ويطلق هنا عليها تعبير (أمية بدائية) ، على أساس أن من يعانى منها تتسم أحواله بمستوى بدائى فطرى.

وبلغت نسبة السكان الذين يشكلون هذا النمط فى مصر (٣٨,٦%) فى عام ١٩٩٦. (١١،٤٢٦)

٢- الأمية المهنية:

وتعنى تلك الفئة من السكان التى تحتل مواقع مهنية فى القطاعات الإنتاجية أو الخدمية ، وهى غير مؤهلة سواء من حيث الإعداد المدرسى

(الأكاديمي) المناسب أو التدريب الفنى الملائم أو الخبرات العملية المكتسبة أو كل ذلك مجتمعا. (١٢، ٤٢٧).

وتعانى مصر من هذا النمط من الأمية بشكل واضح حيث الاتساق غير موجود بين التعليم والتدريب والخبرة من جانب، وتوعية المهنة من جانب آخر، الأمر الذى يؤدى إلى اعتبار المنصرف على تلك العمليات فاقدا اقتصاديا ثقيلا مع عدم تحقيق منفعة تذكر فى مجال المهنة التى يجهلها صاحبها وبخاصة إن كانت تنتمى إلى قطاع الإنتاج، ولذا نلحظ التكدس فى قطاع الخدمات الذى صار واضحا، حيث أن أضراره غير مباشرة فى عملية الإنتاج وإن كانت خطيرة على العملية التعليمية ذاتها باعتبارها استثمارا بشريا، يعد المجتمع المتخلف فى مسيس الحاجة إليه، ومع ذلك لا يستفيد منه.

٣- الأمية الثقافية:

ينحصر سعى أفراد هذه الفئة فى التخلص من نطاق الأمية البدائية فقد يتجاوز بحصولهم على مؤهلات علمية وفى محاولة التغلب على الأمية المهنية، قد لا ينجحون فى تخطيها ، إلى أن يصطدموا بمشكلات مجتمعهم الأمر الذى ينتهى بهم إلى زيادة سلبيتهم او سعيهم للهرب منه (١٣،٤٢٧).

ولاشك أن كل الأنماط السابقة ليست من صنع أفراد تلك الفئة أنفسهم وإنما هى إفراز طبيعي لذلك النموذج من المجتمعات المختلفة، التى تفتقد إلى سياسات تعليمية واضحة.

وهذه الأنماط الثلاثة من الأمية يعد أخطرها الأمية المهنية، تليها الأمية البدائية ثم الأمية الثقافية.

فالأمية المهنية قد تعوق إنتاج الفرد بشكل كبير، وبذلك يقل إنتاج المجتمع، ولذلك يجب على حملات محو الأمية أن تسير جنبا إلى جنب لمحو الأمية الأبجدية بجانب الأمية المهنية.

٤- الأمية المعاصرة:

يقصد بها التخلف عن ركب الحضارة والانعزال عن الأحداث العالمية فالحروب والمخترعات والاكتشافات لم تعد حبيسة الدول المكتشفة او الناتجة بل أصبحت ملك البشرية، وهذا يتطلب من الفرد الاندماج ومعايشة العالمية فى كافة المجالات. (١٤، ٥٨).

ولابد أن نشير إلى أنه رغم الجهود المبذولة ، إلا أن النجاح المطلوب لم يتحقق بعد ولا يتناسب مع حجم الجهود والدليل على ذلك النسبة المرتفعة للأمية، وقد يعزى ذلك إلى أن هناك تحديات تؤثر على نجاح برامج محو الأمية.

التحديات التى تواجه الأمية فى مصر:

هناك مجموعة من التحديات التى تواجه القضاء على الأمية وتؤدى إلى زيادة نسبتها تتمثل أهمها فيما يلي:-

(١) عدم إمكانية تحقيق الاستيعاب الكامل فى التعليم الابتدائى بالسرعة اللازمة ، فبدلا من أن يتم استيعاب كل الأطفال فى سن التعليم الإجبارى بحلول عام ١٩٧٠، كما كان مخططا لم تتعد نسبة الاستيعاب فى الصف الأول ٧٠% فى ذلك العام، بالإضافة إلى الأطفال الذين يتسربون من المدارس الابتدائية قبل حصولهم على شهادة إتمام الدراسة الابتدائية وبالتالى تم سنويا إضافة أعداد كبيرة من أصل أفواج ضخمة من الأطفال فى سن الإلزام إلى جيش الأمية. (١٥،١٤٣).

(٢) ارتفاع نسبة الفاقد التربوى وما ينتج عنه من انخفاض فـــى مســتوى الكفاية الداخلة للنظام التربوى وخاصة فى المرحلـــة الابتدائيـــة نتيجـــة لظاهرتى التسرب والرسوب.

(٣) الاختلافات الشاسعة فى النواحى الاجتماعية والاقتصادية بين منـــاطق المدن والريف أدت إلى وجود عدم التكافؤ فى توزيع الفرص التعليميـــة بين المنطقتين والعوامل الاجتماعية، وخاصة فى الريف ، مثل الـــزواج المبكر للفتاة، الذى يلعب دورا فى عدم إقبال البنـــات علـــى التعليـــم أو الاستمرار فى الدراسة بعد الالتحاق بها، فى نهاية المرحلة الابتدائيـــة ، ومن ناحية أخرى فإن العوامل الاقتصادية ، مثل : مشاركة الأطفال فـــى كثير من النشاطات الاقتصادية قد يؤدى إلى تسرب الطلبة من المدرســـة الابتدائية وخاصة فى الريف. (١٦، ٧٤٦)

(٤) ولعل من التحديات الرئيسية لارتفاع نسبة الأمية نسبيا فى جمهوريـــة مصر العربية ، هو أن النجاح لم يحالف معظم حملات محو الأمية فـــى الماضى، وذلك لعدد من الأسباب والتى من أهمها : انعـــدام التخطيـــط المحكم لحملات محو الأمية، وانعدام المشاركة الفعالة فى نشاطات محـــو الأمية على المستويين الرسمى والشعبي مع وزارة التربيـــة والتعليـــم، وكذلك فإن من أهم الأسباب لفشل حملات محو الأميـــة عـــدم ملائمـــة مستوى المناهج وما تتضمنه كتب تعليم الكبار لاحتياجـــات الدارســـين واهتماماتهم وعملهم . (١٧، ٧٤٧).

(٥) يمكن إضافة تحد آخر وهو الارتداد إلى الأمية، فهناك فريق كبير مـــن الأطفال الذين انهوا فترة الإلزام ولم يبلغوا المستوى الدراسى المطلوب ، ولم يواصلوا التعليم فى المرحلة الإعدادية أصبحوا مهددين بالارتداد إلى

الأمية، وتبلغ نسبة هؤلاء حوالى ٤% من المقيدين فى المرحلة الابتدائية (١٨).

(٦) وهناك تحديات أخرى ترتبط بالأمية تتمثل فى:-

- عدم إحساس الأميين بخطورة المشكلة.
- الإحساس بان طبيعة أعمالهم لا تحتاج إلى القراءة والكتابة.
- الإحساس بعدم القدرة على التعليم والخجل منه فى الكبر.
- عدم توافر الحوافز الإيجابية والسلبية الكافية لكل من:

أ- القائم على برامج محو الأمية.

ب- المستفيد من برامج محو الأمية. (٥٢،١٩).

ويتضح من خلال هذه العوامل أن تأثير جهود محو الأمية كان محدودا وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار عقبات ندرة الموارد المالية والفنية، فإن جهود محو الأمية السابقة، لم يكن باستطاعتها إلا أن تقدم حلولا جزئية محدودة التأثير، مما قد يكون له تأثير فى اهتمام المسئولين فى الدولة بزيادة فاعلية برامج محو الأمية.

تأثير الأمية على الواقع الاجتماعى للفرد:

لا يتوقف تأثير الأمية على عدم معرفة القراءة والكتابة فقط، ولكن يمتد تأثيرها إلى جوانب عديدة من حياة الفرد يمكن أن نتطرق إلى بعضها (٧،٢٠).

١- تأثير الأمية على الجانب الاقتصادي للفرد:

قد يتعرض الفرد الأمي إلى العديد من المشكلات الاقتصادية منها:-

- قلة فرص العمل، وعدم وجود مهارة فى العمل، وقلة إنتاجية الفرد، وبالتالى قلة إنتاجية المجتمع، وانخفاض الدخل، الإسراف فى تقدير الجانب المادى على حساب التعليم. (٢٠،٢١)
- الإسراف فى الإنفاق وانتشار النمط الاستهلاكي.
- قد يكون تأثير الأمية على الجانب الاقتصادى عبارة عن سلسلة ، فالتأثير فى جانب معين يؤدى إلى الجانب الآخر، فمثلا قلة فرص العمل قد تكون من أسبابه عدم وجود مهارة فى العمل، وذلك يؤدى إلى قلة إنتاجية الفرد ونتيجة طبيعية انخفاض الدخل قد يؤدى إلى عدم إشباع الاحتياجات.

٢- تأثير الأمية على الجانب الصحى للفرد:

حيث أن نسبة الوفيات فى العالم تدل على أن المناطق التى تنتشر فيها الأمية هى المناطق التى ترتفع فيها نسبة الوفيات، كما أن الأمية تؤدى إلى عدم الوعى بالجانب الصحى والغذاء الصحى، وعدم القدرة على وقاية الشخص لنفسه من الأمراض ووجود العادات الصحية الضارة.

٣- الأمية والانحراف:

جاء فى تقرير الأمية لسنة ١٩٨٩، أن نسبة ٨٠,٧% من المتهمين بجرائم القتل العمد من الأميين والذين يقرأون ويكتبون ، وأن نسبة ٨٤% من المتهمين فى جرائم الضرب المفضى للموت من الفئة التعليمية المشار إليها سابقا وكذلك بالنسبة لجريمة الضرب المحدث للعاهة فقد كانت نسبة الأمية

ومن يقرأ ويكتب ٨٦% وبالنسبة لجرائم الخطف وهتك العرض والاغتصاب والسرقة، فإن نسبة المتهمين فيها من الأميين والذين يقرأون ويكتبون تزيد على نسبة ٨٠% من مجموع المتهمين.

٤- علاقة الأمية بالسياسة : (٧٠،٢٢)

- تعتبر الأمية من أهم المعوقات التى تحرم الفرد من فهم حقوقه وواجباته السياسية ، وتجعل الفرد يعتمد على الغير وخاصة فيما يتعلق بالتنظيمات الخاصة بوسائل الإنتاج والتمثيل فى الاتحادات والنقابات وغيرها من النواحى الأخرى.

- كما أن خطورة الموقف ونتائجه على الممارسة السياسية وتحقيق الديمقراطية ينبغى أن توضع فى الاعتبار عندما نتذكر أن نحو تسعة عشر مليونا من المواطنين الأميين يعيشون خارج قوة العمل، وأن نحو ثلاثين ملايين آخرين من أنصاف الأميين يكونون جزءا من قوة العمل فى مصر، وذلك أنه بدون محو الأمية ستظل نسبة كبيرة جدا ضمن شعبنا محرومة من ممارسة حقوقها السياسية، فإذا مارستها فإنها ممارسة منقوصة، فمن لا يعرف القراءة والكتابة لا يستطيع أن ينجح فى الحياة السياسية أو يتفهم مسارها أو يسهم فى تقدم مجتمعه، والأمى لا يستطيع قراءة الصحف ولا يستطيع فهم الأمور والموضوعات السياسية المكتوبة والمسموعة ، كما أنه لا يستطيع أن يشارك فى المواقف السياسية كالتصويت والترشيح فى المناصب السياسية ، وكذلك لا يتمكن من فهم برامج وأهداف الأحزاب فهو منفصل تماما عن العالم السياسي.(٧١،٢٣)

٤- هناك بعض الجوانب الأخرى التي تعكسها الأمية على الأفـراد متمثلة في:-

- لكي يتمكن الأفراد من ممارسة الديمقراطية الصحيحة لابد من معرفة كل فرد لحقوقه وواجباتــه، ودوره كمواطــن فــي التنظيمــات السياســية والاجتماعية المختلفة والمتعلم أقدر من الأمي في ممارسة دوره كمواطن صالح مدرك لأبعاده ودوره في التغيير الاجتماعي ، إلى جانب ذلك نجد أن المتعلم أقدر من الأمي في الاستفادة من الخدمات الصحية والثقافيــة والاجتماعية التي تقدمها الدولة ، وهو أيضا أقدر على تقبــل التغييــر، وتقبل الاتجاهات السليمة التي تقتضيها ظروف وطنــه ومجتمعــه فــي الحرب والسلم على السواء (١٧،٢٤) وكذلك تجنــب وقوعــه فريســة للدعاية المغرضة والإشاعات ، وكذلك الأمية تعتبر عائقا كبيرا في تنمية النمط الخلقي القومي وإحداث التماسك الاجتماعي بين الأفــراد، وهــي عائق في سبيل اكتساب الاتجاهات المرغوبة علــى المســتوى الفــردي والاجتماعي على السواء.

- كذلك فإن الاتجاهات الحديثة في التنمية الاقتصادية تعتمد علــى وســائل الاتصال من ناحية وقدرة الفرد على التعامل مع الآلة من ناحية أخــرى يضاف إلى ذلك الاتجاهات الصحيحة نحو العمــل وتقديــر المســئولية والإحساس بالواجب والقواعد الصحيحة للتعامل مــع رؤســاء العمــل وزملاء المهنة، كلها أمور يتعلمها الإنسان ويكتســبها نتيجــة مــروره بخبرات يتعلمها ويستفيد منها.

- والمتعلم أفضل من الأمي في اكتساب هذه الاتجاهات والخبرات ، ومــن ناحية أخرى نجد أن زيادة الإنتاج تتوقف بالدرجة الأولي علــى مــهارة التعامل ومدى ما يجيده من مهارات الاتصال التي يستطيع عن طريقــها

أن يترقى فى سلم المهارة فى المهنة وقد كشفت خبرات وتجارب الـــدول الأخرى عن أهمية الفرد، المتعلم فى زيادة الإنتاج . (١٨،٢٥)

- وبالرغم من خطورة الأمية على حياة الأفراد، مما قد يجعلها ســببا فـــى مشكلات كثيرة وبالرغم من ارتفاع نسبتها فى بعض المجتمعـــات ومـــن بينها مصر، إلا أن مجهودات محو الأمية ليست وليدة الوقـــت الحـــالى، ولكنها مستمرة منذ القدم، حيث كانت هناك محاولات للقضاء على الأمية والتخلص من آثارها، ولكن يمكن أن نتطرق للجـــهود المبذولـــة لمحـــو الأمية فى الآونة الأخيرة.

الجهود المبذولة لمحو الأمية:

ونتيجة لذلك وإدراكا لخطورة الأمية على برامج التنمية فقد أنشـــأت الدولة الهيئة العامة لمحو الأمية وتعليم الكبار فى ١٩٩١، وتنـــص المـــادة الأولي من القانون رقم ٨ لسنة ١٩٩١، على أن محو الأمية وتعليم الكبـــار واجب وطنى ومسئولية قومية وسياسة تلتزم بتنفيذها الـــوزارات والـــهيئات العامة ووحدات الإدارة المحلية واتحاد الإذاعـــة والتليفزيـــون والشـــركات والأحزاب السياسية والتنظيمات الشعبية والاتحـــاد العـــام لنقابـــات العمـــال والجمعيات وأصحاب الأعمال، وذلك وفقا للخطة العامة لمحو الأمية وتعليـــم الكبار ، طبقا لأحكام هذا القانون (٢٦) .

وتعتبر الهيئة العامة لمحو الأمية هيئة مستقلة ذات شخصية اعتبارية، تتبع وزير التعليم، وتتولى وضع خطط وبرامج محو الأمية ومتابعة تنفيذهـــا والتنسيق بين الجهات المختلفة.

أسس ومبادئ الحملة القومية لمحو الأمية (٢٧)

(١) طلب الإعلان من كافة الجهات والتنظيمات والقطاعات والأفراد ان تعمل متكاتفة فى حملة قومية شاملة لمحو الأمية وتوفير المهارات الأساسية من أجل العمل والإنتاج.

(٢) وضع إطار لحملة إعلامية مكثفة تسبق برامج محو الأمية وتواكبها وتستمر بعدها ومن أهدافها استقطاب أكبر عدد ممكن من المتطوعين والمثقفين للإنضمام للحملة كمعلمين وإداريين وحث المؤسسات على القيام بمسئولياتها وخاصة فى التمويل.

(٣) ضرورة سد منابع الأمية لتحقيق الاستيعاب الكامل للملزمين فى مدارس التعليم الأساسي وهناك أربعة مسارات لهذا الهدف:

أ- سد منابع الأمية لتحقيق الاستيعاب الكامل للملزمين فى مدارس التعليم الابتدائى أو ما يوازيه والقضاء على التسرب.

ب- إعطاء الأولوية للأصغر سنا وللفئات المحرومة وخاصة النساء وسكان الريف والبيئات الحضرية الفقيرة.

ج- إلزام جميع الأميين فى الفئة العمرية ١٥-٣٥ عاما للالتحاق بفصول محو الأمية.

أهداف الحملة القومية لمحو الأمية:

أ- الأهداف الكمية:

١-الاستيعاب الكامل للملزمين.

٢-القضاء على عوامل التسرب.

٣-القضاء على الأميين فى الفئة العمرية ١٥-٣٦ عاما.

٤-الحد من الأمية بين الأفراد الأكبر سنا.

ب- الأهداف الكيفية:

تستهدف الخطة الوصول بالأمى إلى المستوى الدراسى الذى يمكنه من توظيف خبراته القرائية والحسابية فى مواصلة الإطلاع والانتفاع بها فى حياته العملية، ويعادل هذا المستوى نهاية الحلقة الابتدائية من التعليم الأساسي.

وتتم الدراسة فى برامج الهيئة العامة لمحو الأمية على مستويين :

الأول: يعادل نهاية الصف الثالث الابتدائي (٩ أشهر).

الثانى: يعادل إنهاء الحلقة الابتدائية ، ويلحق به من أتم الدراسة فى المستوى الأول، أو نالوا قسا من التعليم يوازى هذا المستوى.

التنظيم للحملة القومية لمحو الأمية:

يتولى الإشراف على تخطيط وتنفيذ الحملة القومية الهياكل التنظيمية الآتية:-

أ- مجلس أعلى لتعليم الكبار ومحو الأمية:

يتولى مهام وضع السياسة والتخطيط، وستنضم إلى أمانته العامة، بعد أن تجدد وتدعم بالكفايات الفنية اللازمة الإدارة التربوية لمحو الأمية وتعليم الكبار فى وزارة التربية والتعليم بالإضافة إلى كافة أجهزتها الفرعية

فى المحافظات ومراكز الإدارات المحلية وتقوم الأمانة العامة بمهمة متابعة التنفيذ.

ب- مجلس تعليم الكبار ومحو الأمية بالمحافظات:

مسئولياته:

- إعداد الخطة التنفيذية لمحو الأمية وتعليم الكبار فى المحافظة .
- تحديد أدوار الجهات المعنية والتنسيق بينها.
- متابعة التنفيذ على المستوى المحلى فى إطار خطط وقرارات الهيئة القومية لمحو الأمية.
- إصدار القرارات اللازمة لحل المشكلات وتطوير العمل.
- إعداد تقارير دورية عن نشاط محو الأمية وتعليم الكبار بالمحافظات يرفعها إلى الهيئة كل ٣ شهور.

وتمثل فيه كافة الوزارات والمصالح والهيئات المعنية بمحو الأمية والمجالس المحلية والتنظيمات السياسية والشعبية، ويكون مدير الفرع بالمحافظة مقررا لهذا المجلس.

جـ- لجنة تعليم الكبار ومحو الأمية فى الحى أو المدينة أو المركز:

- ينهض بأعباء العمل فى مواجهة مشكلة الأمية من خلال مجلس الوزراء ووحدات الإدارة المحلية والهيئات العامة والتنظيمات

السياسية وأصحاب الأعمال باعتبارها مسئولية قومية، وتتحمل كـل من هذه الجهات مسئولياتها كاملة فى تحقيق أهداف الحملة القومية.

الأمية والزيادة السكانية:

تعتبر مشكلة الأمية من أخطر المشاكل فهى سبب الأمية الحضاريـة لأنها تشمل الجزء الأكبر من السكان ، كما أنها لا تقتصر على جنس أو سن معينة بل تشمل جميع فئات السن والجنس.

ورغم الجهود المبذولة فى مجال محو الأمية إلا أن أعداد الأمية التى سبق الإشارة إليها يتزايد وبفعل النمو السكانى ويعتبر النمو السكانى السـريع من أكبر التحديات التى تواجه التخطيط التعليمي ومستقبل التعليـم ويـتزايد الإنفاق على التعليم بصورة كثيرة فى ظل النمو السكانى السريع (٢٨، ١٤).

وقد أكدت نتائج كثيرة من البحوث المصرية والعالمية على أن هنـاك ارتباط بين تعليم المرأة ومستوى إنجابها واستخدامها لوسائل تنظيم الأسـرة وقد أكدت الإحصاءات لعام ١٩٩٧ أن معدل الخصوبة الكلى من الحـاصلات على تعليم ثانوى فأكثر لا يتعدى طفلين فى المتوسط بينما يزيد إلى حوالـى أربعة أطفال بالنسبة للنساء الأميات ومن ثم فإن محو أمية المرأة مـن أهـم الأهداف أمام نجاح أى سياسة سكانية (٢٩،٢١).

هذا بالإضافة إلى أن خطورة مشكلة الأمية فى المجتمـع المصـرى بوجه عام وما يترتب عليها من آثار ضارة تجهض برامج التنمية الشاملة هذا بجانب ارتباط مشكلة الأمية بالزيادة السكانية (٣٠،٢٢٦).

ثانيا: العشوائيات

تواجه مصر شانها شأن الدول النامية الأخرى العديد من الصعوبات في نواحي متعددة وخاصة في توفير أحوال المعيشة الإنسانية المناسبة لجميع المواطنين، ورفع مستوى المعيشة وتحقيق التقدم الاقتصادى والاجتماعى والتكنولوجي. ويعتبر النمو السكانى السريع من المشاكل الحادة التى يؤدى إلى زيادة الكثافة السكانية واستنزاف الموارد الطبيعية وكذلك نشأة العديد من المجتمعات الحضرية العشوائية كامتداد للمدن الكبرى لتستوعب الأعداد المتزايدة من سكان تلك المدن فضلا عن أولئك المهاجرون من الريف إلى الحضر بأعداد مضطردة الازدياد.

أولا : تعريف المناطق العشوائية:

تعرف المناطق العشوائية بأنها المناطق التى لم تمسها يد المخطط إطلاقا ولا يشترط فيها ان تكون مناطق قديمة إذ كان من الممكن تواجدها فى مناطق حديثة العمران إلا أنها سيئة التخطيط (٣٣، ٦٣).

وهى منطقة تضم مجموعة من المساكن المتهالكة أو التالفة غير الصحيحة والتى ينقصها الكثير من الوسائل المعيشية اللازمة.

وتعرف أيضا المناطق العشوائية :

بأنها المجتمع الذى يضم سكان يفدون من مناطق مختلفة ومتباينة لا تجمعهم غالبا علاقات اجتماعية سابقة ليعمروا منطقة سكنية جديدة نشأت بالجهود الأهلية ، وبدون تدخل حكومي. (٦٧،٣٤)

وتعرف المناطق العشوائية إجرائيا بأنها:

١-منطقة جغرافية متاخمة لمجتمع حضرى (مدينة كبيرة) يحتوى على بعض الخدمات المحلية.

٢-تتكون من سكان هاجروا إليها من مناطق أخرى أو وفدوا إليها من المركز الحضرى، ولا تجمعهم غالبا روابط وعلاقات اجتماعية قوية مثل تلك المناطق التى كانوا يعيشون فيها.

٣-أن هذه المناطق نشأت كامتداد عمرانى للمدن الكبرى دون تخطيط عمرانى ودون تدخل حكومى وإنما تعتمد على الجهود الأهلية فقط.

٤-تتميز هذه المجتمعات بالمنازل المتلاحقة وتداخل الشوارع وعدم انتظامها وضيق الشوارع والحوارى.

٥-تتميز هذه المناطق بنقص الشعور بالانتماء من سكانها لمكان إقامتهم الجديد، وضعف مشاركتهم فى أمور مجتمعهم الصغير (٣٥،٥٠٣)

ويصعب مواجهة مشكلات النمو العشوائي فى غياب سياسة تنمية حضرية للمنطقة تأخذ فى اعتبارها تحقيق التوازن بين الإنسان والبيئة وتكون وسيلة لمواجهة المشكلات المترتبة على النمو العشوائي مثل التلوث والازدحام وقصور فى المرافق والخدمات وغير ذلك.

نشأة المناطق العشوائية:

إن الإسكان العشوائي ظاهرة عالمية فهى تنتشر فى مدن العالم سواء الرأسمالية أو الشيوعية أو فى الدول إلى تحت التطور، وتتميز بها غالبية مدن العالم الثالث فيقدر عدد سكان المناطق العشوائية على مستوى البلاد النامية فى المتوسط بنسب تتراوح بين ٣٠% إلى ٦٠% من إجمالى سكان

المدن. وتشير دراسات السكان بدول العالم النامى إلى النمو السريع لسكان الحضر بالمقارنة لسكان الريف مع تركيز هذا النمو فى المدن الكبرى. وبحلول عام ٢٠٠٠ فإن حوالى ٤٣,٧% من سكان العالم النامى سوف يقطنون المناطق الحضرية ... ويرجع ذلك إلى التزايد المستمر فى الهجرة الداخلية من المناطق الريفية إلى هذه المدن سعيا وراء فرصة العمل ... وأغلب هؤلاء المهاجرين من ذوى الدخول المحدودة وليس لهم مهارات حرفية أو مهنية عالية وغالبا ما يعملون بالأنشطة الهامشية. ولم يكن من المستطاع توفير أحياء سكنية مناسبة للموجات السكانية التى تصل تباعا إلى المدينة حيث أن المشكلة الأكثر إلحاحا فى تلك المدن هى توفير المأوى المناسب للسواد الأعظم من السكان.

وأمام هذا المأزق الاقتصادى الاجتماعى لم يكن هناك بديلا عن التنازل عن ادنى متطلبات السكن اللائق والهبوط إلى مستوى من الإيواء غير مقبول إنسانيا فى كثير من الأحيان (٢،٣٦). هذا النوع من مناطق الإسكان العشوائي تنتشر فى المدن عامة باعتبارها مراكز حضرية فإن درجة انتشاره تزداد فى المدن المتضخمة أو ما يعرف بالمدن المليونية حتى أنه الآن يعد سمة من سمات المدن ـ بل ـ أن تلك المناطق تمتلك أهم مشكلة من المشكلات الناجمة عن التحضر فى كثير من المدن العربية التى قفزت فيها نسبة التحضر إلى نسبة عالية (٦٨،٣٧) كما فى مدن الشرق الأوسط وبدأت تظهر على المدن ثلاث ظواهر فرضتها الحاجة للسكن:-

<u>أولا:</u> إقامة ما يمسي بعشش الصفيح " **Shanty Town** " فى أماكن متناثرة خارج المدينة.

ثانيا: امتصاص السكان الجدد فى الأحياء القديمة واستخدام الأحواش والفراغات المتاحة والأماكن الأثرية والمقابر فى السكنى أى فيما يسمى بالإسكان الجوازى أو الهامشى Marginal Housing .

ثالثا: إقامة أحياء كاملة غير مخططة وغير مرخصة أى عشوائية Informal Communities حول المدينة وداخلها وليس للأجهزة الرسمية سلطان يذكر على هذه الأحياء.

وتختلف هذه الظواهر الثلاث كما وكيفا من مدينة إلى أخرى حسب موقعها وحجمها ومقومات جذب العمال إليها ونمط السلوك الاجتماعى والعمرانى بها وعلاقتها المركبة بالمناطق والأقاليم الأخرى، ولذلك فإن الإسكان العشوائي يظهر الوجه الخفى للنواحى العمرانية والاقتصادية والاجتماعية فى كل بلد فتتجمع فيه جميع مشاكل محدودى الدخل.

إن القوانين والتشريعات الحالية تجعل من الصعب لفقراء الحضر الحصول على مسكن ملائم بطرق قانونية ولهذا السبب أصبحت التجمعات العشوائية هى المصدر الرئيسي لتوفير المأوى ومد الفقراء بالإسكان الرخيص فى كل مدن العالم النامى حيث يلجأ الفقراء إلى حل مشاكلهم بالسكن فى أطراف المدن والأماكن الغير خاضعة لرقابة المحليات سواء داخل أو خارج نطاق المدينة (الكردون) أو احتلال الأراضى الغير مخططة داخل التجمعات العمرانية أو بالتعدى على الأراضى الزراعية. ونتيجة لذلك فإن مدن العالم النامى تواجه مجموعة من المشاكل الناتجة عن التحضر السريع والنمو المتزايد لسكان الحضر وتزايد معدلات الهجرة من الريف إلى الحضر فالملايين منهم يعيشون فى مناطق سكنية متدهورة وظروف متدنية حيث نسبة البطالة العالية وسوء توزيع الخدمات والبنية الأساسية وقطع الأراضى المناسبة للبناء. (٣،٣٨).

ولذلك أصبح الإسكان العشوائي طبقا للعديد من الدراسات يمثل بنسبة ٥٠% إلى ٨٠% من جملة الإسكان المنتج فى دول العالم النامى فى حين أن القاهرة من أكبر المدن الكبرى فى العالم بالنسبة لانتشار الإسكان العشوائي الغير رسمى على مساحات كبيرة حولها ومن أكبرها قدرة على استيعاب الوافدين الجدد بأحيائها القديمة حيث بلغت نسبة الوحدات السكنية المخالفة للقوانين والتشريعات المنظمة لعمليات البناء إلى حوالى ٨٤% من مبانى بعض المناطق السكنية الجديدة بإقليم القاهرة الكبرى - وقد أدت الأزمة الإسكانية إلى التزاحم فى الوحدات السكنية ومشاركة أكثر من أسرة للعين السكنية وهى أيضا ظاهرة عامة لمدن العالم الثالث ودليل لوجود مشاكل اقتصادية واجتماعية بتلك المدن.

تواجه المناطق الحضرية فى إقليم القاهرة الكبري مجموعة من المشاكل الناتجة عن تزايد الفجوة بين النمو السريع لسكان الحضر والموارد المحدودة والمتاحة من قطع الأراضى المناسبة للبناء والخدمات والبنية الأساسية والتمويل الحكومى للاستجابة لهذا النمو المتزايد ٠٠٠٠ مما يخلق ضغوطا على شريحة كبيرة من المجتمع وخاصة ذوى الدخل المحدود. وبعض شرائح الطبقة الوسطى، وفى غياب السياسات فإن محدودى الدخل هم من أكثر الفئات فى المجتمع التى تأثرت بشدة من جراء هذه المشاكل وتبعا لقانون العرض والطلب يضطر محدودى الدخل بصفة دائمة للمعيشة بالتجمعات العشوائية.

ولقد أكدت الدراسات التى قامت بها وزارة الإسكان والتعمير عام ١٩٩٣ أنه يوجد حوالى ١٧١ منطقة عشوائية بإقليم القاهرة الكبرى وعلى سبيل المثال لا الحصر تحيط المناطق العشوائية الآن بالقاهرة الكبرى وخاصة على الأراضى الزراعية المحيطة فى الشمال (شبرا الخيمة ــ المطرية ــ عين شمس) وفى الغرب (الجيزة ــ الهرم ــ إمبابة ــ بولاق

الدكرور) وفى الجنوب (دار السلام ــ البساتين) وكذلك علـــى الأراضـــى الصحراوية فى الشرق (منشأة ناصر ــ زبالين منشاة ناصر) وفى أقصـــى الجنوب حيث تتمركز التجمعات العشوائية حول المناطق الصناعية فى حلوان والتبين، كما توجد بالأراضى الفضاء داخل المدينة (الفســـطاط - إســـطبل عنتر) وتبلغ نسبة المناطق العشوائية لمحافظـــة القـــاهرة ٣٥,٩% بالنســـبة لإجمالى سكان المحافظة كما تبلغ نسبة سكان المناطق العشوائية بمحافظـــــة الجيزة ٦٢% بالنسبة لإجمالى سكان المحافظة، وتنمو تلك المناطق بمعـــدل نمو متوسط سنوى ٨% فى مقابل ٣,٥ % للقاهرة فى مجملها.

وتأتى محافظة الجيزة فى مقدمة المحافظات على مستوى الجمهورية ازدحاما بسكان العشوائيات ١ مليون و ٣٩٨ ألف نسمة يمثلون ٦٢% مـــن سكانها وتليها محافظة القاهرة ويمثلون ٣٥,٩% من سكانها ٠٠٠٠ أما أقـــل محافظات مصر فى عدد سكان العشوائيات فى محافظة أسيوط.

أسباب ظهور المناطق العشوائية:

يوجد أسباب ساعدت على نمو المناطق العشوائية ويمكن أن تقســـم هذه العوامل إلى:

١-عوامل ترتبط بالمجتمع .

٢-عوامل ترتبط بالمناطق العشوائية.

أولا: العوامل التى ترتبط بالمجتمع:

(١) الهجرة الداخلية بسبب مركزية الخدمات وفرص العمل بالقاهرة.

(٢) عدم وجود تخطيط مستقبلي حيث أنه تبعا للقانون رقم ٣ لسنة ١٩٨٢ والخاص بالتخطيط العمراني فإن قرارات هيئة التخطيط العمراني استشارية وليست ملزمة.

(٣) ضعف العقوبات الواردة بقانون " تنظيم المباني" فى التعامل مع تقسيمات الأراضى الصغيرة.

(٤) طول إجراءات تراخيص البناء و أعمال التسجيل.

(٥) مرور البلاد بكوارث أو حروب أو أحداث اقتصادية أو سياسية حرجة.

(٦) حالات الإخلاء الإداري.

(٧) سياسة الانفتاح الاقتصادى وارتفاع أسعار الأراضى المصاحب لظهور شركات تقسيم الأراضى.

(٨) سياسة العمران والإسكان باعتبارها أسلوب لحل مشكلة الإسكان فى الستينات فأصبح إسكان متخلف فى السبعينات الآن بؤرا لمناطق متخلفة.

(٩) ضعف الاهتمام بالتنمية الإقليمية.

(١٠) النمو السكانى السريع أدى إلى عدم تناسب أعداد السكان فى محافظات الجذب مع مساحة هذه المحافظات.

(١١) التحام القرى بالمدن . فعندما تميزت بعض القرى بموقعها القريب من المدن فإنه نتيجة للزيادة السكانية وأزمة الإسكان بالمدينة فإنها تتسع ملتهمة الأراضى الزراعية المجاورة وكذلك تتمدد القرية على حساب مساحتها الزراعية وبلا أى تخطيط حتى التحمت المدن بتلك القرى .

وتحت الضغوط الشعبية والسياسية تم ضم القرية إلى كـــردون المدينـــة بكل ظروفها وخدماتها غير الملائمة لتصبح من المناطق العشوائية داخل المدينة.

(١٢) ونتيجة لأزمة الإسكان الطاحنة وارتفاع أسعار المساكن داخل المـــدن فقد لجأ بعض الأفراد إلى البناء على مساحات صغيرة جدا على أطراف المدن أو التعدى على أراضى الدولة، وتم بناء منازل صغيرة المســـاحة تسكنها أعداد كبيرة من البشر فنشأت مناطق عشوائية أهم خصائصــــها العمرانية أنها مناطق غير مخططة شوارعها ضيقة مزدحمـــة الســـكان منعدمة أو قليلة المرافق تفتقر إلى الخدمات (٢٦٢،٣٩).

ثانيا: العوامل التى ترتبط بالمناطق العشوائية:

١-إما أن الحى نشأ متخلفا من الأصل وذلك لوجـــوده فـــى منطقـــة غـــير مرغوبة فى المدينة لقذارتها وبعدها عن وسائل المواصلات ، فلم يقبـــل عليه إلا فئة خاصة من الناس فنشأت مبانيه وطرقاته وخدماته متخلفة من البداية.

٢-إن الحى كان متميزا فى وقت ما ثم تركه سكانه الأصلييـــن وبمـــرور الوقت وقدم مبانيه وحل محلهم سكان أقل دخلا. وهكذا حتى وصل الحى إلى حالته المتخلفة من ناحية المبانى والطرقات والتسهيلات من ناحيـــة مستوى السكان فيه أيضا.

٣-وأما أن الأراضى التى نشأ عليها الحى كانت حكرا فلم يجذب إليه سوى الطبقة التى تريد أن تبنى مبانى مؤقتة ولذا أنشأ متخلفا.

ويمكن أن تقسم المناطق العشوائية إلى:-

١) مناطق متخلفة داخل النطاق العمراني.

وتاريخ هذه المناطق يرجع إلى تاريخ المدينة نفسها، ويلاحظ قدم مبانيها وتداعيها وعدم وصول المرافق إلى أغلبها، كما أن شوارعها ضيقة مقفلة لا تتفق وأسس التخطيط الحديثة، كما ينقصها بعض الاحتياجات الأساسية الواجب توافرها فى المسكن عموما وتعتبر هذه المناطق من مناطق الجذب خاصة للمهاجرين إلى المدينة لعوامل عدة منها رخص المساكن والقرب من مناطق العمل.

٢) مناطق متخلفة تحيط بالنطاق العمراني :-

تنشأ هذه المناطق نتيجة لعدة أسباب منها : الضغط السكانى داخل المدينة ، انتشار الصناعة خارج النطاق العمراني وعدم توافر المساكن المناسبة للعمال أدى إلى سكن العمال بجوار هذه المصانع.

* انتشار أنشطة فقيرة مثل فرز القمامة ، وبعض مواد البناء حول الإطار العمرانى للمدينة أدى إلى نشأة الكثير من المناطق المتخلفة حولها. (٤٢، ٣٥٣: ٣٥٤).

خصائص سكان المناطق العشوائية:

سكان المناطق العشوائية شريحة ضخمة من السكان تجاوز عددهم نسبة الواحد فى المائة من السكان وهو عدد متزايد وليس متناقصا رغم الإضافات السنوية للوحدات السكنية. وهؤلاء السكان لها خصائص تميزه عن غيرهم . ويمكن أن تحمل هذه الخصائص فى الآتي:-

أولا: خصائص خاصة بالسكان:

١) الكثافة السكانية المرتفعة.

٢) ارتفاع معدلات التزاحم أى معدل الأشخاص فى الغرفة .

٣) قدم المبانى وعشوائيتها.

٤) ضيق الممرات وتعرجها مما يحول دون سيولة المرور بـــها وبالتـــالى يؤدى إلى العجز فى مواجهة أى مخاطر طارئة مثل الحرائق والكــوارث الطبيعية.

٥) سوء التهوية وانتشار القاذورات.

ثانيا: خصائص خاصة بالمرافق العامة:

١) عدم وجود مياه الشرب النقية.

٢) البعد عن وسائل المواصلات.

٣) نقص فى بعض المرافق العامة الأخرى مثل المجارى والكهرباء وعـــدم كفاءة شبكة الحركة والاتصال.

ثالثا: خصائص خاصة بالخدمات الاجتماعية:

(١) تعانى سكان المناطق العشوائية من الظروف غير الصحية حيث تتدنى الخدمات الصحية.

(٢) انخفاض المستوى التعليمي وانتشار الأمية.

(٣) سكان المناطق العشوائية ذو تركيب اجتماعى مميز سواء من حيث الأسرة أو العادات والتقاليد وانخفاض المستوى الثقافى.

(٤) تعتبر هذه المناطق مرتعا للخارجين على القانون وغير منضبطى السلوك الاجتماعي.

(٥) انعدام التجانس بين السكان (٤٠،٦٥)

(٦) سوء التغذية سمة عامة لسكان المناطق العشوائية وبذلك دائما هم يعانون من أمراض سوء التغذية.

(٧) لا توجد أدنى درجة من درجات الخصوصية فتضيع هيبة الأب بين أبنائه وتنشأ العلاقة غير السوية بين الأبناء فهم فى صراع على الطعام وعلى المكان. (٤١،٢٦٣).

رابعا: الخصائص الاقتصادية

١-انتشار البطالة السافرة بين سكان هذه المناطق.

٢-انتشار أنشطة فقيرة مثل فرز القمامة وصناعة الفخار وبعض مواد البناء.

٣-انخفاض دخل الأفراد فى هذه المناطق وبالتالى ضعف قدراتهم المادية يحول دون استعادة معظم السكان بما تطرحه المحافظات من وحدات جديدة للسكن (٤٢،١١).

ثالثا: التصحر

تزداد فجوة التخلف الذى تعانيه دول العالم الثالث والتى يطلق عليها أحيانا الدول النامية وذلك بمقارنتها بدول العالم (المتقدم) (الدول المتقدمة) بسبب ما تحرز هذه الأخيرة من قدرات تقدمية وحضارية فى السنوات القليلة حيث تغير الكثير فى عالم اليوم وتغيرت المعرفة والتكنولوجيا بسرعة رهيبة.

والدولة تعتبر متخلفة ليس فقط بسبب فقرها فى الموارد المادية وثرواتها المتاحة وإنما بسبب تخلف الغالبية العظمى من سكانها وتخلف الإنسان هو فى الحقيقة عبارة عن ضعف ومحدودية قدراته وإمكانيات بمقاييس عصره وعلى ذلك يكون الإنسان بهذه الصورة هو سبب ونتيجة تخلف الدولة بل وفقرها .

وهكذا فالدول الغنية المتقدمة ليس سبب تقدمها وفرة مواردها المادية وثرواتها المتاحة فقط وإنما سببه نوعية الإنسان فيها وقدرات وإمكانيات معظم السكان الذين يحولون الموارد المادية والثروات إلى إنتاج وفير ودخل إجمالى للدولة.

ذلك أن الإنتاج والدخل الإجمالى للدولة هو تقريبا متوسط الإنتاج والدخل الذى يحققه إجمالى أفراد الدولة وعندما يكون الإنتاج والدخل الذى يحققه الأفراد أكثر مما يستهلكون فهم بذلك يحققون وفورات ومدخرات يعاد استثمارها فتزداد الموارد والثروات أكثر وبذلك يمكن خلق فرص عمل جديدة وحقيقية.

أما إذا كانت إمكانيات وقدرات معظم سكان أى دولة محدودة بسبب تخلفهم وعاداتهم وتقاليدهم وسلوكياتهم الجامدة فإن ذلك يؤدى إلى ضعف إنتاجهم وبالتالى ضعف إجمالى إنتاج الدولة ودخلها.

ويزداد الاستهلاك فيها ويقل الادخار بل وتقع فى مشاكل الديون وتزداد فقرا وتخلف وتعجز عن خلق فرص عمل.

هذا بالإضافة إلى أن قد يؤدى تعامل الإنسان مع إمكانيات البيئة التى يعيش فيها لظهور مشكلات كثيرة ومن هذه المشكلات ... مشكلة التصحر.

فالتصحر أساسه تشابك وارتباط الأعمال البشرية وإمكانيات الصحراء الطبيعية.

وظاهرة التصحر تهدد فقر شعوب الأرض فى مواردها الغذائية والمعيشية. ففى الوقت الذى تكافح فيه هذه الشعوب من أجل توفير الطعام وإدارة تنمية مواردهم المحدودة تتزايد معدلات النمو السكانى لديها تزايدا كبيرا وهكذا تجتمع ظاهرة التصحر مع ظاهرة التزايد السكانى الكثير لتضرب أمن هذه الشعوب وبقاءها .. فالتصحر .. يقدم أخطر المشكلات البيئية التى صنعها الإنسان نتيجة لتعامله مع البيئة وخاصة البيئات الجافة التى تتسم بنظم بيئية هشة.

ويمكن مناقشة ظاهرة التصحر من حيث تعريفها - أسبابها ، التصحر فى مصر:

أولا: التصحر فى مصر:

التصحر مصطلح حديث يقصد به زحف العوامل الطبيعية (الرمال ، الثلوج، الرياح أو الحرارة) على الأراضى الزراعية بصورة تؤدى إلى اكتساحها فتتحول فى النهاية إلى أرض متدهورة إنتاجيا وطبيعيا. (٥٨،٤٣)

والتصحر : هو امتداد مكانى للظروف الصحراوية فى اتجاه المناطق الرطبة فهو عملية دفع وزحزحة للاستخدامات الزراعية والرعوية والغابية وتقهقرها خلف خطوطها الأصلية أو الآمنة. (٢٨١،٤٤).

ويعنى عملية دميامكية ذاتية الانتشار تزداد خطورته أو تقل تتسع مناطق أو تنكمش حسب درجة الإجهاد أو الخلل الذى يصيب التوازن البيئي. (٤٥، ٢٩٥).

وهو انهيار أو تراجع الطاقة الإنتاجية للأراضى خاصة الجافة، فالتصحر هو تكثيف أو تعميق للظروف الصحراوية من خلال انخفاض أو تدهور حمولة الطاقة البيولوجية للبيئة مما يقلل من قدرتها على إعالة استخدامات الأرض الريفية بمعنى أن التصحر هو تدهور وفقا للنظام البيئي.

ويعرف برنامج الأمم المتحدة للبيئة التصحر بأنه انتشار وزيادة الظروف الصحراوية التى ينتج عنها انخفاض إنتاجية المادة الحية، فينخفض إنتاج الحاصلات.

وقد عرف المؤتمر الدولى للتصحر التصحر بأنه انخفاض وتدهور الطاقة الحيوية للأرض والذى قد يؤدى إلى ظروف مشابهة للصحراء.

ويعرف التصحر على أنه العملية التى يتحول فيها الأراضى الصالحة للزراعة أو الرعى إلى أراضى فاصلة أو شبه فاصلة بفعل الإنسان أو بعض العوامل البيئية الأخرى (١٨،٤٦).

ثانيا: التصحر فى مصر:

التصحر يمثل مشكلة عالمية بصفة عامة إذا يتبين من مجموع المساحات المتصحرة فى العالم والتى تبلغ حوالى ٤٥,٧ مليون كيلو مترا مربعا ظهر.

وفى مصر ظهر التصحر نتيجة للزحف العمراني وأشارت كثير من المنظمات الدولية والدراسات المشتركة مع منظمة اليونسكو أن ما يتراوح بين ٢٥-٣٠٠كم٢ من أراضى مصر الخصبة تضيع سنويا للزحف العمراني فقط وهو ما يعادل ما استصلح من الأراضى تقريبا كما قدرت الدراسة المساحة المعرضة للتصحر بنحو ٣,٢% من مساحة مصر الكلية ــ وأن مناطق الكثبان الرملية تشكل نحو ١٦% من مساحة مصر وتهدد بزحفها إلى مساحات جديدة من الأراضى وأن نحو ٩٣% من الأراضى الزراعية المستصلحة قديما تتأثر بالتفدق وأن نحو ٣% فيها تتأثر بالتفدق. وهى من الآثار السالبة للممارسات الإنسانية الخاطئة فى عملية التنمية الزراعية حيث سوء استخدام الموارد المائية بما يتناسب وطبيعة الأراضى إلى جانب الرعى الجائر للمراعى الطبيعية فى مصر والمسبب للتصحر ومن نتائج التصحر فى مصر انخفاض بعض الأوساط العلمية لتدهور خصوبة التربة وزحف الرمال والكثبان الرملية والذى يقدر بحوالى ١١-١٥ متر سنويا على الأراضى الزراعية والطرق ، إلى جانب غمر الرمال والكثبان الرملية لمناطق الاستصلاح الزراعى ومنشآت الرى وزحفها على خطوط السكك الحديدية . هذا بالإضافة إلى الأضرار النفسية والصحية للسكان نتيجة لزحف الرمال

عليها ، وقد تأثرت الخطة التنموية نتيجة للإنفاق الطارئ للمحافظة على استقرار المواطنين وإنقاذ حياتهم . (٤٧، ٢٢٣).

أسباب التصحر:

لما كان التصحر مشكلة بيئية اقتصادية اجتماعية معقدة ومتداخلة فإنه يمكن القول أن هناك جملة عوامل طبيعية وأخرى بشرية تتداخل وتتشابك فى صنع هذه الظاهرة داخل المناطق الجافة وشبه الجافة.

وقد أثبتت الدراسات العديدة التى حاولت أن تستقصي أسباب التصحر وجود نوعا من العلاقة بين الظروف المناخية المتذبذبة وغير المنتظمة والتى يصعب التحكم فيها وبين النمو السكانى السريع والذى يعجل باستنزافها وإشاعة التصحر.

وفيما يلي الأسباب التى تؤدى إلى التصحر (ويمكن تقسيمها إلى:)

أولا: عوامل طبيعية. ثانيا: عوامل بشرية.

أولا: العوامل الطبيعية:

١-التغيرات المناخية القاسية ومنها قلة كمية الأمطار الساقطة بصفة عامة وطبيعة هذه الأمطار المتذبذبة من سنة لأخرى وهذا التذبذب يؤدى إلى عدم استقرار النظم البيئية مما يساند عملية التصحر. وكذلك تعرض المناطق الجافة إلى عدم وجود أمطار لفترات طويلة يؤدى إلى تدمير الطاقة البيولوجية وإشاعة الظروف الصحراوية خاصة عندما تتسم بكثافة سكانية عالية واستخدام كثيف ومفرط للأرض. (٤٨،٢٢٥)

٢-الرياح العاصفة المدمرة والفيضانات المائية المغرقة التى تؤدى إما إلى جرف الطبقة السطحية من التربة أو ردمها بالرمال المتحركة.

٣-الاستخدام غير المناسب لإمكانيات الطبيعة للأراضى المجاورة للأراضى الصحراوية يؤدى إلى انتشار الظروف الصحراوية.

٤-تدهور التربة وما عليها من نبات وما فيها من مياه هى الأسباب الرئيسية للظاهرة والتي تأتى من الاستخدام السئ لها بواسطة الإنسان (٥٩،٤٩).

ثانيا: العوامل البشرية:

١) اختلال التوازن بين ما تعطيه من موارد بطبيعتها وبين ما يطلبه الإنسان منها. وهذا الاختلال يزداد إذا زادت كثافة الاستغلال بزيادة السكان أو لسوء توزيع هؤلاء السكان (٣٠٢،٥٠).

٢) الأيدى الإنسانية العابثة والتى تصدر من فكر قاصر يزين للناس التدخل فى الأنظمة البيئية المحكمة والمتوازنة بصورة جامحة مما أدى إلى إرباكها وتدهورها ولذلك يعتبر الإنسان هو صانع التصحر ويطلق على المناطق المتصحرة عادة صحراء الإنسان.

٣) الضغط السكانى المتزايد يمثل نقطة خطرة على الطريق نحو التصحر إذا سيؤدى هذا الضغط السكانى إلى محاولة تكثيف استخدامات الأرض الريفية من ناحية ويدفع بالكثير من السكان بالهجرة وبالضرورة إلى التحرك نحو مناطق هامشية يتزايد منها معدلات التذبذب على الأرض ويزيد من حدة المشكلة أن سلوك الذين يحتاجون إلى الغذاء لا يكون سلوك بعيد المدى بل سيصبح همهم الأول والأخير هو الحصول على الغذاء أولا وبهذا يساء استخدام البيئة عن جهل وعوز حتى تصل فى تدهورها درجة تصبح فيه معادية لوجود الإنسان ذاته. (٤٦،٥١).

٤) التصحر محصلة للنشاط البشرى وظروف بيئية شديدة القسوة حيث أن النظام البيئي نظام حساس والأرض فقيرة فى المادة العضوية والعناصر

المغذية والإنسان يستخدم هذه الأراضى دون مراعاة قدرتها المحـــــدودة يؤدى إلى تصحرها. (١٩،٥٢).

٥) الإفراط فى قطع الأشجار وكذلك الإفراط الرعوى بمعنــــى أن يحمــل المرعى عددا من الحيوانات أو أنواعا معينة مـــن الحيوانـــات لا تتفــق وطاقة المرعى الغذائية ومن ثم يحدث تدمير سريع للغطاء النباتى فـــى هذه المناطق.

رابعا: أخطار التصحر:

التصحر ليس وقفا على المناطق القريبة للصحراء بــل قــد تكــون الأراضى البعيدة عن الصحراء مهددة بالتصحر أكثر من تلك القريبة منـــها. والتصحر له أخطار يمكن أن نذكر بعضها مما يلي:

١-تحول الأرض المنتجة إلى أرض قاحلة يهجرها سكانها وتنفق حيواناتــها ويزوى نباتها وتهدد هذه الكارثة نحو ٦٢٨ مليون نسمة هم سكان أرض المناطق الجافة. (٤٠،٥٣)

٢-تدهور الغطاء النباتى وكذلك التربة بالإضافة إلى سرعة انحراف التربــة وتكون الكثبان الرملية واختفاء الأشجار.

٣-يسبب التصحر خسائر اقتصادية بنحو ٢٦ ألف مليون دولار سنويا.

٤-بسبب التصحر تهدد ٢١ مليون من الأراضى الزراعية بحيــث تصبــح زراعتها غير مجدية اقتصاديا. (٥٩،٥٤).

٥-يؤدى تدهور البيئة بتأثير التصحر إلى توالـــى سلســلة مــن المتــاعب الاقتصادية والاجتماعية فى مناطق التى تعانى من هذه الظاهرة.

٦-زيادة كمية التراب فى الهواء وهذا يعنى أن التصحر يؤدى إلى تدهـــور فى النظام البيئي وتعريض التربة لعملية جرف وتذريه شديدة.

٧-تملح التربات الزراعية وتفدقها زيادة قلويتها مما يقلل مـــن الخصوبــة الإنتاجية للتربة ويعد هذا من أهم أضرارا التصحر أنه يـــهدد مســتقبل الإنتاج. (٥٥،٢٢١)

أخطار التصحر وأثرها على السكان:

لا يقتصر البعد البشرى على مجرد معدلات النمو السريعة للســكان وإنما تمتد بالنسبة لأسلوب استخدام الأرض من جانب الإنسان. فبصفة عامــة تتلخص أخطار التصحر فى قلة الأراضى الزراعية وبالتالى قلة إنتاجها فــى الوقت الذى تتزايد فيه السكان بشكل كبير ويعنى زيادة السكان هذه التزايد فى الاستهلاك وزيادة الطلب على الغذاء ولكن التصحر الذى يعد الإنسان أحـــد أسبابه يساهم فى عجز الموارد عن توفير مقومات الحياة.

الجهود المبذولة لمواجهة التصحر:-

مشكلة التصحر لها أبعادها الطبيعية والجغرافية فهى مرتبطة بالموقع والمناخ. وشكل سطح التربة وتوفر موارد المياه وكذلك لها أبعادها العلميــة والتكنولوجية والتمويلية. ولأهمية مشكلة التصحر بذلـــت جــهود وأقــامت مؤتمرات ومن هذه المؤتمرات مؤتمر نيروبي للتصحر عام ١٩٧٧، وأعــد هذا المؤتمر خطة عمل مكافحة ظاهرة التصحر وتضمنت ســتة وعشــرون توصية وعلى برنامج الأمم المتحدة لشئون البيئة مسئولية تنفيذها.

وقد شكلت ثلاث أجهزة للعناية بتنفيذ هذه التوصيات وهي:-

١-إدارة التصحر داخل برنامج هيئة الأمم المتحدة لشئون البيئة.

٢-فريق عمل يضم ممثلين لكافة أجهزة الأمم المتحـــدة المعنيـــة للتنســيق والتعاون بينها.

٣-مجموعة استشارية للحد من التصحر لتدبير الأموال اللازمة لتنفيذ هــذه التوصيات ويقدر أن ما أنفق على مشاريع تتعلق بظاهرة التصحر قد بلغ عشرة بلايين دولار خلال خمس سنوات (١٩٧٨-١٩٨٢) (٢٩٩،٥٦).

وكان من المتوقع أن تحقق هذه التوصيات أهدافها عام (٢٠٠٠) لكن التقارير المتوالية لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة كانت تشير دائما إلى أن النجاح محدود جدا فى تنفيذ عناصر خطة العمل وإلى أن سرعة التصحـــر تـزداد وأعداد السكان المتأثر بها تتضاعف فى كل مكان تقريبا.

ودعا برنامج الأمم المتحدة للبيئة إلى محاولة إعادة النظر فى خطــة العمل ففى عام ١٩٩٠ تم الاستعانة بمجموعة من أبرز خبراء العالم فى هـذا المجال لإجراء (تقييم خارجى) لخطة العمل.

وقد كانت نتائج هذا التقييم أن هناك أوجه قصور فى خطــة العمــل فمعظم أهدافها ومبادئها وأولوياتها وتوصياتها مازالت صالحة وانتهى التقييـم فى أن النجاح فى تطبيق خطة العمل لمكافحة أسباب التصحر هو التنســيق بين الحكومات والهيئات المانحة والمجتمع الدولى والاستعمال الأكثر كفــاءة للموارد المتاحة والموارد الجديدة ويضاف إلى ذلــك الإرادة السياســية لأن الإرادة السياسية هى العامل الفعال والذى يمكن أن تغير العوامــل البشــرية لتحقيق التنمية المتواصلة باعتبار أن أهم مقومات التصحـــر هــو المــوارد البشرية. (٥٧، ٦١: ٦٢).

ولمواجهة آثار التصحر فى مصر تــم دراســة إقامــة مشــروعات الأحزمة الخضراء حول القاهرة الكبرى لوقف زحــف الصحــراء وســعى

الرمال على العاصمة والتكدس العمرانى وعادم أكثر من ٨٠٠ ألف سيارة إلى جانب إنشاء غابات من الأشجار لاستغلال مياه الصرف المعالجة فى الصحراء.

رابعا: دور الخدمة الاجتماعية مع المشكلات السكانية والبيئية:

يرجع السبب فى زيادة الاهتمام بالبيئة فى الآونة الأخيرة إلى ظهور أثار سلبية كثيرة وخطيرة لعب الإنسان فيها دور كبير ويتمثل هذا الدور فى وجود ظاهرتين أساسيتين على درجة كبيرة من الأهمية هما ظاهرة التكدس والتزاحم.

فالتكدس: هو وجود أكثر من أسرة واحدة فى وحدة سكنية واحدة ويعكس الشكل العام للوحدة السكنية إلى حد كبير الخصائص الاجتماعية لسكانها.

أما التزاحم : يعنى تزاحم الأفراد فى غرف المسكن الواحد وأيضا لهذا التزاحم آثار اجتماعية وصحية وخاصة على النساء والأطفال والسبب فى ظهور كل من التكدس والتزاحم هى الزيادة السكانية التى تزايدت معها كثير من المشكلات منها الأمية والضغط على الموارد البيئية حتى تكفى احتياجات الأعداد الكبيرة من الأفراد.

أصبح ذلك يهدد البيئة ويخل بنظامها الطبيعي فيما يجعلنا أمام مشكلة أخرى وهى التصحر. وهذه المشكلات من شانها أن تجعل الإنسان أمام أضرار وضغوط بيئية مما يجعله يشعر بالمخاطر البيئية وعدم الأمن البيئي.

ومن هنا تأتى دور مهنة الخدمة الاجتماعية باعتبارها مهنة تطبيقية ، لديها قاعدة علمية من علوم مختلفة تستفيد منها فى التطبيق ، ولديها قدر من المعرفة والمهارات التى لا تكتسب إلا بالمران والتدريب، وفى ضوء

مجموعة من المعايير الأخلاقية يمكنها من تحقيق الهدف الاجتماعي للمهنة، وكلما كان هذا الهدف له أهمية أكبر لدى المجتمع كلما ارتفعت مكانة تلك المهنة.

أصبحت الخدمة الاجتماعية الآن تتجه إلى تحقيق أهداف تنموية تتمثل فى المساهمة فى رفع مستوى نصيب الفرد من الدخل القومي مقوما بالسلع والخدمات ، وذلك من خلال تحقيق الأهداف التالية (١١٦،٥٩) :-

١-المساهمة فى خلق رأى عام مستعدا لتحمل مسئوليات التنمية الشاملة.

٢-تحديد المعوقات الاجتماعية، مثل المبادأة لدى المواطنين ، تعارض بعض القيم التقليدية مع مقتضيات التحديث، انتشار الأمية التى تؤثر عكسيا على الكفاية الإنتاجية.

٣-الاشتراك فى اتخاذ القرارات المتعلقة بالسياسة الاجتماعية ووضع خطط التنمية الاجتماعية.

٤-المساهمة فى تقليل الفاقد الاجتماعى والاقتصادي قدر الإمكان حفاظا على الموارد ومنعا من تبديدها.

وفى الوقت الذى يعد التعليم من أهم مؤشرات التنمية والتقدم والرقى تسعى الخدمة الاجتماعية إلى تحقيق أهداف تنموية، وذلك بالتركيز على العنصر البشري عن طريق مساعدته على التغلب على المشكلات التى تعوقه ومن بين هذه المشكلات هى مشكلة الأمية.

وتتكون ممارسة الخدمة الاجتماعية من التطبيق المهنى للقيم الاجتماعية ومبادئها، وتكتيكاتها الفنية، للوصول لأحد أو لجميع الأهداف

التالية : مساعدة الناس للحصول على الخدمات. الاستشارات والعلاج النفسي للأفراد والأسرة والمجتمعات. لتزويدهم بالخدمات الصحية والاجتماعية بمشاركة العمليات التشريعية المرتبطة كما تسعى الخدمة الاجتماعية إما إلى تحقيق أهداف علاجية تعتمد على عملية حل المشكلة، لتقوية أو استعادة قدرات الأفراد والأسر والجماعات على الأداء الاجتماعي، أو تسعى لتحقيق أهداف وقائية تعتمد على التعرف على المناطق الكامنة والممثلة لمعوقات الأداء الاجتماعي للأفراد أو الأسر والجماعات ومنع ظهورها مستقبلا أو التقليل منها إلى أدنى حد ممكن (٦٠،١٧٦) كما يتعامل مع حياة الإنسان محاولة في نفس الوقت استخدام موارد المجتمع لإشباع احتياجات المجتمع.

ولما كانت الخدمة الاجتماعية ترتبط ارتباطا وثيقا بمواقع المجتمع وظروفه المختلفة ومشكلاته واحتياجات أفراده فإنها تتعامل مع المشكلات الكبرى التي يعاني منها أفراد المجتمع كالمشكلة السكانية والمشكلات البيئية المرتبطة بالمشكلة السكانية كالأمية والمناطق العشوائية والتصحر وغير ذلك من المشكلات الأخرى.

فالخدمة الاجتماعية تتعامل مع الأفراد والبيئة باعتبار أن الأفراد في حالة تفاعل مستمر مع البيئة الذين يعيشون فيها ويؤثرون فيها ويتأثرون بها وذلك باستخدام قدرتها ومهاراتها ومعارفها والقيم التي تمكنها من العمل على تحقيق توازن وتكيف بين الأفراد والبيئة التي يعيشون فيها إيمانا منها أن معظم المشكلات البيئية التي يعاني فيها الأفراد إنما يعود في معظمها إلى تصرفاتهم وإلى إساءة استخدام الموارد الطبيعية رغم مسئولياتهم الأخلاقية التي تلزمهم أن يتعاملوا مع ما يحيط بهم في البيئة من موارد دون أن يؤثروا على قدرة هذه الموارد على أن تستمر في عطائها لكي توفر الاحتياجات لهم ولأبنائهم من بعد.

ولكى تتعامل الخدمة الاجتماعية مع المشكلات البيئية التى يتسبب فيها الإنسان لابد وأن تعامل مع الإنسان أولا محاولة التعامل مع مشكلاته ومن بين هذه المشكلات .. الأمية حتى يستطيع أن تبنى قاعدة مستقرة للتنمية المستدامة لابد من الاستثمار الأمثل للموارد البشرية، ولكى يتحقق ذلك لابد من التركيز على محو الأمية ورفع مستوى التعليم والتدريب.

دور الخدمة الاجتماعية فى مجال محو الأمية فيما يلي:-

- استثمار الإمكانيات المجتمعية المتاحة، وخاصة دور القادة ومراكز الشباب والمدارس (صيفا) وجمعيات تنمية المجتمع ، ومراكز خدمة المجتمع بالجامعات وكليات ومعاهد الخدمة الاجتماعية فى تنفيذ برامج محو الأمية وتعليم الكبار.

- مساعدة الدراسيين أو الأميين على مواجهة الصعوبات أو المشكلات التى تعترضهم.

- تغيير اتجاهات الأفراد الأميين المتعلقة بالوعى الاجتماعى عن الأمية.

- زيادة معارف ومعلومات الفرد الأمى عن المجتمع بشكل عام.

- إقناع الآباء والأزواج بقيمة انتظام الفتيات أو الزوجات ببرامج محو الأمية.

- التحقق من تجانس الدراسيين فى فصول محو الأمية.

- استخدام الصور الإيضاحية والوسائل المختلفة التى تتفق مع صور الحياة اليومية مع الدراسيين، وتؤثر فى سرعة إستيعاب تعلمهم، ومن ثم محو أميتهم والارتقاء بالوعى الاجتماعى لديهم.

- متابعة بعض الحالات لتجنب عدم انتكاسها مرة أخرى وعودتـــها إلـــى الأمية.

- العمل على ربط نشاط محو الأمية ببعض الأنشطة الثقافية والاجتماعيـــة والاقتصادية ، وكذلك الأنشطة المتعلقة بتنمية المجتمع المحلى ، مثل برامـــج الصحة وتعليم ورفاهية الأسرة وزيادة الإنتاج وتوفير الدخل وحماية البيئـــة. (٦١).

- وجود نظام لمتابعة المتسربين من فصول محو الأميـــة ، عـــن طريـــق دراسة ظروفهم الاجتماعية التى حالت دون استمرارهم فى الدراسة.

- استثارة وحث خريجي الجامعات بالاشتراك فى الخطة القوميـــة لمحـــو الأمية سواء كانوا فى القرية أو المدينة أو محاولة تجميع هـــؤلاء الشـــباب وإعدادهم ليكونوا قيادات علمية مؤهلة لهذا (٦٢، ٢٠).

دور الخدمة الاجتماعية مع المجتمعات العشوائية:-

- العمل على تقوية العلاقات الاجتماعية وتنمية الوعى الاجتمـــاعى لـــدى سكان هذه المجتمعات وتنمية شعورهم بالمســـئولية الاجتماعيـــة والانتمـــاء والولاء لمجتمعهم.

- خلق الاتجاهات التى تسمح بالتعاون مع الآخرين وتنمية القيم العامة فـــى المجتمع ككل وذلك عن طريق تعبئة الطاقات الكامنة للمشاركة فى برامـــج المساعدة الذاتية من أجل مواجهـــة مشـــكلاتها بأســـلوب جمـــاعى منظـــم ومخطط(٦٣، ١١٣).

- العمل علي تحديد احتياجات سكان المناطق العشوائية والعمل على التحكم فيها وإشباع هذه الاحتياجات.

- توعية أفراد هذه المجتمعات بأهمية النظافة وأضرار عدم النظافة على صحة الأطفال أولا ثم الأفراد.

- حث الأفراد العشوائيين على ضرورة المشاركة للقيام ببعض الأعمال كمحاولة لمواجهة بعض مشكلاتهم مثل تشجير الشوارع ، فصول لمحو الأمية، نظافة الشوارع.

- حث أفراد المنطقة العشوائية على العمل على زيادة الدخل من خلال إشراكهم فى مشروعات الأسر المنتجة وخاصة النساء منهم وكذلك المشروعات الصغيرة بالنسبة للشباب.

- تشجيع الهيئات غير الحكومية الموجودة داخل المجتمعات العشوائية على تحسين الظروف البيئية لهذه المجتمعات.

- إقناع سكان هذه المناطق بأهمية تنظيم الأسرة وبخطورة الأسرة كبيرة الحجم خاصة وأن هؤلاء الأفراد من ذوى الدخول المحدودة.

ثالثا: دور الخدمة الاجتماعية لمواجهة التصحر:

سبق القول أن التصحر من المشكلات شديدة التعقيد التى تواجه الإنسان حيث أنها تهدد الشعوب فى مواردهم الغذائية . وكما سبق أيضا أن **أهم الأسباب فى هذه المشكلة هو الإنسان لذلك يتمثل دور الخدمة الاجتماعية فى:-**

١-العمل على تغيير العادات والاتجاهات السلبية خاصة التى يستخدمها فى تعامله مع البيئة.

٢-تنمية الوعى البيئي لدى الأفراد وخاصة أضرار تلوث البيئة.

٣-حث الأفراد على الالتزام بالسلوكيات الإيجابية التى من شأنها المحافظة على البيئة ومواردها حتى تستطيع أن تكفى احتياجات الأفراد.

٤-العمل على تغيير سلوكيات الأفراد المرتبط بالاستهلاك وحثهم على أن يكونوا منتجين أكثر من مستهلكين حتى يستطيع المجتمع أن يحقق الأهداف التنموية التى يسعى إليها.

٥-تنمية وعى الأفراد بكيفية المحافظة على الأرض حتى نحافظ على إنتاجها عن طريق :

- التوعية بعدم تجريف الأراضى الزراعية.
- البعد عن استخدام المياه المالحة فى الرى عن طريق البعد عن حفر الآبار.
- عدم الإفراط فى استخدام مياه الرى لأن ذلك من شأنه فقد الأرض جودتها.
- التوصل إلى طرق ملائمة لاستخدام الأراضى بحيث تكون مناسبة للظروف السائدة والذى ينبغى أن يضمن عدم المساس بنظام ومعالجة الموارد الطبيعية.
- تحديد طاقة المراعى من حيوان الرعى والنظافة .
- تجنب الزراعة وراء الحدود المناخية والغير ملائمة (٣٠٧،٦٤)
- محاولة الجمع بين الزراعة وتربية الحيوانات . فقد يؤدى ذلك إلى ارتفاع عائد المحاصيل.

- تحسين طرق الزراعة باستخدام البذور الجيدة والآلات الزراعية المناسبة لظروف التربة.

- الاهتمام باستزراع الأشجار بالقرب من مناطق الاستقرار ومن حول الآبار والحظائر وطرق الماشية وهى أكثر المناطق تعرض للتلف والتدمير والتصحر.

- سن القوانين التى تمنع قطع الأشجار بدون موافقة مسبقة من الأجهزة المسئولة . (٢٤٧،٦٥).

وأخيرا لما كانت مشكلة التصحر هى مشكلة يتعرض لها الغالبية العظمى من المجتمعات فيجب أن تتعاون المجتمعات فى :-

- المساهمة فى تمويل مشروعات مكافحة التصحر العاجلة وخاصة فى الدول التى تعانى عجزا ماليا يمنعها من تنفيذ مثل هذه المشروعات.

- تقديم المعونات والمساعدات العاجلة فى حالة حدوث أزمات جفاف لتجنب تدهور البيئة.

- المساهمة فى إنشاء مراكز تدريب لخلق كوادر قادرة على تنفيذ مشروعات مكافحة التصحر.

المراجـــع

١-المجالس القومية المتخصصة: الحملة القومية لمحو الأمية وتعليم الكبـــار (القاهرة ــ المركز العربى للبحث والنشر ، ١٩٩٠).

٢-هاشم أبو زيد الصافى: الأمية فى الوطن العربى (عمان ــ منتدى الفكر العربى ، الطبعة الأولي ، ١٩٨٩).

٣-عبد الباسط عبد المعطى وآخرون: السكان والمجتمع (القـــاهرة ــ دار المعرفة الجامعية ١٩٩٦).

٤-نادر فرجان : التنمية والموارد البشرية ، (معـــــهد الإنمـــاء العربـــي، بيروت، ١٩٨١).

٥-الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء ، إحصاءات عـــن الأميـــة ، ١٩٩٤.

٦-الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء تعدادات خاصة بالأمية خـــلال الفترة ١٩٣٧-١٩٨٧.

٧-بثينة شعلان : دراسة تحليلية عن محو الأمية وتعليم الكبار ، محافظـــــة الجيزة، مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار، ١٩٩١.

٨-الهيئة العامة لمحو الأمية وتعليم الكبار (القانون رقم ٨ لسنة ١٩٩١).

٩-الهيئة العامة لمحو الأمية وتعليم الكبار، إحصاءات عن الأمية الخاصـــة بالحملة القومية لمحو الأمية وتعليم الكبار، ١٩٩٦.

١٠- محمود الكردى : التخلف ومشكلات المجتمع المصرى، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الأولي ، ١٩٧٩.

١١- الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء: الأمية فى مصر، نظرة مستقبلية.

١٢- محمود الكردى: التخلف ومشكلات المجتمع المصرى، مرجع سبق ذكره.

١٣- محمود الكردى: التخلف ومشكلات المجتمع المصري، مرجع سبق ذكره.

١٤- نجاتى النجارى : مشاريع محو الأمية فى جمهورية مصر العربية ، القاهرة، اليونسكو الإقليمي للتربية فى الدول العربية ، ١٩٩٠م.

١٥- محمد سيد حسانين : نظرات من مشكلات المجتمع من زاوية التربية، القاهرة، مؤسسة سعيد للطباعة ، ١٩٨٦.

١٦- عبد الباسط عبد المعطى وآخرون: السكان والمجتمع ، مرجع سبق ذكره.

١٧- نجاتى النجارى : مشاريع محو الأمية فى جمهورية مصر العربية ، المرجع السابق.

١٨- الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء: التعداد العام للسكان والإسكان والمنشآت ،١٩٩٦.

١٩- فؤاد بسيونى متولى: التربية ومشكلة الأمية، رؤية عصرية لبعض مشكلات المجتمع وعلاقتها بالتربية، دار المعرفة الجامعية، جامعة الإسكندرية، ١٩٩٠.

٢٠- محمد عبد المجيد إبراهيم : قضية الأمية ، المجالس القومية المتخصصة، ١٩٧٩.

٢١- إقبال الأمير السمالوطي: علاقة الأمية بمشكلات المجتمع فى ضوء الدراسات السابقة، الهيئة العامة لمحو الأمية وتعليم الكبار ، الندوة العلمية الأولى للأمية بالمشكلة السكانية، ١٩٩٤.

٢٢- إقبال الأمير السمالوطي: المرجع السابق.

٢٣- محمد عبد المجيد إبراهيم ، مرجع سبق ذكره.

٢٤- يحيى هندام وآخرون : تعليم الكبار ومحو الأمية وأسسه النفسية والتربوية، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٨.

٢٥- يحيى هندام وآخرون : المرجع السابق.

٢٦- ناهد رمزى : عدالة التعليم للفتيات قضاء على الفقر ومكافحة الأمية، بكين ، المنتدى العالمى للمرأة ، ١٩٩٥.

٢٧- صالح عبد المعطى : سياسات وبرامج محو أمية المرأة فى جمهورية مصر العربية ، ورقة مقدمة إلى مؤتمر محو أمية المرأة والتنمية وتحديات القرن الواحد والعشرين ، المؤتمر الخامس للمجلس العالمى لتعليم الكبار ، القاهرة، ١٩٩٤.

٢٨- الهيئة العامة لمحو الأمية وتعليم الكبار : قانون رقم ٨ لسنة ١٩٩١.

٢٩- الهيئة العامة لمحو الأمية وتعليم الكبار: الحملة القومية لمحو الأمية ، القاهرة، ١٩٩١.

٣٠- موسى الضرير : ملامح الواقع السكانى فى الوطن العربي ، دمشق، مركز الدراسات السكانية، ١٩٩٩.

٣١- بثينة محمود الديب: الوضع الراهن للسكان فى مصر، القاهرة ، المجلس القومى للسكان، ١٩٩٦.

٣٢- نادية خضر صالح: السياسة للجماعة والأمن البيئي، القاهرة ، أكاديمية البحث العلمي، ١٩٩٦.

٣٣- سيد على خطاب : المناطق المتخلفة عمرانيا وتطويرها ، القاهرة، دار الكتب للنشر والتوزيع، ١٩٧٧.

٣٤- تومادر مصطفى أحمد صادق: دور الخدمة الاجتماعية فى تنمية جيرة حضرية مستخدمة، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، ١٩٨٤.

٣٥- أحمد يوسف بشير : برنامج مهنى لتنمية مجتمع حضرى عشوائي من وجهة نظر الخدمة الاجتماعية المحلية ، الخدمة الاجتماعية ،المؤتمر الخامس للخدمة الاجتماعية (٩،١١ ديسمبر ، ١٩٩١.)

٣٦- عايدة البطران : الإسكان العشوائي فى مصر، الحلول والبدائل المقترحة لحل مشكلة أمن العشوائيات، المركز الديجرامى بالقاهرة، ١٩٩٥.

٣٧- سعيد على خطاب : مرجع سبق ذكره.

٣٨- عايدة البطران : مرجع سبق ذكره.

٣٩- ممدوح الولى : سكان العشش والعشوائيات ، القاهرة، مركز خدمات التنمية، ١٩٩٣.

٤٠- سعيد على خطاب : مرجع سبق ذكره.

٤١- ممدوح الولى: مرجع سبق ذكره.

٤٢- المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية: المسح الاجتماعي الشامل للمجتمع المصرى ، القاهرة ، المجلد السابع ، ١٩٩٥.

٤٣- عبد الحليم عبد اللطيف الصعيدي: البيئة فى الفكر الإنسانى والواقع الإنمائى، الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٣.

٤٤- زين الدين عبد المقصود : البيئة والإنسان ، علاقات ومشكلات ، الإسكندرية، دار المعارف ، ١٩٨١.

٤٥- عبد الرحمن الشرنوبي: مشكلات البيئة المعاصرة، القاهرة، مكتبة المصرية، ١٩٨٤.

٤٦- محمد الخشن: التصحر وتأثيره على الأمن القومى ، القاهرة ، عالم الفكر المحلية، ١٧-١٩٨٦.

٤٧- المجلة المصرية للتنمية والتخطيط : البيئة والتنمية من منظور مصري، معهد التخطيط القومى ، ديسمبر ١٩٩٤.

٤٨- زين الدين عبد المقصود: مرجع سبق ذكره.

٤٩- عبد الحليم عبد اللطيف الصعيدي : مرجع سبق ذكره.

٥٠- محمد عبد الرحمن الشرنوبى : مرجع سبق ذكره.

٥١- نادية حليم : الإنسان والبيئة ، القاهرة، دار الثقافة ، ١٩٩٤.

٥٢- عبد المنعم بلبع وماهر جورجي نسيم: تصحـــر الأراضـــى مشـــكلة عربية وعالمية ، الإسكندرية، منشأة المعارف ، ١٩٩٩.

٥٣- عبد المنعم بلبع وماهر جورجى نسيم: المرجع السابق.

٥٤- عبد الحليم عبد اللطيف الصعيدي: مرجع سبق ذكره.

٥٥- زين العابدين عبد المقصود: مرجع سبق ذكره.

٥٦- محمد عبد الرحمن الشرنوبي: مرجع سبق ذكره.

٥٧- محمد عاطف كشك: التنمية المتواصلة ومعوقات مكافحة-التصحـــر، القاهرة، دار الأحمدى للنشر، ١٩٨٨.

٥٨- المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، المســح الاجتمــاعى الشامل للمجتمع المصرى ، مرجع سبق ذكره.

٥٩- عبد الحليم رضا عبد العال : الخدمة الاجتماعية المعاصرة ، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨٨.

٦٠- أحمد محمد السنهورى : مداخـــل ونظريـــات ونمـــاذج الممارســـة المعاصرة للخدمة الاجتماعية، القاهرة، الطبعة الأولـــي ، دار النهضـــة العربية، ١٩٩٦.

٦١- المرجع السابق.

٦٢- عبد الخالق محمد عفيفي : مشكلة الأمية فى مصر رؤيـــة تحليليـــة ودور مقترح للخدمة الاجتماعية ، الهيئة العامة لمحو الأميـــة وتعليـــم الكبار ، القاهرة، ١٩٩٤.

٦٣- عبد الحليم رضا عبد العال: الخدمة الاجتماعية المعاصرة، القـــاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٩٠.

٦٤- عبد الرحمن الشرنوبي: مرجع سبَق ذكره.

٦٥- زين الدين عبد المقصود: مرجع سبق ذكره.

الفصل السابع

قضايا في السكان

إعداد

دكتور /عاطف مصطفى مكاوى دكتورة / نادية عبد الجواد الجروانى

محتويات الفصل:

- مقدمـــــة .
- أولا : الخصوبة .
- ثانيا : المواليـــد .
- ثالثا : الوفيـــات .
- رابعا : الكثافة السكانية .
- خامسا : الهجـــرة .

مقدمة

تسعى غالبية المجتمعات إلى مسيرة ركب الحضارة والتقدم ، ووسيلتها فى ذلك هو تحقيق التنمية .

ولذلك تعد التنمية هدفا أساسيا تسعى إلى تحقيقه غالبية المجتمعات المتقدمة والنامية على حد سواء ، على اعتبارها وسيلة أساسية يمكن عن طريقها تحقيق معدلات مرتفعة من الرقى والتقدم والرفاهية ، وكذلك فى محاولة منها للخروج من دائرة التخلف واللحاق بركب التقدم والذى يسير بمعدلات سريعة ومتلاحقة .

فالتنمية تعنى تعبئة جهود الأفراد والجماعات والتنظيمات ، للتأثير على الظروف المجتمعية ، وليتمكنوا من السيطرة على المشكلات والقضايا الاجتماعية والاقتصادية التى ترتبط بحياتهم .

ولهذا تصبح الوظيفة الأساسية للمجتمعات أن تركز على عملية التنمية كخطوة أساسية لتحسين مستوى المنظمات الموجودة فى المجتمع .

ومن ثم فيصبح اختيار السياسات والبرامج الاجتماعية فى المجتمعات المختلفة تعتمد على معيار أساسى هو كيف يمكن لهذه البرامج والسياسات أن تحدث التغيير والتنمية الاجتماعية والاقتصادية فى المجتمع .

ويشكل العنصر البشرى أهمية خاصة فى مجال التنمية ، فهو يعنى فى المقام الأول : الإنسان الذى يتوافر لديه الوعى بأهداف التنمية والتخطيط المدرب على أساليب التنفيذ والمتابعة لمشروعات التنمية ، القادر على العطاء من أجل رفع عملية التنمية ومن أجل تغيير كافة الأوضاع التقليدية التى تسود المجتمع ، ومن هذا المنطق لم تبخل المجتمعات المتقدمة بأية تكلفة من أجل إعداد هذا الإنسان من حيث التعليم والتدريب سواء فى مجال رعايته اجتماعيا أو تعليميا أو صحيا ، لأنها تعلم علم اليقين أن هذا الاستثمار

البشرى له عائد وناتج اقتصادى على المدى البعيد ، بل أنه ضرورة تنموية إذا ما قيس بالنتائج التى يمكن أن تترتب على استثمار قدرات إنسان أمـى ، أو غير مدرب ، أو ليست لديه الكفاءة المطلوبة لكافة مشروعات التنمية مـن أجل تحقيق أهدافها ومقاصدها القريبة والبعيدة وزيادة العنصر البشرى فـى المجتمع من العوامل التى تؤدى إلى تقدمه وازدياد نفوذه السياسي فى المحيط الدولى وتفوق قوته الإنتاجية وزيادة قدرته الحربية ولا سيما إذا كانت هـذه الكثرة مصحوبة بشكل متعادل فى موارد المعيشة فحالة السـكان وكثافتـهم تؤثر فى الموارد الطبيعية وفى المظهر الحضارى للمجتمع .

أما إذا كان زيادة الموارد البشرية أى عدد السكان وارتفاع معـدلات نموهم لم يقابلها زيادة فى استخدام واستغلال الموارد الطبيعية وغير الطبيعية فيعتبر من الأمور ذات التأثير الكبير علـى عمليـات التنميـة الاقتصاديـة والاجتماعية بل تؤدى إلى حدوث ضغط شديد على الموارد المتاحة ، ويعتبر المجتمع المصرى من المجتمعات التى تعانى من النمـو السـكانى السـريع والآثار السلبية المترتبة عليه حيث أن النمـو السـكانى السـريع لا يقـترن بمعدلات عالية من التنمية الاجتماعية والاقتصادية .

ولتأثير النمو السريع للسكان على عملية التقدم والنمـو الاقتصـادى والاجتماعى . أهتم كثير من العلماء بدراسة موضوع السـكان باعتبـار أن السكان يلعبون دوراً فى التخطيط من أجل التنمية الاقتصادية والاجتماعيـة وأيضا حجم وعدد السكان ونوعياتهم يحـددون حجـم وعـدد المسـتهلكين ونوعياتهم وحاجاتهم وهؤلاء هم الهدف النهائى للإنتاج .

ولقد تناولت د. نادية الجروانى قضايا الخصوبة، المواليد ؛ الوفيات ، الكثافة السكانية ... ولأهمية الهجرة كقضية سكانية تناول د. عاطف مكـاوى هذه القضية بشىء من التفصيل .

أولا الخصوبة : *

١- مفهوم الخصوبة :-

الخصوبة بمعناها اللغوى هى القدرة على الإنتاج والخصوبة الإنسانية بالمعنى البيولوجى هى قدرة الفرد ، ذكر كان أو أنثى على إنتاج الخلايا الجنسية الحية (٥٧،١) .

ويعرف قاموس Fairchild الخصوبة بأنها المقدرة الفسيولوجية على الإنجاب كما هو معبر عنها فى الواقع ، أى العدد الفعلى الموجود للأطفال .

أما الخصوبة بالنسبة للسكان فتعنى العدد الفعلى للمواليد منسوبا إلى وحدة معينة فى فترة زمنية قد تكون هذه الوحدة الفرد " ذكر أو أنثى " أو الزوجين أو طبقة اجتماعية أو شريحة اجتماعية أو مجموعات أخرى أو أزواج أو أفراد أو المجتمع بأسره (١٢٧،٢) .

فالخصوبة تعنى القدرة على الإنجاب .

و القدرة على الإنجاب : يقصد بها الاتجاه المضاد لكلمة " العقم " ولا تعنى بالضرورة وجود إنتاج فعلى من المواليد (١٨،٣)وفى مجال السكان. فإن التميز بين الخصوبة والإنجاب الفعلى والقدرة على الإنجاب هام حيث أنه وفى كل المجتمعات يقل الإنجاب الفعلى عن الحد الأقصى المحتمل للإنجاب وليس هناك قاعدة عامة معروفة للاختلافات الكبيرة فى الخصوبة الفعلية بين المجتمعات والاختلافات فى قدرتها البيولوجية إلا أنه من المعروف أن اختلافات الخصوبة ترتبط عموما بالعوامل الاجتماعية التى تؤثر بدورها

---

* إعداد د. نادية عبد الجواد الجروانى.

عمل المعايير الاجتماعية التى تحدد العدد المناسب من الأطفال . والذى يمكن التحكم فيه عن طريق وسائل تنظيم الأسرة .

وتختلف الخصوبة باختلاف السن والجنس ، فمقدرة كل من الذكــور والإناث على الإنجاب له عمر معين فالإناث تبدأ فى الخامسة عشر وتنتــهى ما بين (٤٥-٤٩) بينما هى عند الذكور تبدأ فى الثالثة عشر تقريبا وتســتمر حتى نهاية العمر رغم تضاؤلها تدريجيا .(٣٣،٤)

ولقد أصبح المتفق عليه فى البحوث أن خصوبـــة الشــعوب عنــد مقارنتها تستند أساسا إلى تنظيم عدد مواليدها الفعلى عن طريق عوامل تحــد من الإنجاب ويعرفها المجتمع وأخرى تحد من إنجاب ويعرفــــها الزوجيــن (١٠،٥) وقد نجد أن فى البلدان ذات الخصوبة المرتفعة ترتفع فيــــها نســبة صغار السن الذين تقل أعمارهم عن خمسة عشر عامل إلى أكثر مــن ٤٠% وتنخفض نسبة الذين تقع أعمارهم بين (٦٤،١٥) إلى أقل من ٥٦% وكذلك تنخفض نسبة كبار السن (٦٥) سنة فأكثر إلى أقل من ٤% فى حين يوجـــد العكس من البلدان ذات الخصوبة المنخفضة إذا تنخفض النسبة الأولى نحــو ٢٨% وترتفع النسبتين الأخريين إلى نحو ٦٣% و٩% (٦،٦) .

وينعكس تأثير التركيب العمرى على مختلف التركيبـــات الســكانية كالتعليم والتركيب الجنسى والتركيب الزواجى .

وتوزيعات القوة العملة والتوزيع حسب الريف والحضر .

<u>الخصوبة فى مصر :-</u>

تميزت مصر بارتفاع معدلات الخصوبة فى مرحلة ما قبل الثـــورة فكان معدل المواليد العام أكثر من ٤٠ فى الألف ومعدل الخصوبـــة العــام ٣٢مولودا لكل ألف من النساء من بين الأعمار ١٥-٤٩ سنة وارتفعت هــذه

المعدلات فى عام ١٩٦٠ إلى ١٨٥-١٩٠ مولودا وبدأت فى الانخفاض فـــى عام ١٩٦٥ إلى ١٧٩ مولودا وفى عام ١٩٧٦ إلى ١٦٩ مولودا .

ويمكن أن نفسر أسباب عدم خفض الخصوبة فى هذه المرحلة إلـــى مجموعة عوامل منها :

- الاتجاه الريفى الطاغى للمجتمع بالرغم من تزايد نسبة الأفراد الذيـــن يسكنون الحضر .
- التقدير التقليدى للعدد الكبير من الأطفال .
- تغلب الأسرة الكبيرة .
- الزواج فى سن مبكر . وتكرار الزواج .
- تفضيل الأطفال الذكور الذى يشجع تعـــدد الـــولادات حتـــى يمكـــن الحصول على أكبر عدد ممكن من الأبناء الذكور .
- الوضع المنخفض نسبيا للنساء والذى فرضته المؤسســـات التقليديـــة والقبيلة .
- مستوى المعيشة المنخفض وارتفاع معدل الأمية وخاصة بين الإنـــاث (٧، ٤٦٥) .

وفى المرحلة من ١٩٦٦ إلى ١٩٧٢ تميزت هذه المرحلة بخفـــض معدلات الخصوبة وكان من أهم أسبابها :

- البرنامج القومى لتنظيم الأسرة وجهود جهاز تنظيم الأسرة .
- تحسين مستويات المعيشة وارتفاع الأوضاع الاجتماعية .

- تحسين قابلية الأطفال للبقاء على الحياة نتيجة الرعاية الصحية والوقائية . مما يقلل من معدلات وفيات الأطفال .

- تعليم المرأة ومنحها حقوقها السياسية .

- الاستجابة القومية لمواجهة الضغط السكانى .

ولكن ارتفعت معدلات الخصوبة إلى أن بلغت ٣٧,٥ فى الألف عام ١٩٨٨ وفى عام ١٩٩٩٧ وصل إلى ٢١,٨ فى الألف بمعنى أن انخفاض معدلات الخصوبة يتم ببطء (٨) .

مما جعل المجتمع المصرى من المجتمعات التى تعانى من نمو سكانى سريع الناتج من ارتفاع معدلات الخصوبة ولا يؤثر ارتفاع معدلات الخصوبة زيادة فى حجم السكان بل يؤثر الضغط فى تركيبهم العمرى وكثافتهم وتوزيعهم الجغرافى وتعد الخصوبة المحدد الأول والرئيسى للتركيب العمرى لانعكاس التركيب العمرى على مختلف التركيبات السكانية.

كالتعليم والتركيب الجنسى والزواجى وتوزيعات القوة العاملة والتوزيع حسب الريف والحضر .

العوامل التى تؤثر فى الخصوبة :-

وقد أثبتت البحوث العلمية أن متوسط القدرة الطبيعية على الانسال عند المرأة لا تختلف بين الشعوب أو الحضارات المتفاوتة وإنما يرجع التباين فى الخصوبة إلى العوامل الاجتماعية والبيئية والمعيشية . ولذلك لا يمكن اعتبار أن الخصوبة متغيرا مستقلا ولكنها ترتبط بالظروف الاقتصادية والاجتماعية والأحوال العلمية والتقاليد الحضارية الموروثة فيها تستجيب ارتفاعا وهبوطا للأزمات الاقتصادية والحروب والدليل على ذلك أن الحروب والمجاعات والأوبئة والأمراض المعدية التى تعرضت لها البلاد فى فترة من

الفترات انخفضت معدلات الخصوبة (٣٧،٤) ويمكن أن نحدد بعض العوامل التى تؤثر فى الخصوبة بصفة عامة وهى :-

١- الخصوبة والطبقات الاجتماعية :-

ترتفع الخصوبة فى الطبقات الدنيا : بمعنى أن هناك علاقة عكسية بين الخصوبة والمركز الاجتماعى و الاقتصادى .

ويرجع ذلك إلى : أن النساء فى الطبقات الاجتماعية العليا . يتزوجون غالبا فى سن متأخر عن مثيلاتهن فى الطبقات الفقيرة كما أن سن الزواج أعلى بالنسبة للذكور فى الطبقات العالية عن الطبقة الدنيا ، كما أن كثرة وفيات الأطفال فى الفئات الدنيا تؤدى إلى المستوى الاجتماعى و الاقتصادى أزداد تفضيل الأفراد لإنجاب عدد كبير من الأطفال واتخذت الأسرة شكل الأسرة الممتدة الكبيرة الحجم .

٢- الخصوبة وسكان المدن والريف :-

تختلف الخصوبة مع درجة التمدين فهى ترتفع فى المجتمعات الريفية عنها فى المدن ويرجع ذلك إلى طبيعة الحياة فى الريف والمدينة وإلى إقبال سكان المدن إلى الأخذ بوسائل تنظيم الأسرة . فنسبة عدد الأسر التى تكتفى بطفل واحد فى المدن أكبر من النسبة التى تكتفى بطفل فى الريف وأيضا النسبة التى تكتفى بطفلين أكبر من النسبة فى الريف ويزداد ذلك كلما تقدم العمر .

٣- الخصوبة والدخل :-

هناك علاقة واضحة بين الدخل المنخفض والخصوبة المرتفعة ويتضح ذلك بالنسبة لمهنة الزراعة والعمل اليدوى حيث أن الأطفال هنا يمثلون أيدى عاملة تعتمد عليها وقد تم ترتيب المهن حسب درجة خصوبتها

على النحو التالى : المشتغلين بالمناجم الزراعية الصناع المهرة ثم أصحـاب الأعمال و القضاة والمهندسين (١١٦،١١٤،٩) .

٤- الخصوبة والقيم والمعايير الاجتماعية :-

الخصوبة لا ترجع فقط إلى عوامل بيولوجية وإنما هنـاك معـايير ثقافية وقيم تتعلق بالإنجاب وميل للأسرة ذات الحجم الكبير والزواج المبكـر وقيمة تركيز السلطة فى يد الذكور . وكل ذلك له أثر فى زيـادة معـدلات الخصوبة . (٢٠٢،١٠)

٥- الخصوبة والأمية :-

فقد أكدت نتائج إحدى الدراسات التى أجريت علـى حجـم الأسـرة والمستوى التعليمى تبين أن المائة زوجة الجامعية أنجبت ٣٩٤ طفلا بينمـا الزوجات فى مستوى التعليم الابتدائى قد أنجبـت ٧٠٨ طفـلا فكلمـا ازداد درجة التعليم زادت الرغبة فى تنظيم الأسرة وبالتالى تقل الخصوبـة بيـن المتعلمات (١١، ٧٢، ٧٣) .

٦- مؤشرات ومقاييس الخصوبة :-

١- معدل المواليد الخام :-

يعد هذا المؤشر من أكثر مقاييس الخصوبة استعمالا وهو يعنى نسبة المواليد فى السنة إلى عدد السكان فى منتصف السنة . وتضرب هذه النسـبة × ١٠٠٠ لكى تحصل على معدل المواليد لكل ألف من السكان أى أن :

$$\text{معدل المواليد الخام} = \frac{\text{عدد المواليد الأحياء في السنة}}{\text{عدد السكان في أول يوليو في نفس السنة}} \times ١٠٠٠$$

وفى الغالب تسقط كلمة الخام وتكتفى بمعدل المواليد هذا ومن المعروف أن أى معدل مواليد يزيد عن ٣٠ فى الألف يعتبر عاليا ، فإذا زاد عن ٤٠ فى الألف فهو غاية فى الارتفاع أما إذا نقص عن ٢٠ فى الألف فهو منخفض بينما توصف المعدلات بين ٢٠إلى ٣٠ فى الألف على أنها متوسطة الارتفاع (١٢، ١٧٥) .

٢- معدل الخصوبة العامة " أو نسبة الخصوبة العامة "

وهى عبارة عن نسبة المواليد المسجلة فى عام معين إلى عدد النساء فى سن الإنجاب وهى السن (من ١٥-٤٤ سنة أو من ١٥-٤٩) .

والسبب فى تحديد النسبة على هذا النحو قصر المقام فى النسبة على الأمهات القادرات على الإنجاب ، وذلك عن طريق استبعاد جميع الرجال وجماعات كبيرة من النساء اللاتى لسن معرضات للحمل بسبب السن . ويعد هذا التحديد خطوة على الطريق نحو قياس الخصوبة عند القطاع المناسب من السكان وليس عند مجموع السكان . وهذه الخطوة تحدد القطاع المناسب من السكان على أساس نفس المعيار وهى فترة السن من (١٥-٤٤) أو من (١٥-٤٩) تحت كل الظروف (١٣ ، ١٤٢)

معدل الخصوبة العام = (عدد المواليد أحياء خلال السنة ÷ عدد الإناث فى سن الحمل (١٥-٤٥) أو (١٥-٤٩) فى منتصف السنة) × ١٠٠٠

٣- معدل الخصوبة حسب العمر .

معدل الخصوبة حسب العمر = (عدد المواليد الأحياء لأمهات فى فئة سن معين ÷ عدد الإناث فى نفس فئة السن فى منتصف السنة) × ١٠٠٠

هذا المعدل أكثر دقة وحساسية للتغيرات فى الخصوبة فى معدل المواليد الخام ولكن يحتاج هذا المعدل إلى بيانات مفصلة عن الولادة حسب

العمر وعن عمر السيدات ومـــن هـذا المعـدل يحسـب المعـدل الكلـي للخصوبة(٤١،٤) .

٤-معدل الخصوبة الكلية :-

هو عبارة عن مجموع معدلات المواليد الخاصة بالعمر للنساء لكـل سن من ١٥-٤٩ سنة ويمكن حساب هذا المعدل لفئات عمرية خمسـية ثـم تضرب بعد ذلك فى ٥ " وهو طول الفئة العمرية " وذلك لتقريب المجمـوع الحقيقى للمعدلات لكل سنة من سنى العمر ، وهذا المجموع يمثل جملة عـدد الأطفال الذين تلدهم ١٠٠٠ سيدة خلال سنى الحمل لو ظلت الألف سيدة على قيد الحياة طول الفترة تعرض لمعدلات المواليد الخاصة بالعمر السارية فـى تاريخ معين ، هذا ويمكن أن يعبر عنها أيضا كمعدلات " المرأة " الواحـدة بدلا من معدلات لكل ١٠٠٠ امرأة .

ويمثل معدل الخصوبة الكلى نفس مجتمع النساء وكما فـى معـدل الخصوبة العام ولكن يأخذ فى اعتباره توزيع المواليد السنوية فى النساء فـى مختلف الأعمار ، وعلى ذلك فإنه وسيلة أكثر فاعلية لتلخيص تكرار المواليد فى سنة معينة ، وبانعكاس لحظى فإن هذه الطريقة تعرف كمثـال للتنميـط يقابل " الطريقة المباشرة " بضرب معدل المواليد عند كل سـن ، بمجتمـع سكانى مكون من شخص واحد " أو بالضرب فى ٥ عند كل فئـة خمسـية " ولهذا السبب كان معدل الخصوبة الكلى يظل غير متأثر بالشذوذ فى التركيب العمرى للنساء فى الفترة العمرية من ١٥-٤٩ . أو بمعنى آخر فـإن هـذا المقياس يعتبر من أفضل مقاييس الخصوبة للأسباب الآتية .

أ- أنه قاصر على الإناث فى سنى الحمل .

ب- أنه غير متأثر بالتوزيع العمرى ولـذا يصلـح لمقارنـة خصوبـة المجتمعات المختلفة من حيث التركيب العمرى .

يحتاجه المعدل الخام عند مقارنته بين مجموعات مختلفة فى التركيب العمرى والمفروض أن المعدل (٢،١) لكل امرأة " أى حوالى طفلين " هـــو المعدل اللازم لثبات النمو السكانى ، فإذا زاد عن ذلك زاد عدد السكان ، وإذا قل عن ذلك نقص عدد السكان . (١٤ ، ٢٣٦)

٥-معدل الخصوبة الكاملة "Completed Fertility" :-

وهو متوسط عدد الأطفال تراكميا Cumulative عند بلـــوغ ســـن اليأس أى من ٤٥-٤٩ ويكون أعلى قليلا من معدل الخصوبة الكلى وأقل منه دقة .

٦- معدل الإحلال الخام والصافى Gross &net Reproduction rates

وهو يساوى عدد البنات اللاتى تلدهن كل أم خلال فترة الإنجـاب أى كم بنتا تحل محل الأم فى المتوسط وحسابه معقد نوعا ، ومنه المعدل الخـــام والصافى . وإذا زاد أحدهما عن واحد أى إذا حلت محل الأم أكثر من بنـــت واحدة ، دل ذلك على ارتفاع الخصوبة .

لقد جرى العرف على ربط الخصوبة بالمرأة وذلك لسببين أولهما أن المرأة هى وعاء الحمل وحامله الجنين ، وثانيهما أن فـترة الإنجـــاب عنـــد المرأة محددة بسن البلوغ من جانب وسن اليأس من جـــانب آخـــر وهـــذان السببان هما المحددان بالفعل للخصوبة . (٦٠،١)

٧-معدل الخصوبة القصوى " الفسيولوجية "

هى منتهى ما يمكن أن تصل إليه الخصوبة فى أى مجتمع إنســانى ، ويلزم لذلك أولا : أن يكون سن الزواج بعد البلوغ مباشـــرة ، وأن يســـتمر الإنجاب إلى سن اليأس بدون استعمال أى وسيلة من وســـائل منـــع الحمـــل والإجهاض ، وثانيا : أن يكون مستوى الصحة فى هذا المجتمع عاليا بحيـــث

يعيش معظم المتزوجين حتى سن اليأس للمرأة . وأقرب المجتمعات إلى هـذا النمط هو مجتمع الهاتيريت Hutterites ومع مجتمع داخل الولايات المتحدة الأمريكية لا يستعمل تنظيم الأسرة بينما يتمتع بصحة جيدة ولا يقف بين هذا المجتمع وبين الخصوبة القصوى سوى عاملين

الأول : هو أن سن الزواج متأخر عن سن البلوغ

والثانى :أن مستوى الصحة يتأثر بالحمل المتكررة ونجد مستوى الخصوبة لهذا المجتمع هو أعلى مستوى فى العالم .

الآثار الناجمة عن ارتفاع معدلات الخصوبة :

ارتفاع معدلات الخصوبة له أثار خطيرة على صحة الأمهات والأطفال إذا ترتفع معدلات وفياتهم وتؤثر على نمو الأطفال ونضوجهم الفكرى وتظهر هذه الآثار عند عدم التحكم فى الخصوبة أو عندما تكثر مرات الحمل أو عند حمل المرأة فى سن مبكرة أى أقل من ١٨ عام أو فى سن متأخرة أى أكثر من ٣٥ عاما .

١-أثر الارتفاع الزائد للخصوبة على معدلات وفيات الأطفال تتوقف صحة الطفل إلى حد كبير على صحة الأسرة وعلى ترتيب ولادة الطفل . بالنسبة لأخوته وإخوانه . وقد دلت إحدى الدراسات التى تبنتها منظمة الصحة العالمية على أن فرص فقد الأجنة تزيد أثناء الحمل للمرة الرابعة أو أكثر إذا ما قورنت بالمرة الثانية أو الثالثة . كما أن بعض الخطر فى الحمل الأول يمكن تفاديه ببذل المزيد من العناية الطبية أثناء الحمل وتوفرها أثناء الولادة .

وبالنسبة للمواليد الأحياء ، فإن فرص البقاء على قيد الحياة تقل تدريجيا بعد الطفل الثالث ، فما عدا أول مولود ، فهو يواجه بعض المخاطر،

خاصة إذا كانت أمه فى سن المراهقة أو فى غياب الرعاية الطبية أثناء الحمل (٣٧١،٦) .

٢-أثر الارتفاع الزائد للخصوبة على إصابة الأطفال بالأمراض بالإضافة إلى ما ينتج عن الارتفاع الزائد لمعدلات الخصوبة من وفيات نجد أن سوء التغذية والأمراض المعدية وغيرها تزداد بزيادة عدد المواليد فى الأسرة .

٣-أثر الارتفاع الزائد للخصوبة على نمو الطفل أثبتت الدراسات بطء نمو الأطفال الذين يأتى ترتيبهم متأخرين عن أخواتهم .

٤-أثر حجم الأسرة الناتج عن الخصوبة على مستوى الذكاء مما يزيد من دواعى القلق أن مستوى الذكاء لدى الطفل الرابع أو الخامس أو من يليهما أو لدى الطفل الذى يولد فى أسرة كبيرة أو لا صغيرة السن أو متأخرة السن ، يكون أقل بكثير من مستوى ذكاء أطفال الأسرة الصغيرة أو من يولدون أولا وبالرغم من ثبوت العلاقة الطردية الموجودة بين مستوى الذكاء والطبقة الاجتماعية للوالدين ودرجة تعليمهم أشارت الدراسات المتعددة إلى أن لترتيب الطفل بين أخواته وحجم الأسرة أثارهما الواضحة داخل طبقة اجتماعية .

٥- أثر الفترة بين الحمل وأخر على صحة الأم :-

هناك خطر شديد بالنسبة لحالات الحمل التى تتعاقب بسرعة ، خصوصا الحمل الذى يحدث بعد عام واحد من الحمل السابق إذا أن ذلك قد يؤدى إلى موت الجنين أو ولادته مبسترا أو وفاته عقب ولادته أو فى سن صغير – وتظل درجة هذه الخطورة عالية بالنسبة للفترة التى تقل عن عامين من الحمل السابق (١٥ ، ١٤٨) .

ويرجع هذا إلى حاجة الأم إلى استعادة قوتها بعد فترة الحمل والولادة وإلى تعويض ما استنزفه الحمل من مخزون قبل حدوث حمل جديد . والحمل المتعاقب هو السمة الشائعة فى البلدان النامية ، خصوصا البلدان العربيــــة . وتزيد المشكلة تعقيدا فى تلك البلدان من جراء سوء التغذية للأمهات ، فـــلا يؤثر هذا على نتيجة الحمل ونمو المولود فحسب ، وإنما أيضا على تغذيتـــه التى يعتمد فيها أساسا على لبن الأم .

ثانياً : المواليد :-

يتضح من الحديث عن الخصوبة . أن مصر تعانى من ارتفاع معدلات النمو السكانى الذى ينجم عن ارتفاع معدلات المواليد وانخفاض معدلات الوفيات . وقد بلغ عدد المواليد . (١٦٥٤٦٩٥) مولود كل عام فى عام ١٩٩٧ بينما كان فى عام ١٩٩٦ (١٦٦٢٠٦٥) مولوداً أى انخفضت المواليد بنسبة ٤% وتعتبر هذه النسبة نسبة ضئيلة جداً لآن خفض معدل الزيادة السكانية تمكن المجتمع من زيادة قدرته على مكافحة الفقر والأمية وبناء قاعدة مستقرة للتنمية الاجتماعية والاقتصادية . كما أن استقرار مستويات الخصوبة يؤثر بإيجابية على نوعية الحياة .

وقد بلغ عدد المواليد فى الحضر ٧٢١٩٠٥ مولود عام ١٩٩٧ بينما كان ٧٢٠١٤٥ مولود فى عام ١٩٩٦ أى بنسبة زيادة قدرها ٠,٠٢% أما عدد المواليد فى الريف فبلغت عام ١٩٩٧- (٩٣٢٧٩٠) مولود بينما كان (٩٤١٩٢٠) مولود عام ١٩٩٦ بنسبة نقص قدرها ١٠,٠% (٨) يمكن تعريف المولود الحى بأنه كل مولود تظهر عليه عقب ولادته أى علامة من علامات الحياة مثل التنفس أو أية ظاهرة أخرى كضربات القلب أو نبض الحبل السرى أو الحركة الواضحة للغضلات (٨) .

الإرادية وذلك بعد انفصاله التام عن الأم بصرف النظر عن مدة الحمل وسواء كان الحبل السرى قطع أو لم يقطع وسواء انفصلت المشيمة أم لا .

جدول يوضح معدل المواليد والوفيات ومعدل النمو الطبيعى فى الفترة من ١٩٨٠ : ٢٠٠٤

	معدل المواليد	معدل الوفيات	معدل النمو الطبيعى بالألف
١٩٨٠:١٩٨٤	٣٧,٢	٩,٨	٢٧,٢
١٩٩٠:١٩٩٤	٣٧,٧	٨,٩	٢٨,٨
٢٠٠٠:٢٠٠٤	٢٧,٦	٦,٧	٢٠,٩

ويوضح هذا الجدول أن معدلات المواليد والوفيات ومعدلات النمو الطبيعى لم يتغير بنسبة كبيرة فى الفترة من ١٩٨٠ :١٩٩٤ . أما من ٢٠٠٠ :٢٠٠٤ بدأت معدلات المواليد والوفيات ومعدل النمو الطبيعى فى الانخفاض البسيط وخاصة النمو الطبيعى فى معدلات المواليد ومعدل الوفيات ومعدل النمو الطبيعى (١٦، ٤٦) .

معدلات ونسب المواليد :-

١- نسبة الأطفال إلى الإناث .

تتم وفق الاعتبارات التالية:-

أ- الأطفال الذين يموتون قبل بلوغ سن الخامسة .

ب- اختلاف معدلات وفيات الأطفال فى الأعمار المختلفة .

ج- اختلاف توزيع الإناث خلال فترة الإنجاب .

د- الحالة الزواجية للإناث فى سن الحمل .

٢-**معدل المواليد الخام** = $\frac{\text{عدد المواليد أحياء خلال السنة}}{\text{عدد السكان فى منتصف السنة}} \times ١٠٠٠$

وقد سمى هذا المقياس بالعام والخام لأنه لا يراعى فيه أى اختلاف من اختلافات التركيب السكانى من الشعوب المختلفة مثل توزيع السن والجنس أو الحالة الزواجية .

٣-**معدل المواليد حسب ترتيب المولود** =

$\frac{\text{عدد المواليد الأحياء لترتيب معين خلال السنة}}{\text{عدد الإناث اللاتى لهن نفس الصفة فى منتصف السنة}} \times ١٠٠٠$

٤- **نسبة المواليد** =

$\frac{\text{عدد المواليد الأحياء الذين لهم صفة معينة}}{\text{جملة عدد المواليد أحياء خلال نفس السنة}} \times ١٠٠٠$

٥- **نسبة المواليد حسب مدة الزواج** =

$\frac{\text{عدد المواليد الأحياء لكل مدة زواج}}{\text{جملة عدد المواليد أحياء خلال السنة}} \times ١٠٠٠$

وبما أننا فى مجتمع يتزايد فيه عدد السكان وهذا يعنى أننا أمام مجتمع فيه معدلات الخصوبة مرتفعة وبذلك تكون المواليد . والهجرة إلى داخل البلد أكثر من الوفيات . إذن أن معدلات الوفيات تتحكم فى الزيادة الطبيعية للسكان داخل المجتمع . (٤، ٤٠، ٤١)

ثالثا: الوفيات :-

تعد الوفيات الركن الثانى من مكونات النمو السكانى وهى مع المواليد يشكلان الركيزة الأساسية لدراسة التغير فى أى منطقة والوفاة ، بصفة خاصة ، لها معنى محدد عندما تستخدم للإشارة إلى إحصاءات الوفاة ، فالمعروف عن هذه الإحصاءات أنها ذات فائدة فى تحليل الوضع الديموجرافى ودورة فى عملية النمو وفى توفير قاعدة من البينات الضرورية للإسقاطات السكانية ، واستخدام تلك الاسقاطات فى العديد من النشاطات المهنية والتجارية ، وكذلك فى توفير متطلبات البحوث لمؤسسات الصحة العامة فيما يعتبر ضروريا لتطوير وتقويم برامج هذه المؤسسات وتقيمها (٣٩،١٧) .

ويعتبر التغيير فى الوفيات هو العامل المهم الذى يؤثر فى النمو السكانى فإن نسبة المواليد تطرد فى نسب ثابتة لا تعلوا ولا تنخفض إلا فى نطاق ضيق محدود ، أما الوفيات فقد أخذت فى الهبوط السريع منذ عام ١٩٥٥ فزاد الفرق بين المواليد والوفيات وأصبحت نسبة النمو الطبيعى ٢٥% فى العام وهذا يعنى مضاعفة عدد السكان فى أقل من ٣٠ عام .

ويلاحظ هبوط معدل الوفيات فى المجتمع المصرى فى الأونة الأخيرة لتوفير الرعاية الصحية إذا أن الوفيات تستجيب إلى التغيرات الاقتصادية والاجتماعية وإلى أثر التقدم فى العلوم الطبية والصحية ومدى الإفادة منها والقضاء على الأمراض الوبائية والمعدية (١٩٥،٩٠).

تتفاوت معدلات الوفاة من مجتمع إلى أخر ويرجع ذلك إلى كثير من العوامل البيولوجية والاجتماعية وخصوصا تركيب السكان من حيث السن والحالة الزواجية .

ويشكل ارتفاع معدل الوفيات لفئات السن المبكرة فى الأعمار التى تقل عن ١٥ سنة فى الوقت الحاضر خسارة سنوية لا يستهان بها إذا أن هؤلاء الصغار يدركهم الموت قبل أن يصلوا إلى سن العمل والمساهمة فى الإنتاج بعد أن يكونوا قد استنفذوا من الدخل القومى نصيبهم .

كوحدات استهلاكية مما تنفقه الدولة من خدمات صحيحة وتعليمية وعمرانية وغيرها من الخدمات العامة ومن السلع .

إذا كان معدل المواليد يتأثر كثيرا بالتغيرات المصاحبة للعوامل الاقتصادية والاجتماعية ، بالإضافة إلى ظروف الحرب والاستقرار الداخلى أو الاضطرابات السياسية فإن معدلات الوفيات تتأثر تغيراتها بالتقدم الطبى والوعى بالثقافة الصحية وأساليب الوقاية من الأوبئة والأمراض التى تصيب الأطفال . بصفة خاصة وذلك بالإضافة إلى ظروف البيئة والمناخ وما يرتبط بها من جوانب تؤثر على الصحة العامة وانتشار الأمراض .

تطور معدلات الوفيات خلال الفترة (١٩٦٦ :١٩٩٥):-

شهدت هذه الفترة انخفاضات متوالية فى معدل الوفيات نتيجة الجهود التى بذلت للتغلب على الأمراض المتوطنة والتقدم الطبى والعلاجى وازدياد الوعى الصحى لدى المواطنين نتيجة تناقص معدلات الأمية بين الشباب والإقبال على التعليم الإلزامى ، والجهود المبذولة من جانب وزارة الصحة لتوعية المواطنين صحيا وإرشادهم إلى العادات الصحية فى الأكل والشرب بالمسكن والصحة والبيئة المحيطة ... الخ .

ونتيجة هذه الجهود تمثلت فى انخفاض معدل الوفيات ١٥,٨ فى الألف عام ١٩٦٦ إلى ١١,٨ فى الألف عام ١٩٧٦ ثم إلى ١٠ فى الألف من عام ١٩٨٠ حتى عام ١٩٨٢ الذى بدأت بعده المعدلات تشهد انخفاضا آخر إلى ٩,٤ فى الألف عام ١٩٨٥ وإلى ٩,١ فى الألف فى كل من عام

١٩٨٧و١٩٨٨ ثم توالى الانخفاض خلال التسعينات حتى بلغ المعـــدل ٦,٤ فى الألف عام ١٩٩٤ باستثناء عام ١٩٩١ الذى حدث فيه زيادة نسـبتها ٥,٣ % عن عام ١٩٩٠ (١ ، ١١٢ ، ١١٣) .

جدول يوضح تطور معدل الوفيات (١٩٦٦ -١٩٩٥)

١٩٦٦	١٥,٨	التغير %	١٩٨٦	٩,٢	٢,١-
١٩٧٦	١١,٨	٢٥,٣-	١٩٨٧	٩,١	٦,٥-
١٩٧٧	١١,٨	-	١٩٨٨	٨,١	١١,٠-
١٩٧٨	١٠,٥	١١,٠-	١٩٨٩	٧.٧	٤,٩-
١٩٧٩	١٠,٩	٣,٨+	١٩٩٠	٧,١	٧,٨-
١٩٨٠	١٠,٠	٨,٣-	١٩٩١	٦,٩	٢,٨-
١٩٨١	١٠,٠	-	١٩٩٢	٧,٤	٧,٢+
١٩٨٢	١٠,٠	-	١٩٩٣	٦,٨	٨,١-
١٩٨٣	٩,٧	٣,٠-	١٩٩٤	٧,٨	-
١٩٨٤	٩.٥	٢,١-	١٩٩٥	٧,٠	٢,٩+
١٩٨٥	٩,٤	١.١-			

يوضح الجدول السابق ما يلى :-

أ- اتجاه معدل الوفيات بصفة عامة إلى الانخفاض من خلال الفترة المذكورة بمعدل ٢,٥% سنويا وهو معدل يرتفع كثيرا عن معدل . الانخفاض الذى حدث فى معدل المواليد فى المتوسط خلال الفترة كما سبق أن أوضحنا فى البحث السابق .

ب- شهدت بعض السنوات ثباتا فى معدل الوفيات وهى السنوات ١٩٧٦،١٩٧٧، (١٩٨٠-١٩٨٢) السنوات (١٩٨٧ ، ١٩٨٨) ويرجع ذلك إلى استمرار الجهود الصحية لتطعيم الأطفال ضد الأمراض وإلى التقدم الطبى والعناية بالدواء والصحة العامة وزيادة الوعى الصحى من خلال الحملات الإعلانية فى وسائل الإعلام بشكل مكثف خاصة خلال السنوات الأخيرة .

ج- شهدت سنة ١٩٧٩ فقط زيادة فى معدل الوفيات عن عام ١٩٧٨ بنسبة ٣,٨% ويرجع ذلك إلى وباء الكوليرا الذى أدى بحياة بعض المواطنين خلال ذلك العام إلا وقد كان للجهود التى قدمتها الدولة فى سبيل توفير الخدمات الصحية للمواطنين أثار قوية فى خفض معدل الوفيات .

فقد أخذ هذا المعدل فى الهبوط . فقد بلغ عدد الوفيات فى عام ١٩٩٧ إلى (٣٨٩٣٠١) متوفيا بينما كان فى عام ١٩٦٦ .(٣٧٩٩٨٣) متوفيا بنسبة زيادة قدرها ٢,٥%

وفى الحضر بلغ فى سنة ١٩٩٧ (١٧٨٨٠٨) متوفيا بينما (١٧٥٦٠٧) متوفياً فى عام ١٩٩٦ بنسبة زيادة قدرها ١,٨% أما وفيات الريفية ففى علم ١٩٩٧ كان الوفيات (٢١٠٤٩٣) متوفيا وفى عام ١٩٩٦ كان الوفيات (٢٠٤٣٧٦) متوفيا بنسبة زيادة قدرها ٣,٠% (٢٠)

جدول يوضح معدل المواليد أحياء والوفيات بالجمهورية فى السنوات من ١٩٧٨ إلى ١٩٩٧،١٩٩٨ المعدلات لكل ألف

السنة	معدل المواليد أحياء	معدل الوفيات	معدل الزيادة الطبيعية	معدل الوفيات أقل من شهر	معدل وفيات الرضع	معدل وفيات الأمومة
١٩٦٠	٤٢,٩	١٦,٩	٢٦,٠	–	–	–
١٩٧٢	٣٤,٥	١٤,٥	٢٠,٠	–	–	–
١٩٧٨	٣٨,٨	١٠,٩	٢٧,٩	١٣,٨	٧٣	٠,٨
١٩٧٩	٤٠,٠	١٠,٩	٢٩,١	١٢,٢	٧٦	٠,٨
١٩٨٠	٣٧,٥	١٠,٠	٢٧,٥	١٣,٤	٧٦	٠,٩
١٩٨١	٣٧,٠	١٠,٠	٢٧,٠	١٢,٢	٧١	٠,٨
١٩٨٢	٣٦,٢	١٠,٠	٢٦,٢	١٤,٩	٧١	٠,٨
١٩٨٣	٣٦,٨	٩,٧	٢٧,١	١٢,٤	٦٥	٠,٦
١٩٨٤	٣٨,٦	٩,٥	٢٩,١	١٢,٣	٦٢	٠,٦
١٩٨٥	٣٩,٨	٩,٥	٣٠,٣	١١,٢	٤٩	٠,٥
١٩٨٦	٤٠,١	٩,٦	٣٠,٥	١٣,١	٤٧	٠,٦
١٩٨٧	٣٨,٨	٩,٥	٢٩,٣	١٣,٤	٤٩	٠,٧
١٩٨٨	٣٧,٨	٨,٤	٢٩,٤	١٢,٧	٤٣	٠,٥

السنة	معدل المواليد أحياء	معدل الوفيات	معدل الزيادة الطبيعية	معدل الوفيات أقل من شهر	معدل وفيات الرضع	معدل وفيات الأمومة
١٩٩٠	٣١,٧	٧,٤	٢٤,٣	٩,٤	٣٨	٠,٥
١٩٩١	٣٠,٠	٧,٢	٢٢,٨	٨,٩	٣٦	٠,٤
١٩٩٢	٢٦,٩	٦,٩	٢٠,٠	٩,٠	٣٦	٠,٥
١٩٩٣	٢٨,١	٦,٧	٢١,٤	٨,٩	٣٢	٠,٤
١٩٩٤	٢٧,٧	٦.٦	٢١,١	٩,٨	٣١	٠,٤
١٩٩٥	٢٧,٩	٦,٧	٢١,٢	١٠,١	٣٠	٠,٣
١٩٩٦	٢٨,٣	٦,٥	٢١,٨	١٠,٩	٢٩	٠,٣
١٩٩٧	٢٧,٥	٦,٥	٢١,٠	١٢,١	٣٠	٠,٣
١٩٩٨	٢٧,٥	٦,٥	٢١,٠	–	–	–
١٩٩٩	٢٧,٥	٦,٤	٢٠,٦		–	

يوضح الجدول معدلات الوفيات العامة أيضا ويتضح من الجـدول أن هناك انخفاض مستمر فى معدل الوفيات من حوالى ١١ لكل ألف فـــى عـــام ١٩٧٨ إلى حوالى ٨ فى الألف فى عام ١٩٨٩ ثم إلى حوالى ٦,٥ فى الألف خلال الفترة من ١٩٦٦ حتى ١٩٩٨ ونحن نتوقع انخفاض أكثر فى معـــدل الوفيات نظرا لأن هذا المعدل فى الدول المتقدمة لا يتعدى ٣-٤ فى الألـــف (تقرير الصحة العالمية ١٩٧٧) .

وفيات الأطفال بين الريف والحضر :-

تختلف الوفاة حسب الفئات العمريه كما تختلف من مجتمع لآخر كما تتنوع مسببات الوفاة فقد تكون الوفاة بسبب حدث عارض أو أمراض جسمانية .

وقد تبين أن هناك خمس مجموعات رئيسية سبب الوفاة فى الفترات الماضية فى المجتمع المصرى وهى أمراض الجهاز الهضمى ، أمراض الجهاز التنفسى ، أمراض الشيخوخة أمراض جهاز الدورة الدموية وأمراض معينة خاصة بالطفولة وقد بلغت نسبة الوفاة من هذه الأسباب فى المتوسط ٨٧,٧% من جملة الوفيات .

وقد أظهرت بيانات الوفيات عن مجاميع الأمراض بالنسبة للحضر والريف زيادة حدوثها فى الريف بنسبة أكبر . كما تبين أن أمراض الطفولة بدأت تحتل المركز الخامس فى الحضر والريف بعد أن كانت تحتل المركز الثانى حتى عام ١٩٦٦ مما قد يشر إلى زيادة العناية بأمراض الطفولة (٣٣،٨) .

وتشير الدراسات والإحصاءات السكانية إلى ارتفاع معدلات الوفيات لدى الأطفال بشكل واضح فى ريف الوجه البحرى وهو ما يوجد فى الحضر أيضا بصفة عامة إذ ترتفع معدلات وفيات الأطفال فى ريف الوجه القبلى إلى ١٥١ طفل لكل ألف من السكان عام ١٩٨٠ مثلا مقابل ١١٦ فى الألف على مستوى الجمهورية ولعل ذلك يمكن تفسيره بسوء الأحوال المعيشية ووجود فجوة حضرية كبيرة بين ريف الوجه القبلى وريف الوجه البحرى من ناحية وفجوة بين الوجه القبلى وحضر الجمهورية من ناحية أخرى .

قد بلغت معدلات وفيات الأطفال فى حضر الجمهورية نحو ١١٤ فى الألف خلال الفترة (١٩٧٧-١٩٨١) بناء على التعديلات التى أدخلتها بعض

الدراسات السكانية الصادرة عن جهاز التعبئة والإحصاء والتى اعتمدت على ضبط البيانات المستخدمة فى ظل عدم تأكد ١٠% للمناطق الريفية ٥% بالنسبة للحضر . وتتراوح النتائج المتحققة بين ٨٤,٧ فى الألف للمحافظات الحضرية ، ١٥٠,٩ فى الألف بالنسبة لريف الوجه القبلى كما هو فى الجدول التالى :-

جدول يوضح معدلات الوفيات فى ريف وحضر مصر

(المعدل فى الألف)

المنطقة	عام١٩٨٦	١٩٩٤
المحافظات الحضرية	٨٤,٧	٦,٨
حضر الوجه البحرى	٨١,١	٥,٦
ريف الوجه البحرى	١١٩,١	--
حضر الوجه القبلى	١١٠,٩	٦,٨
ريف الوجه القبلى	١٥٠,٩	--
أجمالى الجمهورية	١١٥,٩	٦.٤

ومن الجدول السابق يمكن استنتاج ما يلى :-

أ-يقل معدل الوفيات فى المحافظات الحضرية "القاهرة - الإسكندرية - بور سعيد - السويس " عن معدلات الوفيات فى حضر الوجه القبلى ويزيد قليلا عن معدلات الوفيات فى حضر الوجه البحرى .

ب- يعتبر معدل الوفيات فى ريف الوجه البحرى وفى ريف الوجه القبلـــي مرتفعا عن معدل الوفيات فى حضر هاتين المنطقتين . كما يرتفع عن المعدل العام لإجمالى الجمهورية فى نفس العام . وذلك فضلا عن ارتفاعه عن معدل وفيات المحافظات الحضرية .

ولعل ذلك يرجع إلى ظروف المعيشة غير الصحية وتدنى مســتوى المرافق والخدمات العامة فى الريف عن الحضر . وذلك يتمثل فــى عــدم وجود المسكن الصحى المناسب والمياه النقية والصرف الصحى وانتشــار الحشرات الناقلة للأمراض وذلك فضلا عن انخفاض مستوى الوعى الصحى والعادات الغذائية وغيرها فى الريف مقارنة بما هو عليه الحال فى الحضــر بصفة عامة .

ج- ترتفع معدلات الوفيات فى كل من ريف وحضر الوجــه القبلــى عــن المعدلات المثيلة فى الوجه البحرى ويرجع ذلك إلى وجود فجوة حضاريـــة قديمة بين الوجهين القبلى والبحرى فضلا عن اختلاف الظروف المناخية وما يرتبط بها من اختلاف فى احتمالات الإصابة ببعض الأمـــراض والأوبئـــة ...الخ.

<u>معدل وفيات الأطفال الرضع :-</u>

تعتبر سنوات الطفولة الأولى سنوات من عمر الإنسان هى أخطـــر السنوات فيما يتعلق باحتمالات الحياة نظرا لوجود بعض الأمراض المتوطنـة والتى تصيب الأطفال بدرجة أكثر من غيرهم وتضعف قدرة أجســامهم . أو ظروفهم الصحية على مقاومة فيروسات هذه الأمراض ، فضلا عن التعرض للإصابة بالبكتريا الخاصة بالتلوث مما يترك أثار مرضية شديدة على هـؤلاء الأطفال يمكن أن تؤدى بحياتهم للوفاة ما لم يتم تداركها أولا بأول وفى الوقت المناسب .

وتشير إحصائيات وتقديرات الجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء فى مصر إلى اتجاه معدلات وفيات الأطفال إلى انخفاض من ٩٨ فى الألف عام ١٩٧٣ إلى ٨٥ فى الألف عام ١٩٧٧ وإلى ٧٦ فى الألف ١٩٧٩ . ثم توالى الانخفاض حتى بلغ المعدل نحو ٦٥ فى الألف عام ١٩٨٣ ، كما يتضح من الجدول التالى :-

جدول يوضح معدل وفيات الأطفال الرضع

(١٩٧٣-١٩٨٧،١٩٩١) فى الألف

١٩٧٣	٩٨	التغير %	١٩٧٩	٧٦	-١٠,٦
١٩٨٤	٨٩	-٩,٢	١٩٨٠	٧٦	-
١٩٧٥	٨٩	-	١٩٨١	٧٠	-٥,٣
١٩٧٦	٨٩	-	١٩٨٢	٧٠	-
١٩٧٧	٨٥	-٤,٥	١٩٨٣	٦٥	-٧,١
١٩٧٨	٨٥	-	١٩٩١	٥٩	-٩,٢

يشير الجدول السابق إلى انخفاض فى معدل الوفيات لدى الأطفال خلال الفترة ١٩٧٣-١٩٨٣ بمعدل ٣,٧% فى المتوسط سنويا ويرجع ذلك إلى العناية بصحة الطفولة والتغذية والرضاعة الطبيعية وزيادة الوعى الصحى لدى الأمهات اللاتى أقبلن على تطعيم أطفالهن ضد الأمراض المختلفة ويلاحظ ارتفاع معدل الانخفاض السنوى فى وفيات الأطفال عن معدل الانخفاض السنوى فى الوفيات بشكل عام . وقد حدث انخفاض آخر فى هذا المعدل عام ١٩٩٠ بنسبة ٩,٢% عن عام ١٩٨٣ وتشير بعض الدراسات إلى أن هناك بعض العوامل التى تؤثر بشكل مباشر على وفيات

الأطفال ، وتقارب أعمار الأطفال بحيث يقل الفرق فى العمر عن سنة ، وزيادة عدد الأطفال عن خمسة أطفال للأسرة بالإضافة إلى ظروف السكن الصحى أو غير الصحى وبعض العوامل الاقتصادية والاجتماعية مثل مستوى تعليم الأباء والمرتبة الاجتماعية لعمل الآباء والاضطرابات الداخلية والرضاعة الطبيعية . وذلك بالإضافة إلى الأمراض الصدرية وتسمم الحمل وغيرها . (١،١١٥،١١٦)

وفى عام ١٩٩٦ بلغت نسبة وفيات الأطفال الرضع الأقل من سنة ٢٨,٧ فى الألف أما فى ١٩٩٧ بلغت نسبة وفيات الأطفال الرضع إلى (٣٠,٠) الألف أى زيادة ١,٣ فى الألف

وفيات الرضع والأطفال أقل من خمس سنوات :-

وتمثل وفيات الرضع والأطفال أقل من خمس سنوات أهم مكونات الوفيات العامة كما أن لوفيات الأطفال الرضع علاقة طردية قوية مع معدلات الخصوبة السائدة حيث أثبتت العديد من الدراسات أنه كلما ارتفعت معدلات وفيات الرضع والأطفال كلما زادت معدلات الخصوبة والعكس صحيح حيث أن الأم عندما تفقد طفلا فأنها تسعى ليس فقط إلى تعويضه بل أنها تسعى إلى تعويضه وأيضا ولادة أطفال آخرين لتأمين بقاء العدد المرغوب فيه حتى سن الشباب.

ومن ثم أصبح تخفيض معدلات الوفيات للرضع والأطفال أمر يهم القائمين على رعاية الصحة العامة للمواطنين وأيضا بالنسبة للقائمين على أمور تنظيم الأسرة فى مصر.

وقد أكدت البيانات سواء المتوفرة من وزارة الصحة عن طريق الإحصاءات الحيوية أو عن طريق البحوث الميدانية المختلفة الانخفاض

السريع فى هذه المعدلات مع ملاحظة أن المعدلات يمكن توضيحها من خلال الجدول التالي:-

جدول معدلات وفيات الأطفال الرضع (أقل من سنة) والأطفال أقل من خمس سنوات (١٢،١١،١٩) خلال الفترة ١٩٧٠-١٩٩٦

السنة	أقل من سنة	أقل من خمس سنوات
١٩٧٠	١١٦	٤٦
١٩٧٥	٨٩	٣٥
١٩٨٠	٧٦	٢٤
١٩٨٦	٤٧	١٦
١٩٩٠	٣٨	٩
١٩٩٦	٣٠	٧
١٩٩٨	٢٧	٦

المأخوذة من التسجيل الحيوي للوفيات يشوبها بعض القصور فى التسجيل كما أن البيانات البحوث الميدانية أيضا يعاب عليها أنها أكثر ميلا إلى الارتفاع. وعموما فإن هناك اتجاه واضح من كلا المصدرين للانخفاض السريع فى هذه المعدلات.

فمن واقع جدول (٦) والذى يشير إلى معدلات وفيات الرضع والأطفال أقل منن خمسة سنوات إلى تناقص معدلات وفيات الرضع من حوالى ١١٦ فى الألف فى عام ١٩٩٦ وذلك طبقا للإحصاءات الحيوية والتى يشوبها كما ذكرنا بعض القصور فى التسجيل. فإذا ما انتقلنا إلى نتائج

البحوث المتخصصة لوجدنا أن معدلات الوفيات الأطفال الرضع كانت تبلـــغ ٨٩ لكل ألف مولود من ٨٣-١٩٨٧ انخفضت إلى ٧١ لكل ألف خلال الفترة ٨٨-١٩٩٢ ثم انخفضت أخيرا إلى ٥٢ طفل لكل ١٠٠٠ مولود حى خـــلال الفترة ٩٣-١٩٩٧.

كما أن انخفاض وفيات الأطفال أقل من خمس سنوات من ١٢٦ لكل ألف خلال الفترة من ٨٣-١٩٨٧ إلى ١٩ لكل ألف خلال الفترة مـــن ٨٨-١٩٩٢ ثم إلى ٦٥ لكل ألف خلال الفترة من ٩٣-١٩٩٧.

جدول يوضح معدلات وفيات الأطفال الرضع

من شهر لأقل من خمس سنوات

المدة	أقل من شهر	١-١١ شهر	رضع أقل من سنة	١-٤ سنة	أقل من خمس سنوات
٩٣-١٩٩٧	٢٩,٣	٢٣,٠	٥٢,٣	١٣,٣	٦٤,٩
٨٨-١٩٩٢	٣٥,٣	٣٥,٨	٧١,١	٢١,٠	٩٠,٦
٨٣-١٩٨٧	٤٦,٥	٤٢,٠	٨٨,٦	٤١,٢	١٢٦,٢

وأخيرا ونظرا لأن هناك اختلافات كبيرة بين المحافظات المختلفـــة بالنسبة لمعدلات الوفاة فإن الجدول التالى يشير إلى معدلات وفيات الأطفـــال الرضع وحسب المحافظة وهو يوضح أن أقل مســـتوى لوفيـــات الأطفـــال والرضع يقع فى محافظة الإسكندرية يليها دميـــاط والســـويس وبورســـعيد وعموما فإن محافظات الوجه البحري وكما هو متوقع، تقل عـــن معـــدلات وفيات الأطفال والرضع فى محافظات الوجه القبلي.

كما يشير الجدول إلى العلاقة القوية والأكيدة بين تعليم الأم ومعدلات وفيات الأطفال والرضع فمن واقع نتائج مسح الملامح الديموجرافية لسكان محافظات مصر والذى أجرى فى عام ١٩٩٦ يتضح أن الأم الحاصلة على أى شهادة تعليمية تتمتع بمعدلات وفيات لأطفال تقل إلى حوالى ثلثى المعدلات بالنسبة للأمية.

وأخيرا فيوضح الجدول إلى أن أهم الأسباب لوفيات الرضع هى أمراض الجهاز التنفسي ثم أمراض الإسهال وأخيرا مضاعفات الحمل والولادة.

جدول يوضح معدل وفيات الرضع والأطفال

أقل من ٥ سنوات (لكل ١٠٠٠ مولود حي) (٢١)

المحافظات	معدل وفيات الرضع		معدل وفيات الأطفال أقل من خمس سنوات	
	الأم بدون شهادة	الأم حاصلة على شهادة	الأم بدون شهادة	الأم حاصلة على شهادة
القاهرة	٥١	٣٩	٦٠	٤٧
الإسكندرية	٢٧	١٨	٣١	٢١
بورسعيد	٣٢	٢٢	٤١	٢٧
السويس	٢٨	٢٥	٢٩	٣١
دمياط	٣٤	١٩	٤١	٢٤
الدقهلية	٤٦	٣٠	٥٧	٣٢
الشرقية	٤٦	٢٣	٦٩	٢٨
القليوبية	٤٣	٤٠	٦٤	٤٨
كفر الشيخ	٣٨	١٥	٥٣	١٧
الغربية	٤٤	٢٥	٦١	٣٠
المنوفية	٤٩	٣٣	٧٣	٤٤
البحيرة	٤٨	٣٥	٦٩	٣٩
الإسماعيلية	٣٨	٢٧	٥٦	٣١
الجيزة	٧٢	٣٨	٩٨	٤٩
بني سويف	٧٦	٥٤	١١١	٦٢
الفيوم	٦٠	١٨	٨٢	٢٠
المنيا	٨١	٤٣	١٠٩	٥٠
أسيوط	٧٦	٥٦	١٠٢	٥٣
سوهاج	٦٠	٥٥	٩١	٧٠
قنا	٤٣	*	٦٠	*
أسوان	٨١	٥١	١٠٢	٥٩

جدول نسب وفيات الأطفال الرضع وفقا لسبب الوفاة ١٩٩٢١-١٩٩٥

سبب الوفاة	١٩٩٢		١٩٩٥	
	ذكور	إناث	ذكور	إناث
أمراض الإسهال	%٢٣	%٢٦	%٢٧	%٣٠
أمراض الجهاز التنفسي	%٢٩	%٣١	%٢٩	%٣١
مضاعفات الحمل والولادة	%١٢	%٩	%١٠	%٨

معدلات وفيات الأمهات بسبب الحمل والولادة:

أجرى أول بحث قومي لدراسة ظاهرة وفيات الأمهات بسبب الحمل والولادة فى مصر فى عام ١٩٩٢/ ١٩٩٣ ولكن قبل هذا البحث كانت هنلك عدة بحوث ميدانية لمحافظات بعينها وقد كان من أهمها بحوث وفيات الأمهات فى محافظات المنوفية وقنا والإسكندرية وقد قدرت وفيات الأمهات فى هذه المحافظات بما يتراوح بين ٢٥٠-٤٥٠ وفاة لكل ١٠٠,٠٠٠ مولود حى خلال العقدين الأخيرين.

ولكن على المستوى القومى أعلن البحث القومى لوفيات الأمهات لعام ١٩٩٣/٩٢ أن معدل وفيات الأمهات بسبب الحمل والولادة يبلغ ١٧٤ لكل ١٠٠,٠٠٠ مولود حى ومن الجدير بالذكر أنه ومن خلال بحث بالعينة أجرى عام ١٩٩٨ وجد أن معدل وفيات الأمهات بسبب الحمل والولادة هو حدوث النزيف حيث يؤدى بحياة ٤٠% من إجمالى وفيات الأمهات وقد أوضح البحث القومى لوفيات الأمهات ١٩٩٣/٩٢ أيضا على أن وفيات الأمهات تحدث قبل سن ٢٠ سنة وبعد سن ٣٥ عاما ومن ثم يؤكد العاملون فى مجال

تنظيم الأسرة وصحة المرأة خطر الحمل والولادة قبل سن ٢٠سنة وبعد سن ٣٥ سنة (١٩، ١٥).

ومن الجدير بالذكر أيضا أن الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء يصدر سنويا معدل الوفيات الأمهات بسبب الحمل والولادة من واقع الإحصاءات الحيوية ولكن هذا المعدل يشوبه الكثير من القصور حيث يعطى معدل يبلغ أقل من ثلث المعدل الذى يظهره البحث الميدانى ويرجع ذلك إلى خوف الأطباء من ذكر سبب وفاة الأم بسبب الحمل والولادة خشية العقاب الجنائي ومن يحاولون تسجيل الوفاة فى الغالب أنها هبوط بالدورة أو أمراض القلب.

توقع الحياة عند الميلاد:

نظرا للانخفاض المستمر فى معدلات الوفيات العامة فإن توقع الحياة عند الميلاد فى ارتفاع مستمر وقد وصل فى عام ١٩٩٨ إلى ٦٥ سنة للذكور و ٦٩ سنة للإناث وذلك طبقا لتقديرات الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء لعام ١٩٩٨.

ويلاحظ أن توقع الحياة عند الميلاد كان لا يتعدى ٥٢ سنة للذكور مقابل ٥٤ سنة للإناث فى تعداد ١٩٦٠ وارتفع إلى ٥٣ للذكور و ٥٨ للإناث فى عام ١٩٧٦ ثم ارتفع مرة أخرى ليصل إلى ٦١ للذكور و ٦٤ للإناث من واقع تعداد السكان والإسكان لعام ١٩٨٦. ثم واصل ارتفاعه ليصل إلى ٦٦،٦٣ سنة للذكور والإناث على التوالى فى عام ١٩٩١ وأخيرا ومن واقع تعداد السكان والإسكان لعام ١٩٩٦ أمكن تقدير توقع الحياة عند الميلاد ليصل إلى ٦٥ سنة للذكور مقابل ٦٩ سنة للإناث ويلاحظ من كل ما سبق أن توقع الحياة عند الميلاد للإناث دائما أعلى منه بالنسبة للذكور وهو وضع طبيعي وسائد فى كل الدول سواء المتقدمة أو النامية وذلك نظرا لأن النساء لديهن قدرة طبيعية وبيولوجية أعلى على مقاومة الأمراض هذا علاوة على

أن عبء العمل غالبا ما يكون أكثر ثقلا على الرجل ومن ثم تقل نسبة إصابة الإناث فى الأعمار المتقدمة بأمراض القلب والشرايين وهو ما يسبب ارتفـاع معدلات البقاء لهن عن الذكور فى كل دول العالم على حد سواء (١٦،١٩).

جدول توقع البقاء على قيد الحياة عند الميلاد بالسنوات حسب النوع

السنوات	ذكور	إناث
١٩٦٠	٥١,٦	٣٥,٨
١٩٧٦	٥٢,٧	٥٧,٧
١٩٨٦	٦٠,٥	٦٣,٥
١٩٩١	٦٢,٨	٦٦,٤
١٩٩٨	٦٥,١	٦٩,٠

مقياس الوفيات (٤،٨،٩) :

$$\text{معدل الوفاة الخاص (أو النوعى)} = \frac{\text{عدد الوفيات الذين لهم صفة خاصة}}{\text{جملة عدد السكان الذين لهم نفس الصفة}} \times ١٠٠٠$$

وهذا هو التعريف العام لهذا المقياس ، فيمكن أن تكون هذه الصفـــة هى فئة سن معينة أو نوع معين (ذكور أو إناث) أو لون معيـــن (بيـض زنوج) أو جنسية معينة ... الخ.

فيكمن حسابه لكل فئة من فئات العمر ويسمى فى هذا الحالة معـــدل الوفاة حسب فئات العمـــر Anual Death Rate Specicific For age وهو ذو أهمية خاصة فى دراسة تباين الوفيات كما سبق الكلام.

وفى حالة الأطفال الأقل من سنة من العمر يكون المقام هـــو عـــدد المواليد أحياء بدلا من عدد السكان.

٢- معدل وفيات الأطفال = $\frac{\text{عدد الوفيات أقل من سنة من العمر عدد المواليد موتى)}}{\text{عدد المواليد أحياء}} \times ١٠٠٠$

٣-نسبة المواليد موتى= $\frac{\text{جملة المواليـــد موتى خـــلال الســـنة}}{\text{جملة المواليد أحياء}} \times ١٠٠٠$

٤- معدل المواليد موتى = $\frac{\text{المواليد موتى}}{\text{المواليد موتى + المواليد أحياء}} \times ١٠٠٠$

٥- معدل وفيات الأطفال حديثي الولادة = $\frac{\text{الوفيات أقل من ٢٨ يوما عدا المواليد الموتى}}{\text{المواليد أحياء}} \times ١٠٠٠$

٦- معدل وفيات الطفولة المبكرة = $\frac{\text{الوفيات عمر ٢٨ يوما-١١شهر}}{\text{المواليد أحياء- الوفيات أقل من٢٨ يوما}} \times ١٠٠٠$

كما أنه يمكن حساب معدل الوفيات الخاص (أو النوعـــي) حســب أسباب الوفاة المختلفة وقد سبق الإشارة إلى أهمية استخدامه عند الكلام علـى أثر العوامل البيولوجية والاقتصادية والاجتماعية على نسب الوفيات وتعريفه كما يلي:

٧- معدل الوفيات حسب سبب الوفاة = $\frac{\text{الوفيات الناشئة من سبب معين}}{\text{عدد السكان التقديري فى منتصف السنة}} \times ١٠٠٠$

٧- معدل الوفيات بسبب الولادة = $\frac{\text{وفيات أمهات المواليد أحياء المواليد موتى}}{\text{عدد المواليد أحياء+المواليد موتى}} \times ١٠٠٠$

٧- معدل المواليد إلى الوفيات = $\frac{\text{المواليد أحياء}}{\text{جملة الوفيات (عدا المواليد موتى)}} \times ١٠٠٠$

عدد المواليد أحياء / وفيات ج.م. ع

موزعة حسب الشهور عن عام ١٩٩٧ (٢٠)

الشهور	مواليد أحياء	وفيـــات
يناير	١٨٩٣٥١	٣٧١٣٦
فبراير	١٣٨٣٠٦	٣٤١٣٧
مارس	١٤٢٩٩٢	٣٣٨٤٤
ابريل	١١٨٤١٦	٣٠٥٠٣
مايو	١٢٥١٣٨	٣١٧٩٧
يونيه	١٢٤٠٧٣	٣١٢٤١٠
يوليو	١٣٨٣٠٣	٤٣٠٦٧
أغسطس	١٤٤٩٨٧	٣٢٤١٥
سبتمبر	١٨١٠٠٥	٢٩٣٩٢
أكتوبر	٢٢٥٩٢	٣٠٢٤١
نوفمبر	١٢٨٤٨٤	٣٠١٢٢
ديسمبر	١٠١٠٤٨	٣٤٤٠٦
جملة	٢٦٥٤٦٩٥	٣٨٩٣٠١

رابعا: الكثافة السكانية:-

تشير الكثافة السكانية إلى العدد الفعلى للأشخاص الموجودين فى مكان معين. (٣٢،٣٨).

ويشير مفهوم الكثافة السكانية إلى العلاقة ما بين السكان وخاصة الأرض التى يقطنها هؤلاء السكان (٢٥،١٠).

الكثافة السكانية يقصد بها مجموع عدد السكان فى الكيلو متر المربع الواحد. ولا شك أن الكثافة السكانية تختلف من مجتمع آخر وداخل نفس المجتمع الواحد عن منطقة لأخرى حسب الظروف الاجتماعية والبيئية والطبيعية التى تتعلق بمدى توافر الموارد الغذائية أو عدم توافرها وفرص العمل المطلوبة للعنصر البشرى (٢٢،٩٨).

الكثافة السكانية على المستوى المحلى:-

وهناك حقيقة واضحة وهى أن هناك عدم تكافؤ فى توزيع السكان على المستوى العالمى. فهناك مناطق مزدحمة بالسكان وأخرى تشكو من نقص فى السكان وإذا بحثنا عن سبب هذا التوزيع غير المتكافئ لوجدنا الإجابة فى البيئة الجغرافية إذا لاشك أن استيطان الجنس البشرى يمكن أن يكون فى أى مكان. ولكنهم لا يستطيعون العيش فى جميع الأماكن بأعداد كبيرة وأن الخريطة المناخية للعالم توضح بصفة عامة أنه فى الأماكن ذات المناخ الغير مناسب للحياة وخاصة للنباتات والحيوانات يكون التركيز السكانى قليل نسبيا والعكس كما هو حادث فى المناخ الملائم والمعادن ووسائل الانتقال كلها امور تؤدى إلى تركز السكان فى منطقة معينة.

ويمكننا أن نميز بين أربعة أنماط سكانية رئيسية فى كثافة ونمـــو لسكان العالم:-

أولا: نمط الكثافة المنخفضة : والنمو المعتدل ويتمثل فى الولايات المتحـــدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي واستراليا وأقطار هذا النمط أنها لم تصــل بعد إلى مرحلة الحجم الأنسب من السكان ومعنى هذا أنـــها مـــازلت تستطيع أن تستوعب أعداد أخرى من السكان دون أن يختـــل مـــيزان التوازن ين السكان والموارد.

ثانيا: نمط الكثافة المنخفضة والنمو السريع ويتمثل ذلك فى معظم أقطـــار القارة الأفريقية وجنوب غرب أسيا وأمريكا اللاتينية ويبدو أن كثافـــة السكان فى هذه الأقطار ستأخذ فى الارتفاع التدريجي نتيجـــة للنمـــو السريع للسكان ومعنى هذا أن الزيادة الطبيعية وحدها كفيلة بأن تصـــل بهذا الإقليم إلى مرحلة أنسب عدد من السكان.

ثالثا: نمط الكثافة المرتفعة والنمو المعتدل ويتمثل فى قارة أوروبا واليابـــان وقد تخطت أقطار هذا النمط دور النمو السريع للسكان بعد أن تـــرك بصماته فى الكثافة المرتفعة ونجحت فى تحقيـــق معـــدلات مواليدهـــا وبالتالى استطاعت أن تحقق نضوجا واستقرارا سكانيا وتوازنـــا بيـــن السكان والموارد.

رابعا: نمط الكثافة المرتفعة والنمو السريع ويضم أقطار شرق وجنوب أسيا كما تنتمى مصر إلى هذا النمط ويتمثل هذا النمـــط موطـــن الخطـــر السكانى فى العالم إذ تعانى أقطاره من مشكلة التضخم التى تتمثل فـــى اختلاف التوازن بين السكان والموارد الغذائية. (٣٠،١٦٦)

الكثافة السكانية فى مصر:

لا تتمثل المشكلة السكانية فى مجرد ارتفاع معدلات النمو السكانى للسكان وإنما تتمثل فى سوء توزيع السكان وتركزهم فى شريط ضيق حول وادى النيل فى مساحة لا تتجاوز ٥.٥% من إجمالى مساحة البلاد الأمر الذى أدى إلى ارتفاع الكثافة السكانية بطريقة عالية وتفاوتها الكبير من محافظة إلى أخرى. (١٠)

والحقيقة أن هناك سوء توزيع للسكان يمكن دراسته على ثلاث مستويات.

أ- المستوى القومي:

بالرغم من أن إجمالى مساحة مصر مليون كيلو متر مربع يتركز السكان فى حوالى ٥.٥% فقط من إجمالى مساحة مصر إلى أنه حتى تعداد ١٩٨٦ كانت تمثل المساحة المأهولة بالسكان ٣,٥% فقط من إجمالى الجمهورية ولكن نظرا لمجهودات الدولة فى إعادة توزيع السكان وبناء المدن الجديدة زادت المساحة المأهولة على ٥.٥% فى تعداد ١٩٩٦. (٢١)

ب-سوء التوزيع على مستوى الأقاليم:

إن أجمالى السكان بالوجه البحرى يمثل ٤٣,٥% فإذا ما أضفنا إليه المحافظات الحضرية وهى أيضا بالوجه البحرى لوجدنا أن حوالى ٦٥% من سكان مصر يسكنون الوجه البحرى وأن نصيب الوجه القبلي ٣٥% فقط وذلك بسبب الاختلافات فى المستوى الاقتصادي والاجتماعى ونوعية الخدمات بين شمال وجنوب الوادى.

علما بأنه نظرا لمجهودات الدولة المتواصلة فى محاولة تنمية الوجه القبلى ومحاولة خلق فرص عمل بجنوب الوادى فقد تناقص زحف السكان

من الجنوب إلى الشمال وتؤكد بيانات الجدول (١) أنه بينما كـــان نصيـب المحافظات الحضرية ٢١,٤% من إجمالى السكان فـــى تعـداد ١٩٧٦ فقـد انخفضت هذه النسبة إلى ٢٠,٢% فى تعداد ١٩٨٦ ثم إلى ١٨,٦% فى تعداد ١٩٩٦.

وعلى العكس من ذلك زاد نصيب الوجه القبلي من ٤٣,٦% فى عام ١٩٧٦ إلى ٣٥,٥% فى عام ١٩٨٨ ثم إلى ٣٦,٥% فى عام ١٩٩٦.

جـ- سوء توزيع السكان على مستوى لمحافظات:

إن سكان محافظتى القاهرة والإسكندرية ١٧% من إجمالى الســكان أى حوالى ٥,١% من عدد سكان مصر يسكنون مدينتين فقط همـا القـاهرة والإسكندرية هذا بالإضافة إلى أن سكان محافظتى الدقهلية والشـرقية فقـط يشكلون حوالى ١٥% أخرى من سكان مصر.

وعلى النقيض من ذلك نلاحظ أن لأغلب محافظات الوجـــه القبلـى ماعدا الجيزة لا تمثل نسبة السكان بكل محافظة إلى إجمالى الجمهورية أكـثر من ٥% بل تنخفض هذه النسبة إلى ١,٦% فقط فى أسوان.

ويشير جدول(٢) إلى الكثافة السكانية على مستوى المحافظات وكمـا هو متوقع يشير الجدول إلى أن أكثر المحافظات كثافة بالسكان هى محافظـة القاهرة تليها الإسكندرية ثم بورسعيد ثم السويس فى حين أن أقل المحافظـات كثافة بالسكان هى محافظة الإسماعيلية وكفر الشيخ.

جدول(١) تطور النسبة المئوية لتوزيع السكان وترتيب المحافظة فى تعداد السكان ٧٦، ٨٦، ١٩٩٦ (٢٠)

المحافظة	١٩٧٦		١٩٨٦		١٩٩٦	
	النسب	الترتيب	النسب	الترتيب	النسب	الترتيب
القاهرة	١٣,٩	١	١٢,٦	١	١١,٥	١
الإسكندرية	٦,٣	٦	٦,١	٦	٥,٦	٧
بورسعيد	٠,٧	٢٠	٠,٨	٢٠	٠,٨	٢٠
السويس	٠,٥	٢٢	٠,٧	٢١	٠,٧	٢١
جملة المحافظات الحضرية	٢١,٤		٢٠,٢		١٨,٦	
دمياط	١,٦	١٨	١,٥	١٨	١,٥	١٨
الدقهلية	٧,٥	٢	٧,٢	٣	٧,١	٤
الشرقية	٧,٢	٣	٧,١	٤	٧,٢	٣
القليوبية	٤,٦	١٣	٥,٢	٩	٥,٦	٩
كفر الشيخ	٣,٨	١٤	٣,٨	١٤	٣,٨	١٤
الغربية	٦,٣	٧	٦,٠	٧	٥,٧	٦
المنوفية	٤,٧	١٠	٤,٦	١٢	٤,٧	١٢
البحيرة	٦,٧	٤	٦,٧	٥	٦,٧	٥
الإسماعيلية	١,٠	١٩	١.١	١٩	١,٢	١٩
جملة وجه بحرى	٤٣,٣		٤٣,٢		٤٣,٥	
الجيزة	٦.٦	٥	٧.٧	٢	٨,١	٢
بنى سويف	٣,٠	١٦	٣,٠	١٦	٣,١	١٦
الفيوم	٣,١	١٥	٣,٢	١٥	٣,٤	١٥
المنيا	٥,٦	٨	٥.٥	٨	٥,٦	٨
أسيوط	٤,٦	١٢	٤,٦	١٣	٤,٧	١١
سوهاج	٥,٣	٩	٥,١	١٠	٥,٣	١٠
قنا	٤,٧	١١	٤,٧	١١	٤,٧	١٣
جملة محافظات الوجه القبلي	٣٤,٦		٣٥,٥		٣٦,٥	
	٢٦-٢٢	٠,٧	٢٢-٢٦	١,٢	١,٤	٢٢-٢٦

جدول (٢) الكثافة تبعا للمحافظات المختلفة فى السنوات الموضحة

(ألف كيلو متر مربع) (٢٠)

المحافظة / السنة	١٩٣٧	١٩٦٠	١٩٨٦	١٩٨٨	١٩٩٦	١٩٩٨
القاهرة	٧٩٥٧	١٥٦٣٤	٢٨٢٥٨	٢٩٠٨٥	٣١٦٩٧	١٢٧٨٠
الإسكندرية	٩٤,٧	٥٢٣٧	١٠٨٩	١١٣٣	١٠٥٨٧	١٠٨٠٩
بورسعيد	١٥٣٩	٦١٧	٥٥٤٥	٥٧٥٦	٦٥١٥	٦٦٧٤
السويس	١٠٦٢	٦٦٢	١٨	١٩	١٣٦١	١٣٩١
دمياط	٧٥٣٥	٦٤٨	١٢٥٨	١٣٢٠	١٥٥٢	١٥٨٤
الدقهلية	٤٦٣	٥٨٢	١٠٠٩	١٠٦١	١٢١٧	١٢٤٢
الشرقية	٢٢٢	٣٨٧	٨١٨	٨٥٩	١٠٢٦	١٠٤٩
القليوبية	٦٥٠	١٠٤٧	٢٥١١	٢٦٤٠	٣٢٩٩	٣٣٦٩
كفر الشيخ	-	٢٧٩	٥٢٤	٥٥٤	٣٤٧	٦٢٢
الغربية	٢٨٠	٨٦٠	١٤٧٨	١٥٤٧	١٧٥٣	١٧٨٦
المنوفية	٧٢٨	٨٩٠	١٤٥٤	١٥٢٥	١٨٠٠	١٨٤٣
البحيرة	٢٣٦	٣٦٧	٣٢٢	٣٣٩	٨٦٧	٨٩١
الإسماعيلية	-	٣٤٨	٣٧٨	٣٩٨	٤٩٦	١١٢١
الجيزة	٦٧٥	١٢٢٨	٣٦٦٥	٣٣٦٠	٤٥١٧	٤٦٢٣
الفيوم	٥١٤	٦٥٥	١٠٩٢	١١٥٤	١٤٠١	-
بني سويف	٣٤٢	٤٦٨	٨٤٥	٩٠٤	١٠٨٩	١٤٤٩
المنيا	٤٦٧	٦٨٦	١١٧١	١٢٤٤	١٤٦٣	١٥٠٧
أسيوط	٥٩٣	٨٥٦	١٤٣١	١٥٢٠	١٨٠٤	١٨٥٨
سوهاج	٧٢٦	١٠٢٥	١٥٨٧	١٦٥٩	٢٠١٩	٢٠٧٩
قنا	٥٦٩	٧٤٦	١٢١٧	١٣٠١	١٥١٤	١٣٥٦
أسوان	٣٦٥	٤٣٧	١١٨١	١٢٧٦	١٤٣٥	١٤٦٤
الجملة	٤٦٦	٧٢٣	٩١٧	٩٤٦	٩٦٣	١٧٠٩

ويشكل التوزيع السكاني بعدا هاما وأساسيا من أبعاد التركيب السكاني في المجتمع المصري.

ونلاحظ من توزيع السكان أن هناك خلل واضح فى توزيع السكان وتركزهم وكثافتهم عبر المناطق والقطاعات البنائية للمجتمع المصرى ولعل مظاهر الخلل هو تركيز ٩٩% من السكان فى ٥.٥ من المساحة الكلية للمجتمع المصرى.

وتقاس الكثافة السكانية بعدد الأشخاص الموجودين فى كل كيلو متر مربع أى خلال قسمة عدد السكان على مساحة الأرض. (١٠)

ويمكن أن نميز هنا بين الكثافة السكانية والازدحام فيما يلي:

- تشير الكثافة السكانية كما سبق القول إلى العدد الفعلى للأشخاص الموجودين فى مكان معين أما الازدحام فيشير إلى الخبرة الذاتية للشعور بالضيق وعدم وجود مكان.

- والكثافة قد تكون سلبية أو إيجابية ولكن الازدحام دائما سلبيا، وأكثر من ذلك أن الشعور بالازدحام ممكن أن يحدث دون اعتبار لمساحة المكان المناخ فمن المرجح أن نشعر بالاستثار والقلق حينما نتواجد فى أماكن مزدحمة إلا أنه يحدث فى بعض الأحيان بالشعور بالازدحام حتى فى ظل وجود أماكن منسقة حولنا.

- والازدحام هو أحد أشكال الضغوط النفسية التى تصاحب الكثافة السكانية المرتفعة أو الحالة السيكولوجية للشعور بالضيق والضغوط النفسية والتى ترتبط بالرغبة فى التواجد فى أماكن أكثر اتساعا مما هو متاح.

- الكثافة السكانية المرتفعة تزيد من شدة الاستجابات المعتادة للمواقف الاجتماعية ، كما أنها تؤدى إلى شعور الأفراد بالضغط أو العجز.

- قد تعوق الكثافة السكانية المرتفعة الأشخاص على المحافظة على درجة مقبولة من الخصوصية.

- وكذلك قد تؤدى إلى مشكلات فى تحقيق التآزر بين مختلف الأنشطة التى يقوم بها الأشخاص، فتداخل الأنشطة الخاصة بالأفراد مع بعضها البعض مما يؤدى إلى الشعور بالإحباط والغضب ، هذا بالإضافة إلى أن الكثافة السكانية المرتفعة ينجم عنها مشكلات صحية منها الأمراض المعدية، فما تزال الأمراض التى تنتقل بالعدوى مسئولة عن ارتفاع معدل المرض والوفيات فى الأماكن التى يتوافر فيها الفقر وانخفاض مستوى التعليم وانخفاض مستوى النظافة والشروط المواتية لانتقال وتفشى الكائنات العضوية المسببة للمرض ويؤدى تكرار وطول أسلوب الاتصال المباشر بين الأشخاص إلى نقل الأمراض المعدية. (٢٢، ٣٥،٣٦)

خامسا: الهجرة:*

تحظى دراسة الهجرة باهتمام كبير نظرا لأثارها الواضحة على التنمية وعلى الكيان الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والديموجرافي في المجتمع (٢٣: ١٩١).

وتعتبر الهجرة أحد المكونات الرئيسية التي يجب أن تؤخذ في الاعتبار ونحن بصدد دراسة السكان.

فهي أهم ثلاثة عناصر بالنسبة لحركة السكان، والعنصرين الآخرين هما المواليد والوفيات (٢٤: ١).

وتعتبر دراسة ظاهرة الهجرة من الموضوعات الأساسية التي نالت اهتماما كبيرا من المسئولين والمخططين والمختصين والمهتمين بهذا الجانب، حيث تؤثر تأثير مباشر على المجتمع وعلى التنمية فيه، كما تمثل هذه الظاهرة أهمية بالغة نظرا لكبر عدد المهاجرين في الداخل خاصة من الريف إلى الحضر وأيضا حجم المهاجرين المصريين إلى الخارج سواء في شكل هجرة دائمة أو مؤقتة وسواء كان هؤلاء المهاجرين من ذوي الكفاءات العلمية أو من المهاجرين العاديين وما يتوقع لذلك من نتائج لها آثارها المحتملة على المجتمع المصرى وخاصة فيما يتعلق بقضايا التنمية والتقدم فيه. (٢٣: ٢١١)

ومن الظواهر الاجتماعية الهامة التي نلاحظها في الدول النامية في الوقت الحاضر تلك الهجرات الداخلية المستمرة من المزارع والقرى إلى المدن والمراكز الصناعية، ولاشك أن هذه الهجرات تتخذ أنماطا مختلفة وتسعى وراء غايات متباينة، وإن كانت أغلب الهجرات من أجل البحث عن فرص عمل وكسب الرزق بعد أن ضاق المجتمع الريفي بأهله ... وعلى

---

* إعداد د. عاطف مصطفى مكاوى.

الرغم من اختلاف الدول النامية فى العوامل التى تدفع بالناس للهجرة إلـــى المدن فإن من الظواهر العامة التى تلاحظ فى هذه الدول هى تلك العوائـــق التى تحول دون تكامل المهاجرين مع حياة المدينة نتيجة لعوامل عدة منـــها: انخفاض المستوى التعليمي وندرة المهارات الفنية، وعدم الاعتماد على نمـط العمل الصناعي، ومواجهة التجربة الأولى للاستقلال الذاتى بعيدا عن الأسرة التقليدية الكبيرة، والتى نشأ فيها الفرد ونعم بالأمن والطمأنينة فـــى كنفـها. (٢٥: ٥٣١).

مفاهيم الهجرة:

أ- المعنى اللغوى للهجرة:

جاءت كلمة (هجرة) بوجه عام فى اللغة العربية من (الهجر) ضــد الوصل ومنها (التهاجر) يعنى التقاطع. (٦٩،٢٦).

ب- الهجرة فى قاموس علم الاجتماع:

- يعرفها د. محمد عاطف غيث بأنها " زحف أفراد أو جماعات تاركـة موطنها الأصلى نحو موطن آخر تجعل منه مكانا جديدا للإقامة الدائمـة، وتعتبر الهجرة الخارجية هجرة دولية لأنها تقوم على هجرة من دولة إلى أخرى. (٢٧، ٢٣٧).

- ويعرفها فيرتشليد Fairchild فى قاموسه لعلم الاجتماع بأنها " انتقال الأفراد من مكان لآخر بطريقة إرادية أو إجبارية وأن من أهم صفاتـــها أنها تكون مقصودة وذات غرض واضح. (٢٨، ١٩٣)

حـ- مفاهيم أخرى للهجرة:

- يشير لورى نيلسون Lowery Nelson إلى أن الهجرة تشمل التغيير الدائم فى محل الإقامة من قطر إلى آخر ، أو جماعة إلى أخرى وأنـــها حركة إرادية للمهاجرين. (٢٩/١٢٢-١٢٣).

- وينظر البعض إلى الهجرة باعتبارها : تنقل الناس عبر حدود معينـــة لغرض الإقامة الجديدة الدائمة فيها، وتنقسم إلى هجـــرة خارجيـــة (أو الهجرة بين الدول) وهجرة داخلية من مكان إلى آخر داخل الدولة.

- ويركز البعض على شكل من أشكال الهجرة ألا وهو هجرة العقـــول ويعرف هذا النوع من الهجرة بأنه " نزوح قدر كبير من أفراد الســـكان من المهنيين الذين حصلوا على مستوى مرتفع من المهارة وفى العـــادة يتجهون إلى دول تتيح لهم فرص اقتصادية واجتماعية أفضل (٣٠: ٢١)

د- مفهوم الهجرة وفقا لمحكات وأبعاد أساسية:

يفسر البعض الهجرة وفقا لمحكات وأبعاد خمســـة وهـــى (المحـــك السيكولوجي ــ المحك الزمني ــ المحك العددي ــ المحك السياسي ــ محـك الإقامة النهائية) وسوف نستعرض هذه المحكات بشئ من التفصيل:

١- المحك السيكولوجي:

ويتمثل فى الحالة التى يتخذ فيها المهاجر قراره بالانتقال من مكـــان لآخر، ويكوّن هذا القرار إراديا تبعا لرغبته وباختياره أو يكون قسرا عنـــه، هذا وقد يكون الإجبار خارجيا أما نتيجة حرب أو غزو أو احتلال مســـتعمر وطرد وتفرقة عنصرية أو اضطهاد، وقد يكون الإجبار داخليا فيكون قـــرار الفرد بالهجرة ناجما عن أحوال داخلية غير مواتية وغير مرضيـــة كســـوء الأحوال المعيشية أو الشعور بالإحباط والفشل ... وتعتبر الهجرة اختياريـــة

إذا اتخذ المواطن قرار انتقاله باختياره ودون إجبار أيا كان ... وتعتبر قسرية إذا أجبر الفرد على تنفيذها قسرا عنه وكان مضطرا لذلك.

٢- المحك الزمني:

ويشمل عنصرين أساسيين أولهما خاص بالفترة الزمنية التى تتم فيها الهجرة كانتقال الفرد فى فصل معين من السنة أو شهور فيها أو يوم محدد فى الأسبوع ، ومثال ذلك الهجرة الموسمية (الفصلية) أو الهجرة اليومية أما العنصر الثانى فهو خاص بالمدة التى يقضيها المهاجر فى هجرته سواء كانت لعدة أيام أو شهور أو سنوات طويلة. بل قد تكون غير محددة بأجل معين.

٣- المحك العددي:

ويتمثل فى عدد الأفراد القائمين بها، وما إذا كانوا يهاجرون بصورة فردية أو فى شكل جماعات متعددة أو منطقة بأسرها.

٤- المحك السياسي:

إذا كانت الهجرة للفرد داخل بلدة ومن مكان لآخر اعتبرت هجرة داخلية، أما إذا تخطى المهاجر الحدود السياسية للدولة فإنها تكون هجرة خارجية.

٥- محك الإقامة النهائية:

فإذا عاد المهاجر بعد فترة زمنية قصرت أو طالت فإننا نكون بصدد هجرة مؤقتة، أما إذا استقر المهاجر فى موطنه الجديد ولم يعد مرة أخرى للموطن الأصلى فيطلق على هذا النوع مفهوم الهجرة الدائمة. (٢٣، ١٩٦).

مقاييس هجرة السكان:

يقصد بقياس الهجرة معرفة التغيرات الخارجية الطارئة فـــى عـــدد السكان والحاصلة من قدوم أناس إلى قطر من الأقطـــار وتوطنـــهم فيـــه أو نزوحهم عنه. (٣١،٦٠).

معدل صافة الهجرة: لحساب صافة الهجرة بشكل عام إذا ما توفـوت لدينا سجلات منتظمة عن الهجرة داخل الدولة والهجرة إلى خارجـــها فإنـــه يمكن أن نصل إلى معدل صافى الهجرة من المعادلة التالية

معدل صافة الهجرة = (عدد المهاجرين للداخل-عدد المهاجرين للخارج خلال عام ÷ عدد السكان فى منتصف العام) ×١٠٠٠

وهذا المعدل قد يكون موجبا إذا زاد عدد المهاجرين إلى داخل البـلاد عن عدد المهاجرين إلى خارج البلاد، وقد يكون سالبا إذا حـــدث العكـس، وسواء كان المعدل المشار إليه موجبا أو سالبا فإنه يجمع هذا المعدل علـــى معدل الزيادة الطبيعية (الذى قد يكون الآخر سالبا) فنحصل فى النهاية علـى معدل الزيادة أو معدل النقص السنوى فى السكان. فلو نظرنا مثلا إلى عـــدد سكان بلد ما سنة ١٩٦٠ كنتيجة إلى عدد سكان هذا البلد سنة ١٩٥٠ مضافـا إليه عدد المواليد خلال فترة العشر سنوات ومطروحا منه عـــدد الوفيـات ، ومطروحا منه أو مضافا عليه عدد المهاجرين نستطيع أن نصل إلى معـــدل الزيادة أو النقص بالنسبة لسكان هذا البلد. (٣٢،٩٤).

أنواع الهجرة:

إذا كنا قد أشرنا من قبل إلى أن الهجرة تعنى انتقال الفرد من مكـــان إلى مكان آخر بهدف معين فإننا نلاحظ أن للـــهجرة نوعـــان أساســيان أو مظهران أساسيان:-

أ- هجرة داخلية فى حدود الوطن الواحد (من الريف إلى الحضر أو العكس).

ب- خارجية أى من وطن إلى آخر خارج الحدود السياسية ، وتنطوى الهجرة الخارجية على ثلاثة مظاهر:

١-هجرة مؤقتة لآجل محدد ، ويكون فى تقدير المهاجر العودة إلى وطنه.

٢-هجرة موسمية ويقوم بها المهاجرين فى مواسم معينة.

٣-هجرة دائمة ويكون هدفها الاستيطان النهائي فى بلد المهجر هذا ومن المتعذر إقامة حدود فاصلة بين هذه الأنواع فقد يحدث أن يعود المهاجر إلى وطنه الأصلى، وقد كان فى نيته عدم العودة إليه لأن التوفيق لم يحالفه، وقد يقيم المهاجر فى البلد الغريب نهائيا ويتكيف مع أهله، فى حين أنه كان يعتزم العودة إلى بلده الأصلى وذلك لأنه أطمئن فى حياته الجديدة وأصاب من التوفيق ما شجعه على الإقامة بها. ويجب التأكد على أن الهجرة حق قانونى أقرته القوانين للفرد بصفته حرا كريما وفى ذلك يقول G.Scales أن الإنسان قد ولد حرا دون قيود فلا ينبغى أن توضع أمامه العقبات والعراقيل التى تحول دون تحركه وانتقاله من مكان إلى آخر لا داخل حدود دولته فحسب بل خارج هذه الحدود كذلك. (٢٣، ١٩١،١٩٢).

*** ويقسم البعض الهجرة إلى الأنواع التالية:**

أ- الهجرة الداخلية:

ويقصد بها التحركات السكانية التى تحدث داخل حدود الدولة.

ب الهجرة الخارجية:

فتتم باجتياز حدود المنطقة أو الإقليم فإذا كانت المنطقة دولة أخـــرى ذات سيادة سميت الهجرة الخارجية " هجرة دولية".

ج- الهجرة الاختيارية :تقوم على أساس أنها تتم باختيار المهاجر ورغبته فإذا آب إلى وطنه الأصلى بعد غياب طال أو قصر مداه دعى رجوعه هجرة الإياب.

د- الهجرة الجبرية:

تتمثل حين تجبر السلطات بعض الأفراد على النزوح ويدخل فيـــها الطرد الذى قد يصيب فردا أو جماعة حيث يترك المطـــرودون البلـــد دون هدف للذهاب إلى مكان مقصود يؤمونه كما يدخل فيها الإخلاء حين تجـــبر الدولة سكان منطقة معينة على تركها خشية مصيبة أو كارثة كـــالزلزال أو الحرب وما شابه ذلك فقد تعمد السلطات فترجع المهاجرين إلى أوطانهم وتلك هى الإعادة للوطن كما تحدث عند تبادل الدولة لبعض فئات السكان أو عنـــد تعديل الثغور.

هـ- الهجرة الأولية:

ويقصد بها التوطن فى جهات غير مأهولة بالسكان.

و- الهجرة الثانوية :

ويقصد بها الإقامة بين المواطنين فى الدول الجاذبة للهجرة والاندماج فيهم والتكيف لوسائل معيشتهم وقد تتميز الهجرة الثانوية أحيانا بشئ من العنف لمحاولتها إفساح مكان لها قد يكون على حساب غيرها. (٣٣،٢٧-٣٠).

ويصنف البعض الأنماط المختلفة للهجرة فيعتبر أفضل نموذج معروف هو التنميط الذى صاغه منذ عدة سنوات " فير تشايلد" إذ صنف الهجرة إلى هجرة غازية ثم هجرة الفتوحات ثم الاستعمار ثم الهجرة الوافدة واستخدم " فير تشايلد " فى هذا التصنيف معيارين أساسيين هما:

- الفرق بين مستوى الثقافة.
- إذا ما كانت هذه الهجرة تتم فى سلام وليست من قبيل العدوان وبصرف النظر عن تنميط " فير تشايلد" يمكن فى إطار دراسة ظاهرة الهجرة أن نلمس أنماطا مختلفة منها تصنيف هذه الأنماط من زوايا متعددة.

فمن حيث النطاق الجغرافى والإقليمي يمكن تقسيم الهجرات إلى هجرات خارجية وداخلية كما يمكن تصنيف الهجرات إلى هجرات إجبارية واختيارية ويمكن تقسيم الهجرات أيضا إلى هجرات عامة كبيرة وهجرات فردية ... ويركز العديد من الباحثين على الهجرة الخارجية ويعرفونها بأنها " انتقال الأفراد من دولة إلى أخرى بهدف تغيير إقامتهم بصفة مؤقتة أو دائمة من الدولة الأولى إلى الدولة الأخرى ويفرقون بين الهجرة الدولية "الخارجية" والهجرة الداخلية من عدة نواح منها انها أكثر تكلفة من الهجرة الداخلية بالإضافة إلى أن مشكلات التكيف تكون صعبة ومعقدة فى حالة الهجرة

الخارجية وتختلف الهجرة الداخلية عن الهجرة الخارجية أيضا فيما يتعلق بالمسافة فغالبا ما تكون إلى مسافات بعيدة والعكس فى الهجرات الداخلية.

وتعتبر الهجرة الدولية " الخارجية" أشد خضوعا لتنظيم الدول بمقتضى القوانين التى تصدرها للتحكم فى حجم الهجرة سواء كانت للداخل أم للخارج (٣٤، ٨١-٨٣).

نظريات الهجرة:

لقد تعددت وجهات نظر العلماء فيما أسموه بنظريات وقوانين الهجرة والتى تعتبر أهمها وأقدمها هو ما قدمه رافنشتين E.G. Ravenstien فى أول محاولة تمت لتعريف نظرية الهجرة وجوانبها المختلفة وذلك فى مقاليه عام ١٨٨٥،١٨٨٩ عن قوانين الهجرة ، ولقد تعرضت نظرية رافنشتين عن الهجرة للكثير من الجدل والنقاش ولقد تعرض رافنشتين إلى عدد من الجوانب التى تحكم ظاهرة الهجرة يتمثل أهمها فيما يلي:

١-أن هناك علاقة بين الهجرة والمسافة حيث ينتقل الحجم الأكبر من المهاجرين دائما لمسافات قصيرة، ويقل عددهم كلما زادت المسافة وأن المهاجرين يتجهون غالبا إلى أحد المراكز التجارية والصناعية.

٢-أن الهجرة تتم على مراحل وتحدث بناء على إزاحة للسكان الأصليين ، وتبدأ من حدود المدن وحولها فتحدث عمليات امتصاص تدريجي للداخل.

٣-أن الإناث أكثر هجرة فى المسافات القصيرة.

٤-تزداد الهجرة بتقدم وزيادة وسائل الاتصال وبتقدم وازدهار التجارة والصناعة.

٥-أن العامل الاقتصادي هو دافع أساسي للهجرة.

*** أما زيبف G. Zipf. فقد ذكر أن تيارات الهجرة تختلف باختلاف ظروف المناطق المختلفة . فيتوقف شدة تيار الهجرة على عدد سكان كل من المكان الأصلى والمكان المستقبل، كما يتوقف على فرص العمل من الوظائف المتاحة فى مكان الجذب، أى أن تيار الهجرة يتناسب طرديا مع عدد السكان بالمكان الأصلى ومع الفرص المتاحة فى المكان المستقبل فى حيث يتناسب عكسيا مع عدد سكان هذا المكان الجديد.

** وأضاف " فيبر " فى كتابه عن حركة المدن ونموها فى القرن ١٩ إلى أن مدى الهجرة يطول أو يقصر تبعا لأهمية منطقة الجذب، فحجم الهجرة يتناسب طرديا مع أهمية منطقة الوصول وعكسيا مع أهمية المنطقة الأصلية، مع مسافة الهجرة بين منطقتي الطرد والجذب، وأشار إلى أن تيار الهجرة يتجه بوجه عام نحو المدينة.

**وفى عام ١٩٤٠ عرض ستوفر Stouffer نظريته عن الهجرة فيما أسماه بالفرص المتداخلة، ويعنى بها الفرص المتمثلة فى عدد المساكن المتوفرة، وعدد الوظائف الشاغرة وأماكن التعليم وغيرها التى تكون عاملا دافعا للهجرة تزيد من عوامل الجذب إليه وأن التنافس يزداد بين المهاجرين عندما تقبل هذه الفرص.

** أما سميث فلم يصغ قوانين ثابتة للهجرة كما عمل غيره من العلماء ألا أنه قدم بعض التعميمات، تتلخص فى أن عملية الجذب يتبعها جذب آخر، من منطقة مجاورة، وأن لكل تيار هجرة تيار آخر مضاد يقابله ويساويه ، فعملية الطرد دائما قصيرة إلا أن المهاجرين الذين يشقون طريقهم لمسافات طويلة تجذبهم المراكز التجارية والصناعية المتقدمة مباشرة.

** ومن النظريات التى احتلت مكانا بارزا فى تفسير الهجرة نظرية الطرد والجذب وعلاقتها بالانتخاب التى قدمها دونالد بوج Donald Bogue عام ١٩٦١ مشيرا إلى ما يلي:

١-أن هناك مراحل متعاقبة فى تطور الهجرات تبدأ بالانتقال ثم الاستقرار وثبات فى المكان الجديد، وتزيد فى المرحلة الأولى نسبة الرجال المهاجرين عن النساء، كما تعتمد الهجرة على البالغين، متوسطى العمر من غير المتزوجين.

٢-تكون هناك عملية انتخاب للمهاجرين إذا كان عامل الجذب قويا فى منطقة الوصول.

٣-تفقد المناطق الأصلية متعلميها بينما تجتذبهم مناطق النمو الاقتصادي والصناعي.

٤-إذا زاد تيار الهجرة فى اتجاه واحد فإن عملية الاختيار تزداد بالتبعية.

** أما أيفرت س. لى Everett S. Lee فقد رأت أن هناك أربعة عناصر تتداخل فى قرار الهجرة وفى مجرياتها وهي:-

أ- أن شدة تيار الهجرة يتناسب عكسيا مع طول مسافتها.

ب- كلما كانت معلومات المهاجر أكثر وضوحا عن جهة المهجر كلما كان الدافع على الهجرة أقوى.

ج- كلما زادت الصعوبات المحيطة بالهجرة كلما ضعف تيارها.

د- تتوقف درجة شدة الهجرة على ظروف المهاجر الشخصية.

نقد النظريات السابقة:

يقتضى التحليل العلمي تبيان الجوانب الإيجابية والجوانب السلبية فى النظريات السابق الإشارة إليها:

(١)أن الأسباب الاقتصادية هى أكثر العوامل دفعا للمهاجرين للإقدام على الهجرة.

(٢)أن المسافة بين الموطن الأصلى والمكان المستقبل تؤثر على ظاهرة الهجرة.

(٣)تجتذب المراكز الصناعية والتجارية المهاجرين إليها.

(٤)تحدث الهجرة على مراحل بأن يحل مهاجرون محل المهاجرين القدامى من المناطق المجاورة الطاردة هى الأخرى.

(٥)تزداد الهجرة بتقدم وسائل الانتقال والاتصال وبازدهار الصناعة والتجارة.

(٦)يتناسب شدة تيار الهجرة طرديا مع توفر الفرص المتاحة فى جهة الاستقبال والتى تمثل عاملا جذبا للمهاجرين، كما تتناسب عكسيا مع الظروف الملائمة فى المجتمع الأصلي.

أما العوامل التى لا تتمشى مع المنطق ولم تثبت معظم الدراسات التطبيقية صحتها فهي:

(١)أن كل تيار رئيسي للهجرة ينتج عنه تيار آخر مساو له فى المقدار ومضاد له فى الاتجاه ، فهناك شواهد كثيرة فى هذا الموضوع تخالفه ولا تؤكده.

(٢)أن الإناث أكثر إقداما على الهجرة من الذكور حتى ولو إلى المسافات القصيرة وهو أمر مخالف للمنطق والعرف والتقاليد.

(٣)أما ما ذكر من أن سكان المدن الأصلية هم أقل إقبالا على الهجرة من سكان الريف، وأن صغار السن غير المتزوجين هم أكثر إقداما عليها فإن ذلك يتوقف على ظروف كل منهم وطبيعة كل هجرة على حدة كما يتوقف على خصائص المهاجرين ذاتها. (٢٣،١٩٨-٢٠٣).

عوامل الهجرة:

يرى البعض أن الهجرة ترجع فى المقام الأول إلى عاملين رئيسيين: هما عامل الطرد وعامل الجذب ولأهمية هذين العاملين نوليهما قدرا من التفصيل.

أولا: عوامل الطرد:

وتتمثل عوامل الطرد فى ظروف البلاد المرسلة للمهاجرين من الناحية الجغرافية والاقتصادية والسياسية والديموجرافية، بحيث كانت هجرة الصينيين الخارجية إلى جنوب شرق أسيا ترجع إلى الظروف الاقتصادية لبلادهم المتمثلة فى زيادة عدد السكان وانخفاض مستوى المعيشة وحدوث المجاعات مما جعلهم يتركون بلادهم إلى مجتمعات تبعد فى المسافة كثيرا عن موطنهم.

وكانت هجرة الأوروبيين إلى العالم الجديد (الولايات المتحدة الأمريكية) ترجع إلى الظروف الديموجرافية والجغرافية بحيث كانت زيادة السكان فى أوروبا وضآلة مساحة الأرض من الظروف التى أدت إلى هذه الهجرة كما تتمثل عوامل الطرد فى الهجرة الداخلية فى ظروف البلاد المرسلة للمهاجرين الاجتماعية والاقتصادية والديموجرافية والسياسية إذ أدى القرب فى الموقع الجغرافى بين محافظة القاهرة ومحافظة المنوفية من ناحية

ومحافظة الإسكندرية ومحافظة البحيرة من ناحية أخرى إلى زيـــادة نسـبة المهاجرين من سكان المنوفية والقاصدين القاهرة وزيادة نسبة المهاجرين من سكان البحيرة والقاصدين الإسكندرية فى هجرتهم الداخلية كما أدت الظروف الاقتصادية للمناطق الريفية إلى طرد السكان منها إلى مناطق أخـــرى فـــى الغالب المناطق الحضرية والصناعية. كما أدت الزيادة الطبيعية من المواليـد فى الريف إلى زيادة معدلات الـــزواج ومـــن ثـــم زيــادة الســكان زيــادة المهاجرين.. كما أن الظروف السياسية المميزة للبلاد المرســلة للمــهاجرين مثل ما حدث فى أندونيسيا واليابان وحدث أثناء حرب أكتوبر وإخلاء مناطق القناة من بين الظروف التى ادت إلى طرد السكان وهجرتـــهم داخليـــا إلـــى مناطق أخرى.

ثانيا: عوامل الجذب:

وتنحصر عوامل الجذب للمهاجرين الدوليين فـــى ظـروف البــلاد المستقبلة لهم من الناحية الاجتماعية والديموجرافية والاقتصادية والسياســـية أيضا إذ أدت عوامل الجذب الجغرافية فى الولايات المتحدة الأمريكيـــة مـــن حيث مساحة الأرض الواسعة وخصوبتها وثرواتها التعدينية إلى أن يغـــادر الأوروبيين قارتهم إلى الأمريكتين رغم أن مستوى المعيشة فى بلادهـــم لـــم يكن منخفضا بدرجة تدفعهم إلى الهجرة كما أدت عوامل الجذب الاقتصاديـــة ووفرة الغذاء فى أمريكا إلى هجرة الإيرلنديين إليها. كما أدت عوامل الجـذب السياسية وإمكانية الحصول على حق اللجوء السياسي بالألمان إلـــى تـــرك بلادهم إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

وتنحصر عوامل الجذب للمهاجرين داخليا من منطقة لأخـــرى فـــى ظروف البلاد المستقبلة لهم من الناحية الجغرافية والديموجرافية والاقتصادية والسياسية أيضا. إذ أدت عوامل الجذب الجغرافية والمناخ الأكثر ملائمـــة أن تحظى الولايات المتحدة الأمريكية مثل فلوريدا وكاليفورنيا بمعدل عالى مـــن الهجرة الداخلية من مناطق وولايات أخرى إلى هاتين الولايتين الأمريكتيـــن.

وتدفع عوامل الجذب الاقتصادي فى أحد المناطق مثل توفر مشروعات العمل وفرص العمل والدخل المرتفعة والتعليم والسكن الملائم إلى الهجرة الداخلية إليها من مناطق أخرى، وكانت الهجرة بسبب الحصول على فرصة عمل تتمثل فى أكبر نسبة من المهاجرين من الريف إلى الحضر فى مصر.

وتدفع عوامل الجذب السياسي فى أحد المناطق مثل الاضطهاد أو التفرقة العنصرية إلى هجرة الزنوج فى أمريكا من الجنوب إلى الشمال حيث يقل الاضطهاد والتفرقة العنصرية فى الشمال عنه فى الجنوب. (٣٥، ٣٠٠-٣٠٣).

وقد أشار الدكتور مصطفى الخشاب فى كتاب " دراسة المجتمع" إلى بعض الأسباب والدوافع التى تدفع الفرد إلى الهجرة من بلده إلى أخرى ومن هذه الأسباب:

١-سوء حالة المهاجر فى وطنه.

٢-رغبته فى تحسين مستواه الاقتصادي.

٣-رغبته فى تحسين أحواله المعيشية.

٤-حب المغامرة الذى يتميز به كثير من الأفراد حيث يحاولون دائما البحث عن الجديد.

٥-الرغبة فى الترقى والثراء. (٢٣،٣٦).

- **ويرجع معظم الكتاب الهجرة إلى عاملين رئيسيين:**

<u>(أ) مجموعة العوامل الاقتصادية</u>

وتظهر الهجرة المتأثرة بعوامل اقتصادية عندما تحدث ضغوط ديموجرافية فى بلد ما ويقابلها استعداد بلد آخر لاستقبال سكان وتتحدد نسب

المهاجرين وفقاً لمتطلبات التنمية فى البلد الجديد التى يكون الموارد البشـــرية فيها غير كافية للوفاء بمتطلبات التنمية وعملياتها فيها.

وتلعب الحدود الدولية والقومية دوراً هاماً فى تحديد الـــهجرة ففـــى بعض الأحيان تؤدى الظروف الاقتصادية الضاغطة إلى أن تصبـــح حيـــاة الناس غير محتملة وهذا يتطلب هجرة معينة من المكان وهناك جانبان يجـب أخذهما فى الاعتبار هما الظروف الاقتصادية والاجتماعية للبلاد المصـــدرة للمهاجرين واحتياجات العمالة فى الدولة المستقبلة للمهاجرين وتتكيف ظاهرة الهجرة وتتأثر بهذين الموقفين.

وتعد طبيعة المتطلبات للبلد المستقبل للمهاجرين من أهم المتغيـرات الهامة فى عملية الهجرة.

وهناك حاجة ملحة لأن نكرر أن الهجرة الاقتصادية لا تحـــدث دون الاحتياج للقوى البشرية ثم موافقة الأيدى العاملة على الهجرة وهو ما يـــأتى بعد إعلان الاحتياج للقوى البشرية. واستصدار تصريحات الدخول بالنســـبة للمهاجرين.

وكما ذكرنا من قبل نؤكد مرة أخرى أن العوامل الاقتصادية كـــانت لها الأهمية الأولي فى تحريك كثيراً من الهجرات.

(ب) مجموعة العوامل السياسية:

هناك نوع من الهجرات تمليه الاعتبارات السياسية التى تحدد نوعيـة الجماعة المهاجرة، إذ غالباً ما ينتمى أفرادها إلى طبقة اجتماعية معينـــة أو إلى جماعة سلالية أو قومية أو جماعة دينية بعينها.

وما يحدث بالضبط فى هذه الحالات هو هجرة مجموعة من البشر ينتمون إلى فئات عمرية مختلفة وإلى مهن مختلفة.

ويجب أن نأخذ فى الاعتبار أن نقل كتلة بشرية من بيئة جغرافية واجتماعية معينة إلى بيئة جغرافية واجتماعية جديدة يعتبر أمرا صعبا فبناء الجماعة دائما يتأسس ويتشكل وفقا لمرحلة النمو فى بلدها.

ومن الطبيعي أن المرحلة التى تمر بها الدولة المستقبلة تختلف عن مرحلة النمو هذه. بجانب هذا فإن جماعة المهاجرين يمكن ألا تكون ملائمة من حيث مهارة أفرادها وكفاءاتهم لحاجات التنمية فى البيئة الجديدة.

وهناك ظاهرة هامة هى انه خلال عملية الانتقال لابد أن تتفكك الجماعة لكى يستطيع كل فرد فيها أن يتجه إلى المجال أو المنطقة أو الناحية التى تتفق ومهاراته وقدراته الخاصة لكى يستطيع الإسهام فى إعادة بناء المجتمع الجديد وتتطلب عملية الانفصال أو الانقسام هذه تغييرات وتدريبات مهنية مركزة.

أما من حيث مكانة المهاجرين ومدى حفاظهم على المراكز التى كانوا يشغلونها فى مواطنهم الأصلية فإنه على الرغم من أنهم يمكن أن يبذلوا جهدا أو طاقة كبيرة فى العمل فإن مكانتهم يمكن أن تتدهور عما كانت عليه فى بلادهم قبل الهجرة. (٣٧، ٢٢٦-٢٢٨).

<u>أثار ونتائج الهجرة:</u>

يترتب على هجرة مجموعة من الأفراد أو الجماعات البشرية من مكان إلى آخر آثار ونتائج متعددة.

ويمكن تصنيف هذه الآثار من عدة زوايا، فهناك أثار تتعلق بالجماعة المهاجرة وأخرى تتعلق بالمنطقة التى خرجت منها الهجرة وأثار تتعلق بالمنطقة التى وصلت إليها.

وإذا حاولنا تصنيف الآثار والنتائج من منظور آخر فإننا يمكننا أن نصنفها إلى نتائج اقتصادية وسكانية واجتماعية وغيرها.

(١) الآثار والنتائج الاقتصادية:

تعتبر النتائج الاقتصادية للهجرة من أهم النتائج التى يهتم بها الدارسون وتعتبر ظاهرة انتقال رؤوس الأموال بطريقة مباشرة من أبرز النتائج الاقتصادية، ذلك أن المهاجرين يدخلون أموالا إلى المهجر عند انتقالهم إليه.

كذلك فإن المهاجر لا ينقطع عن وطنه الأصلي، وبالإضافة إلى انتقال رؤوس الأموال من المهجر إلى الوطن الأصلى للمهاجرين فإن الهجرة تكلف مناطق الاستقبال وتزيد من أعبائها الاقتصادية.

فبالإضافة إلى ما تتحمله الدولة المستقبلة من أجور الانتقال فإن هناك أعباء أخرى تتمثل فى تجهيز المساكن والأراضى والخدمات المتعددة للمهاجرين الجدد.

وإلى جانب هذه النواحى المالية المترتبة على الهجرة فإن هناك نتائج اقتصادية أخرى فى منطقتى الأصل والوصول فتحظى المناطق الأخيرة بالعناصر الشابة القادرة على العمل والتى تستنفذها من مناطق الطرد وغالبا ما تكون هذه العناصر أكثر فئات السكان حركة ويدعمها تدريب ومستوى أعلى من باقى السكان خاصة المستوى التعليمي والمهنى وهكذا تفقد تلك المنطقة ثمرة غرسها باستمرار وتتعرض للفقر السكانى وفقدان العمالة المتقدمة والماهرة.

غير أن الهجرة ليست فى كل الأحوال ذات نتائج سلبية على سكان المنطقة الأصلية بل قد تكون ذات فوائد أخرى مثل رفع مستوى المعيشة بهذه المنطقة حيث يقل الضغط السكانى على الموارد المحلية والخدمات المتوفرة كما قد يظهر فى الريف عمالة ناقصة وتختفى البطالة، والمراكز والمناطق الصناعية بل وقد تتعرض لعمالة زائدة فى بعض الأحيان.

(٢) الآثار والنتائج السكانية:

للهجرة الدولية آثار واضحة على تركيب السكان من حيث الجنس والعمر وبالتالى فهى تؤثر فى معدلات الزواج والخصوبة.

وقد حاولت بعض الدراسات النظر إلى الآثار الاقتصادية والسكانية معا وإلى التعرف على هذه الآثار مجتمعة فى منطقتى الأصل والوصول.

فمن جهة المنطقة المهاجر منها (منطقة الأصل) اتضح أن الهجرة تؤدى إلى التخفيض من درجة التضخم السكانى وتؤدى إلى الإقلال من الأزمات التى يسببها الضغط السكانى، ولهذا تميل الدخول والمرتبات إلى الارتفاع فى مثل هذه المناطق ويؤدى ارتفاع الدخول والمرتبات بدوره إلى التأثير على الوفيات والخصوبة فى المنطقة وعلى قيمة الأرض، وتتأثر المنطقة التى تستقبل مهاجرين أيضا بتيار الهجرة الوافدة إليها فإذا كانت المنطقة تعانى أساسا من نقص سكانى فإن الزيادة السكانية الناتجة عن طريق الهجرة سوف تساعد فى التأثير على اقتصادياتها بما يحقق الانخفاض فى تكلفة الإنتاج عن طريق زيادة معدل الإنتاج والتسويق. ولهذا يرتفع مستوى المعيشة فى بعض الحالات يؤدى تدفق المهاجرين إلى الإنقاص من الدخول والمرتبات بسبب زيادة المعروض من الأيدى العاملة ٠٠٠ وبصفة عامة فإن المناطق التى حققت زيادة سكانية من صافى الهجرة سوف تحتوى على نسبة أعلى من الشباب البالغين ويمكن أن يتسم التجمع السكانى بعدم التجانس وذلك بسبب أن المهاجرين عادة ما يكونوا حاملين لثقافات مختلفة، ويؤدى هذا إلى

أن تصبح هذه المناطق عرضة لظهور الأفكار الجديدة أكثر من غيرها من المناطق.

ومن المحتمل أيضا أن تؤدى الزيادة فى أعداد المهاجرين إلى المنطقة إلى الفوضى وسوء التنظيم الاجتماعي أو إلى حالة الأنومية (اللامعيارية).

ويمكن القول أن هناك تأثيرا مباشرا للهجرة على المنطقة التى يهاجر منها الأفراد وعلى المنطقة التى يستقرون فيها.

ويتركز هذا التأثير فى اتجاهين:

الاتجاه الأول: إعادة توزيع السكان.

الاتجاه الثانى: التأثير فى الظروف الاقتصادية القائمة.

(٣) الآثار والنتائج الاجتماعية:

أهتم الكتاب بالآثار والنتائج الاجتماعية للهجرة سواء كان ذلك بالنسبة للأسرة المهاجرة أو الفرد المهاجر أو كان للجماعة المهاجرة ككل.

وفى الحالة الأولى يهتم الكتاب بالنتائج الاجتماعية والتغيرات التى تطرأ على الأسرة وعلى العلاقات بين أفرادها نتيجة عملية الهجرة وفى الحالة الثانية يهتم الدارس بالآثار الاجتماعية التى ترتبت على هجرة جماعة سكانية معينة إلى مكان آخر سواء كان ذلك بالنسبة للجماعة نفسها أو بالنسبة للمجتمع الذى نزحت إليه فمن الطبيعي أن المهاجر قبل أن يقوم بالهجرة يقدر ما سينجزه بسبب ترك المكان الأصلى الذى يعيش فيه وما سينجزه نتيجة الهجرة إلى مكان آخر.

ومن الطبيعي أيضا أنه قبل أن يتخذ قرار الهجرة سيكون قد توصل إلى أن ما سيجنيه من فوائد مادية واجتماعية ونفسية يفوق بكثير ما سيخسره نتيجة تركه للمكان الأصلى ولكن كثيرا ما يجد المهاجر بعد فترة منا الهجرة أن ما حصل عليه من فوائد يقل عما كان يتوقعه إذ أحيانا تظهر بعض العقبات التى لم يكن المهاجر يتوقعها قبل الهجرة وفى بعض هذه الحالات خاصة عندما يصاب المهاجر بخيبة أمل وإحباط نتيجة مواجهة صعوبات لم يكن يتوقعها أو بسبب عدم كفاية وإرضاء الأوضاع الجديدة له يرتد المهاجر إلى المكان الأصلى الذى هاجر منه أو يبحث له عن مكان آخر. وقد أظهرت الدراسات التى أجريت بهدف التعرف على العقبات التى تواجه المهاجر فى المكان الجديد أن هذه العقبات أدت إلى رفع نسبة الإصابة بالأمراض العقلية عند المهاجرين وذلك بالنسبة لغير المهاجرين فى منطقة الوصول وقد توصل العلماء إلى هذه النتيجة بعد تثبيت الاختلافات الأخرى بين المهاجرين وغير المهاجرين، وقد توصل الباحثون كذلك إلى أن العلاقات الأسرية تتأثر بتيارات الهجرة والعلاقة بين الزوجين فى المناطق التى تستقبل تيارات الهجرة تميل لأن تفقد التآلف والتفاهم الذى يسود هذه العلاقات فى المناطق المغلقة. ولا يرجع ذلك فقط إلى عدم التجانس بين الزوجين ولكن بسبب وجود أفراد غرباء فى المنطقة وبسبب تعرض المنطقة لغزو ذوى الثقافات المختلفة وهذا يؤدى إلى التأثير على استقرار الزواج.

وتساعد قوة الضغط غير الرسمي فى البلاد المغلقة على التقليل من الجريمة بسبب التغلب على الإحساس بالوحدة ويمكن أن يؤدى أيضا إلى انخفاض نسبة انتشار الأمراض الشخصية الأمر الذى لا يتوفر فى البلاد أو المناطق المفتوحة للهجرة . وقد أدت الهجرات التى ضمت أعدادا كبيرة من المهاجرين إلى مشكلات تتعلق بالعلاقات بين الجماعة المهاجرة وبين أعضاء المجتمع المهاجر إليه ، وقد تفاقمت مشكلة هذه العلاقات الأمر الذى يتطلب استصدار تشريعات تنظم العلاقات بين هذه الجماعات غير المتجانسة.

وقد اتسمت بعض هذه التشريعات بالتحيز وبرعاية مصالح جماعة مع إهمال أو تجاهل مصالح جماعات أخرى.

وتعتبر هجرة الزنوج إلى أمريكا أوضح مثال للهجرات التى أدت إلى نتائج اجتماعية وسلالية أثرت تأثيرا واضحا على الجماعة المهاجرة (الزنوج) وعلى المجتمع الأمريكي. (٣٨، ٣٢١-٣٢٩).

بعض الدراسات المرتبطة بالهجرة:

ولإلقاء الضوء بصورة أكثر وضوحا حول موضوع الهجرة والتعرف على آثارها والنتائج المترتبة عليها سوف نستعرض بعض الدراسات المرتبطة بها وسوف نتناول هذه الدراسات بشي من التلخيص.

الدراسة الأولي: دراسة الاستاذ الدكتور / عبد الباسط محمد عبد المعطى وموضوعها " بعض المصاحبات الاجتماعية لهجرة الريفيين للدول العربية النفطية".

أولا: فكرة الدراسة وهدفها:

مع أن ظاهرة انتقال المصريين إلى الدول العربية النفطية من الظاهرات التى شغلت ولا تزال معظم المصريين ، ومع أنه ظهرت بعض محاولات تقدير أعداد المصريين المهاجرين، وتقدير عوائدهم، وبعض آثار هجرتهم فإن الدراسات التى ظهرت حتى الآن لا توجد من بينها دراسة اعتمدت بيانات واقعية ميدانية حول بعد أو آخر من أبعاد هذه الظاهرة، ذلك لأن معظم ما كتب أما هو محاولة لتأويل الإحصاءات الرسمية، أو انطباعات علمية حول بعض جوانب الظاهرة، ولذا تأتى أهمية البحث الذى تعد الدراسة الراهنة جزءا منه محاولة علمية استطلاعية، لمعرفة عوامل هذه الهجرة، ومصاحباتها الاجتماعية والاقتصادية على سكان القرية المصرية.

ولأن المنطقة البحثية الميدانية حول موضوع البحث لا تزال منطقة بكرا، فإن العرف العلمى فى مجال العلم الاجتماعى يقتضى البدء بدراسات استطلاعية، تقدم معطيات وبيانات وتطرح تساؤلات تسهم فى صوغ قضايا وافتراضات تمهد لدراسات أخريات أكثر دقة وضبطا.

ومن المنظور الاجتماعي – السوسيولوجي ، تم صوغ أهداف الدراسة الراهنة من خلال التساؤلات التالية:

١-ما هى أهم مصاحبات هجرة الريفيين إلى الدول النفطية على قيمهم الاجتماعية، وبخاصة قيم العمل ، وقيم التعليم؟

٢-هل أحدثت الهجرة مصاحبات على القوى الاجتماعية ؟

٣-ما هى أهم ملامح تأثير الهجرة على الأسر الريفية وبخاصة الأدوار الاجتماعية للمرأة.

ثانيا: بعض قضايا وإشكاليات دراسة الهجرة للدول النفطية:

يشيع بين المهتمين بمسائل الهجرة للدول النفطية سواء منهم بعض الساسة ، أو الباحثين، أو الجماهير التى تعد الهجرة طوق نجاة لحل مشكلاتها خارج إطار مجتمعها تشيع عدة أفكار وقضايا، تحتاج وقفة ومناقشة، لأن مناقشة تلك الأفكار والقضايا يمكن أن تجعلنا فى مواقع أفضل لفهم أعمق لعوامل هذه الهجرة ومصاحباتها وتداعياتها الحاضرة والمستقبلة، على المجتمع المصري.

١-يتردد أحيانا أن هجرة المصريين للدول العربية نتيجة طبيعية لزيادة السكان فى مصر، وزيادة المعروض منهم فى سوق العمل ويرتب البعض على هذا أن الهجرة تسهم فى حل بعض جوانب أزمة السكان فى مصر.

٢-كما يشيع بين عدد من الاقتصاديين القول بأن حركة تصدير الأيدي العاملة إلى دول الخليج النفطية، قد تزايدت بسبب زيادة عائدات النفط بعد ١٩٧٣، وتبني الدول النفطية خططا طموحة للتنمية زادت من الاعتماد على العمالة الوافدة.

٣-يستخدم البعض عبارات " الدول العربية الغنية" و " الدول العربية الفقيرة" في معرض توضيحهم لتدفق الأيدى العاملة من الثانية إلى الأولى وأحيانا يلحق البعض وصف الدول شحيحة العمالة والدول كثيرة العمالة، بالوصف السابق، ليكمل تفسيره لحركة العمالة بين البلدان العربية.

ثالثا: قرية الدراسة:

قرية الدراسة هى قرية " دفرة " التابعة لمركز طنطا محافظة الغربية.

رابعا: عينة الدراسة وأدوات جمع البيانات:

حددت مواصفات عينة الدراسة المتعلقة بدراسة المصاحبات الاجتماعية للهجرة على المهاجرين وأسرهم، التركيز على عمال الزراعة الأجراء وصغار الحائزين – ثلاثة أفدنه فأقل – ممن هاجروا إلى الدول العربية النفطية سواء عادوا أو لا يزال بعضهم فى المهجر، ولقد وجد أن من هاجر من سكان القرية (أثناء القيام بالدراسة) – من المشتغلين بالزراعة بلغوا حوالى ٩٣ مهاجرا ولهذا رؤى أخذهم بطريقة الحصر الشامل.

ولقد كان إجمالى كل المهاجرين من القرية وتوابعها من المهن الزراعية وغير الزراعية ٢٦٥ مهاجرا، مما يعنى أن نسبة المهاجرين من عمال الزراعة وصغار الحائزين تصل إلى ٣٥,١% من إجمالى المهاجرين من القرية وتوابعها.

واعتمدت الدراسة على أداتين دراسيتين هما استمارة البحث، ودراسة الحالة.

خامسا: استخلاصات الدراسة:

بعد جمع البيانات من خلال أداتى البحث السابق الإشـــارة إليـــهما قدمت الدراسة النتائج التالية:-

١-أنه صاحب الهجرة ، تغير فى القيم الاجتماعية خاصـــة قيمـــة الاشتغال بالزراعة بأجر نقدى، وكان التغير لصالح مهن أخـــرى فى مقدمتها الحرف.

٢-أنه صاحب الهجرة تغير فى بعض مكونات بنية القرية منها:

أ- انكماش حجم المشتغلين بالزراعة بأجر نقدى.

ب- حدوث تباين اجتماعى فى صفـــوف جماعـــات العمـــال الأجراء.

ج- ظهور نشاطات هامشية ، بجوار الإنتاج الزراعي.

د- زيادة حدة المضاربة على الأرض الزراعية.

هـ- حدوث حراك فردى أثر فى الحدود بيـــن الجماعـــات الطبقية من حيث تباينها فى عناصر الوجود الاجتماعي وفى المصالح الأمر الذى يؤثر فى انتماءاتها ووعيها.

و- تغير بعض الأدوار الاجتماعية التقليدية للمرأة القرويـــة خاصة أدوارها على مستوى المجتمع المحلى مما يمكـــن أن يكون له تأثيره فى نظرة المجتمع القروى لها.

٣-صاحب هجرة الآباء إلى الدول العربية النفطية، خلل في بعض وظائف الأسرة القروية، خاصة وظيفة التنشئة الاجتماعية (٣٩،٣-٢٤).

الدراسة الثانية : دراسة أ.د. محمد أبو مندور الديب وآخرون وموضوعها " بعض الدوافع والآثار الاقتصادية لهجرة العمالة الزراعية لقرية مصرية.

مقدمة البحث والهدف منه:

أثارت هجرة العمالة المصرية إلى الخارج وخاصة للبلدان العربية النفطية فى السنوات الأخيرة مجموعة من التساؤلات التى تتصل بتحديد حجمها، ودوافعها، وظروف العمل بالخارج، واتجاهات التفضيل نحو العمل فى بلد دون الآخر، وتلك التى تتعلق بآثارها الاقتصادية والاجتماعية على مصر. ومع النمو الملحوظ الذى حدث فى هجرة العمالة الزراعية مع بداية السبعينات واستمر لفترة طويلة بعد ذلك اعتقد المتابعين لأوضاع الزراعة المصرية، بأن بعض العمالة الزراعية فى القرية المصرية يرجع جزء أساسي منه إلى هجرة العمالة الزراعية إلى الخارج.

أهداف البحث:

تتحدد الأهداف الرئيسية لهذا البحث فيما يلي:

١- التعرف على حجم العمالة المهاجرة إلى قوة العمل بصفة عامة وفى القطاع الزراعى بصفة خاصة.

٢- التعرف على أهم الدول المستقبلة للعمالة المهاجرة بصفة عامة والزراعية منها بصفة خاصة، مع التعرف على أهم الخصائص العمرية والمهنية لهذه العمالة المهاجرة.

٣- تحليل أهم دوافع وأسباب هجرة العمال الزراعيين.

٤- التعرف على بعض الآثار الاقتصادية لهجرة العمال الزراعيين.

مصادر البيانات وأسلوب التحليل:

اعتمدت الدراسة على البيانات الميدانية التى تم الحصول عليها باستبيان العمال الزراعيين المهاجرين الذين عادوا ، وأحد الأفراد الرئيسيين المسئولين عن الأسرة للمهاجرين الذين مازالوا بدول المهجر والذين تم تحديدهم من المسح الميدانى لقرية " دفرة" مركز طنطا بمحافظة الغربية، ولمحدودية عدد هؤلاء الذين هاجروا تم حصر أقرانهم فى قرية " نيفيا" الملاصقة لقرية " دفرة " وتم استبيانهم أيضا. واستخدمت الدراسة بعض المقاييس الإحصائية والرياضية البسيطة فى معالجة موضوع الدراسة.

أهم النتائج التى توصلت إليها الدراسة:

١-أن نسبة محدودة (٢,٨%) من العاملين بالزراعة فى قرية دفرة قد هاجروا للعمل بالخارج، ولذلك فمظاهر النقص المشاهد فى العمالة الزراعية لا تغزى إلى هجرة العمالة الزراعية وحدها.

٢-أن المدى العمرى قد تراوح بين ١٦-٤٥ سنة للأكثرية الغالبة من العمالة الزراعية المهاجرة ولو أن غالبيتهم ينتمون إلى فئة العمر ٢١-٣٥ سنة.

٣-أن الأسواق المستقبلة للعمالة المصرية انحصرت فى الأردن، السعودية، العراق ، مرتبة تبعا لعدد العمال الزراعيين التى استقبلتهم كل دولة (ملحوظة: تم إجراء تلك الدراسة عام ١٩٨٣).

٤-اتضح أن انخفاض دخول العمال الزراعيين كان الدافع والسبب الرئيسي لهجرتهم، واتضح أن من هاجر منهم وكانت له حيازة زراعية لم تزد حيازته عن ٤ أفدنه فى أحسن الأحوال، وتبين أن هجرة العمالة تتحرك فى اتجاه عكسى مع زيادة حجم الحيازة.

٥-بينت الدراسة أن أسباب تفضيل العمال الزراعيين الاتجاه إلى دول بعينها إنما يرجع إلى بعض الأسباب كعدم الحاجة إلى تأشيرة دخول (٤٤% تقريبا) يليها الحصول على عقد عمل (٢١,٢%) فانخفاض تكاليف السفر (١٦%) فوجود أصدقاء وأقارب فى بلدان المهجر (١٥%).

٦-حددت الدراسة مجالات ومهن العمالة الزراعية التى هاجرت إلى الخارج مرتبة تبعا لأهميتها فى أعمال المعمار (٣٧%) ، أعمال الخدمات (١٨%) بالشركات والمؤسسات، فى أعمال الزراعة (١٤%) وأخيرا فى المطاعم كعمال (١١%) . كما أوضحت الدراسة أن حوالى (٢٦%) من العمال الزراعيين قد اضطروا إلى قبول أعمال لا تناسبهم فى بداية قدومهم إلى بلد المهجر وغيروا مهنهم بعد ذلك.

٧-ولقد أوضحت الدراسة أن أهم العوامل التى تعد مسئولة عن استمرار أو تغيير العمال الزراعيين لمهنهم مرتبة وفقا لأهميتها هي: مستوى الدخل – قدرة المشقة فى العمل – نوع المعاملة التى يلقاها المهاجر من صاحب العمل.

٨-أوضحت الدراسة أن اتجاهات ومتطلعات المهاجرين نحو التصرف فى مدخراتهم تتحدد فى بناء مسكن (٣٨%) ، الإنفاق على احتياجات الأسرة (٢١%) ، تغطية نفقات الزواج (٩%) ،

إقامة مشروع استثماري (٨%) وهو الأمر الذى يلاحظ معه غياب بعض الادخار ومحدودية نسبة الراغبين من العمال العائدين فى إقامة المشروعات الإنتاجية.

٩-بينت الدراسة أن اوجه التصرف الفعلى فى المدخرات التى كونها العمال المهاجرين بالخارج قد انحصرت تبعا لأهميتها فى شراء أجهزة منزلية (٢٩%) ، تسديد ديون (٢٣%) ، شراء أراضى للبناء وبناء منزل (١٦%) ، شراء ماشية (١١%) ، ويتضح من ذلك ضعف الاتجاه نحو الادخار والاستثمار (٤٠: ٢٧-٤٥).

الخدمة الاجتماعية ودورها فى مجال الهجرة والتهجير:

أن التكيف بحياة المدينة وأسلوب الحياة الحضرى باعتباره النمط السائد فى المدينة يتطلب من المهاجرين إليها بعض الخبرات والمهارات كما يستلزم من المدينة طائفة من المؤسسات والخدمات الاجتماعية لمقابلة متطلبات الحياة فى مجتمع جديد على المهاجرين يتميز بالاشخصية وضعف التماسك الاجتماعي بشكل لم يكن مألوفا فى مجتمع القرية الذى هاجروا منه، وهنا يظهر مجال للممارسة أمام الخدمة الاجتماعية تستطيع أن تسهم فيه بدور مهنى ... أنها تتابع هذه الهجرات وتعمل على دراستها وتقدم المساعدات المهنية لها ... ولا تتوقع الخدمة الاجتماعية أن يأتى المهاجرون إليها بل عليها أن تنتقل إليهم لتقديم خدماتها لأنهم غالبا ما يجهلون المؤسسات والموارد القائمة أو حتى طريقة التعامل معها.

على أن الأمر لا يقتصر على هذه الهجرات التى تتم بشكل اختياري بمعنى أن الفرد أو الأسرة قد اختار بارادته الهجرة إلى المدينة، إذ قد تؤدى بعض الأحداث أو المواقف الى ضرورة تهجير عدد كبير من الناس من منطقتهم إلى مناطق أخرى، وذلك نتيجة للكوارث والنكبات مثل الفيضانات

والسيول والحرائق والزلازل ، أو نتيجة للحروب، أو نتيجـــة لمشـــروعات جديدة تقتضى إخلاء بعض المناطق من سكانها.

وقد تمت فى جمهورية مصر العربية عدة عمليات تهجير ضخمـــة منها هجرة اللاجئين الفلسطينيين فى أواخر ابريل عام ١٩٤٨، وهجرة أهالى مدن القناة عام ١٩٥٦ نتيجة للعداون الثلاثى على مدينة بورسعيد، وتـــهجير أهالى النوبة بعد إنشاء السد العالى، ثم هجرة أهالى مدن القناة بالإســـماعيلية وبورسعيد والسويس بالإضافة إلى سيناء نتيجة لعداون ١٩٦٧.

إن مجال الهجرة والتهجير يعتبر من أهم المجالات التـــى يمكـــن أن تمارس فيه الخدمة الاجتماعية نشاطها فى المجتمع حيث تســـاهم بمعارفـــها وخبراتها المهنية فى التخطيط والإعداد للتهجير، وفى عمليات النقل والإسكان ، وفى رعاية المهاجرين فى الموطن الجديد والعمـــل علـــى تكيفـــهم بـــهذا الموطن. (٢٥، ٥٣١-٥٣٢).

المراجع

(١) السيد حنفى عوض: المشكلات السكانية وتحديـات الحيـاة، القـاهرة، ١٩٩٧.

(٢) النقلي أحمد: الولادة المبكرة والخصوبة الكلية فى مصـر، القـاهرة، المركز الديموجرافي بالقاهرة، مجلد ٢١، ١٩٩١.

(٣) عبد الله مصطفى لؤلؤ وسيد الكبيس: دراسة السكان والقضايا النظريـة والخبرات الواقعية، القاهرة، درا النهضة العربية، ١٩٩٦.

(٤) صلاح محمد أحمد سليمان: مفاهيم أساسية فى علم السكان، القـاهرة، سرس الليان، ١٩٧٣.

(٥) نادية حليم سليمان: العوامـل النفسـية والاجتماعيـة المؤثـرة علـى الخصوبة، القاهرة،١٩٧٤.

(٦) مصطفى العلوانى : خصوبة السكان، ومحدداتـها الوسـيطة ، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٤.

(٧) عبد الرحمن عمران: مصر ومشكلاتها السكانية وتطلعاتها ، القـاهرة، جهاز تنظيم الأسر والسكان، ١٩٧٧.

(٨) الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء، إحصاء المواليد والوفيـات، الجزء الأول ، (٧١)، ١٩٩٧.

(٩) عبد المنعم عبد الحى: علم السـكان : الأسـس النظريـة والأعبـاء الاجتماعية ، القاهرة، المكتب الجامعى الحديث، الطبعة الأولي،١٩٨٥.

(١٠) على عبد الرازق جلبي: علم اجتماع السـكان، الإسـكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥.

(١١) سامية محمد فهمي: المرأة والتنمية، الإسـكندرية، دار المعـارف الجامعية، ١٩٩٢.

(١٢) عبد الرحمن عمران : سكان العالم العربي ، حاضرا ومسـتقبلا، صندوق الأمم المتحدة للأنشطة السكانية، نيويورك، ١٩٨٨.

(١٣) عبد الله الخريجي ومحمد الجوهري: علم السكان ، دار المعرفـة الجامعية، ١٩٨٩.

(١٤) أنور عطية العدل: السكان والتنمية، الإسـكندرية، دار المعرفـة الجامعية، ١٩٨٧.

(١٥) المركز الدولى الإسلامي فى المؤتمر القومى الإسلام وتباعد فترات الحمل :١٦-١٨ يوليو ، مقديشو ١٩٩٠.

(١٦) موسى الضرير : ملامح الواقع السكانى فـى الوطـن العربـى ، مركز الدراسات السكانية ، دمشق، ١٩٩٩.

(١٧) مصطفى الشلقانى : طـرق التحليـل الديموجرافـي ، الكويـت، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٩٦.

(١٨) الجهاز المركزى للتعبئة العامـة والإحصـاء، السـكان بحـوث ودراسات ، العدد العاشر، ١٩٧٥.

(١٩) بثينة محمود الديب: الوضع الراهن للسكان فى مصر، القـاهرة، المجلس القومى للسكان، ١٩٩٦.

(٢٠) الجهاز المركز للتعبئة العامة والإحصاء: إحصاءات المواليد والوفيات للسنوات المشار إليها.

(٢١) المركز الديموجرافي بالقاهرة: الملامح الديموجرافية لسكان محافظات مصر، القاهرة، ١٩٩٦.

(٢٢) معتز عبد الله : إدراك المخاطر والمشكلات لسكان حى شعبي بمدينة القاهرة، ١٩٩٧.

(٢٣) محمد شفيق : السكان والتنمية القضايا والمشكلات، الإسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٩٦.

(24). Saad Eldin Ibrahim: Acritical Review Internal Migration In Egypt, Cairo, Population and Family Planning Board, 1982.

(٢٥) الفاروق زكى يونس: الخدمة الاجتماعية والتغير الاجتماعي ، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٨.

(٢٦) الشيخ الإمام محمد بن أبى بكر الرازي: مختار الصحاح، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩٣٩.

(٢٧) محمد عاطف غيث : قاموس علم الاجتماع، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٧.

(28) Henry P. Fairchild: Dictionary Of Sociology, Immigration, N.Y., The Macmill an Company, 1952.

(29) Lowry Nelson: Rural Sociology, N.Y., American Book Company, 1952.

(٣٠) عبد الباسط عبد المعطى وآخرون: السكان والمجتمع ، الإسكندرية دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٧.

(٣١) محمد الغريب عبد الكريم: سسيولوجيا السكان، الإسكندرية، المكتب الجامعة الحديث، ١٩٨٢.

(٣٢) عادل عز : مذكرات فى إحصاءات السكان، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧٠.

(٣٣) محمد عبده محجوب: الكويت والهجرة دراسة للآثار الديموجرافية والاجتماعية للبترول فى الخليج العربي، الإسكندرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٣٤) محمد الجوهري: علم السكان قضايا ومشكلات، الجيزة، مطبعة العمرانية للأوفست، ١٩٩٦.

(٣٥) على عبد الرازق جلبي: علم اجتماع السكان، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٩.

(٣٦) على عبد الرازق جلبي: علم اجتماع السكان، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٦.

(٣٧) على عبد الرزاق جلبي: علم اجتماع السكان، بيروت،دار النهضة العربية، ١٩٨٤.

(٣٨) عبد الله الخريجي ، محمد الجوهرى: مقدمة فى علم السكان (الهجرة)، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٤.

(٣٩) عبد الباسط عبد المعطى : بعض المصاحبات الاجتماعيـــة لــهجرة الريفيين للدول العربية النفطية، القاهرة، جهاز تنظيم الأسرة والســكان، دراسات سكانية، المجلد ١١، العدد ٦٨، يناير / مارس.

(٤٠) محمد أبو مندور الديب وآخرون: بعض الدوافع والآثار الاقتصاديـة لهجرة العمالة الزراعية لقرية مصرية، القاهرة، جهاز تنظيــم الأســرة والسكان، دراسات سكانيه، المجلد ١١، العـــدد ٦٨، ينـــاير / مـــارس ١٩٨٤.

الفصل الثامن

تخطيط الموارد البشرية

إعداد

دكتور/ عاطف مصطفى مكاوى

محتويات الفصل:

- مقدمة .
- مقومات تنمية وتطوير القدرات البشرية .
- مدخل الموارد البشرية .
- مقدمة حول تخطيط الموارد البشرية ومزايا التخطيط المحكم .
- مفاهيم تخطيط الموارد البشرية .
- أهداف تخطيط الموارد البشرية .
- المقومات الأساسية لتخطيط الموارد البشرية وبعض المفاهيم التخطيطية الأخرى .
- أبعاد تخطيط الموارد البشرية .
- تخطيط الموارد البشرية عملية متدرجة .
- خطوات فى عملية الموارد البشرية .
- تكامل خطط الموارد البشرية مع الخطط الاستراتيجية للمنظمة .
- العلاقة بين القوى البشرية والتنمية .

تخطيط الموارد البشرية

مقدمة

تعتبر الموارد البشرية من أهم الموارد فى العصر الحديث سواء كان ذلك بالنسبة للدول المتقدمة أو النامية على حد سواء غير أن الأمـــر يــزداد أهمية خاصة بالنسبة للدول النامية التى تسعى جاهدة نحو تحقيق معدلات نمو مرتفعة للقضاء على المشكلات الاقتصاديـــة والاجتماعيـــة التـــى تقابلـــها ، وتحاول أن ترتفع مستوى المعيشة لأفراد المجتمع .

ومن البديهى فإن الاستخدام الفعال لـــلآلات ، المعـــدات ، المـــواد والأموال إنما يتوقف على قدرة ورغبة الموارد البشرية ،كما أن العامل الذى يشعر بعدم الرضا عن عمله يؤثر سلبا علـــى المعـــدات ومســـتويات الأداء الخاصة بتنظيمات العمل المعاصرة . (١ :٧)

وتتكون الموارد البشرية من جميع أفراد القوى العاملة " ذكوراً كانوا أم إناثاً " الصالحين للعمل والراغبين فيه والذين يعملون لحساب أنفســـهم أو لحساب الغير صاحب العمل أو من ، يمثله ، أو تحـــت ســـلطته أو إدارتـــه وإشرافه فى أى عمل مشروع لقاء أجر أيا كان نوع الأجر وأيا كان نوع ذلك العمل الذى يؤديه هؤلاء الأفراد سواء كان زراعيا أم صناعيا أم تجاريـــا أم خاصا بالخدمات مع اختلاف أنواعها وما يتطلبه من جهد عقلى أو يـــدوى أو يجمع بينهما (٢ :٧١).

ويتلخص مفهوم التنمية البشرية فى أنها " عمليـــة إتاحـــة الفرصـــة للنـــاس وتمكينهم من تحقيق حياة أفضل لا تقتصر على حاجاتهم الأساسية من طعـــام وشراب وسكن فحسب بل تمتد لتمكينهم من ، إشباع ما يتطلعون إليـــه مـــن

تحصيل للمعارف " التعليم " وإلى الصحة الجيدة ، وأن تفتح لهم أبواب الحصول على الرزق بإتاحة العمل المنتج ، ولا يقتصر مفهوم التنمية البشرية على تنمية قدرات الموارد البشرية ، بل يمتد ليشمل تنظيم الاستفادة من هذه القدرات واستخدامها الاستخدام الأمثل حتى لا تتعرض القدرات البشرية المعدة للإهدار ، مما يضمن استمرارية التنمية وتواصلها ، كما يؤكد مفهوم التنمية البشرية على أهمية تغيير مفهوم الأمن ليتحول من مجرد التركيز على أمن أراضى الدول أو أمن حدودها إلى التركيز بدرجة أكثر على أمن البشر ، ويشمل الأمن الاقتصادى والغذائى والصحى والبيئى والسياسى (٣ :٧٠٨) .

مقومات تنمية وتطوير القدرات البشرية :-

أن تنمية وتطوير رأس المال البشرى ليس هدف بذاته بقدر ما هو الوسيلة المثلى لتطوير البحث العلمى وتسخيره من أجل التنمية الشاملة ويمكن تلخيص مقومات تطوير القدرات البشرية فى النقاط الأساسية التالية :

١-التعليم :-

أن تعلم العلوم بجميع أشكالها بما فى ذلك التكنولوجيا الحيوية وتطبيقها بصفة عامة ، منذ السنوات الدراسية الأولى وحتى المرحلة الجامعية وما بعدها يحتاج إلى مراجعة شاملة لمواكبة التطور العالمى وتنمية الكوادر البشرية القادرة على التصدى لمشاكل التنمية الحالية والمستقبلية .

٢- التدريب :-

أن التدريب المتواصل " مدى الحياة " بالأسلوب الذى يتواءم ويلاحق التطور العالمى ، يعتبر من أهم مقومات تنمية القدرات البشرية وتحفيزها على الابتكار الإبداع .

٣- التوعية :-

أن العمل على زيادة الوعى القومى من خلال أجهزة التوعية الثقافية والإعلامية بالإضافة إلى التعليم ورفع القيمة الاجتماعية لعلوم التكنولوجيا الحيوية وتطبيقاتها وإعداد المجتمع لتقبل نتائجها الإيجابية وبناء القدرة على التصدى لأثارها ونتائجها السلبية يعتبر من أهم مقومات تنمية رأس المال البشرى .

٤- البحث العلمى :-

أن تدعيم البحوث العلمية وتوجيهها لتحقيق أهداف التنمية البشرية والعمل على إطلاق الحرية الأكاديمية وحرية الفكر فى ظل التقاليد القومية وضمانات السلامة والالتزام بأخلاقيات البحث العلمى يعتبر من أهم مقومات تطوير رأس المال البشرى بهدف تقليص الفجوة القائمة والواسعة بين الدول الغنية بالمعرفة والدول الفقيرة إليها .

٥-استخدام القدرات البشرية المؤهلة :-

أن توفير فرص العمل المجزية ذات الكوادر الخاصة والحوافز المناسبة وخاصة للشباب ، وتوفير المناخ العلمى السليم ، وإعطاء العمل فى

هذا المجال التقدير والاحترام من جانب الدولة تعتبر من أهم عناصر التنمية البشرية ، بل وأهم أهدافها أيضا (٣: ٧٠٨-٧٠٩) .

مدخل الموارد البشرية HUMAN RESOURCES A:-

قامت إدارة الموارد البشرية على تبنى مدخل الموارد البشرية والذى من خلاله يمكن أن تستفيد المنظمة بطريقتين :

١- زيادة الفاعلية التنظيمية .

٢- إشباع حاجات الأفراد .

فبدلا من النظر إلى الأهداف التنظيمية وحاجات الأفراد على أنها منفصلين وأن تحقيق أيا منها تكون على حساب الأخر ، اعتبر مدخل الموارد أن كل الأهداف التنظيمية وحاجات الأفراد يكملان بعضهما البعض وأن تحقيق مكاسب فى إحداهما لا يكون على حساب أو تكلفة الأخر ويعد مدخل الموارد البشرية مدخلا حديثا نسبيا فى إدارة الأفراد وقد ازدادت أهميته فى الوقت الحاضر ، وعلى الرغم من أهميته الآن فإن اصطلاح الموارد البشرية مثله مثل أى اصطلاح أخر يصعب تحديده تحديدا دقيقا إلا أن هناك مجموعة من المبادئ التى تقدم أساسا لهذا المدخل وهى :-

١- الأفراد هم استثمار إذا أحسن إدارته وتنميته يمكن أن يحقق مكافآت طويلة الأجل للمنظمة فى شكل زيادة الإنتاجية فى المنظمات الإنتاجية وتحسين الخدمات فى المنظمات الخدمية .

٢- السياسات والبرامج والممارسات لابد من إيجادها لإشباع حاجات الأفراد الاقتصادية والاجتماعية والنفسية .

٣- بيئة العمل لابد من الاهتمام بها بحيث تشجع الأفراد على تنميتهم والاستفادة من مهاراتهم لأقصى حد ممكن .

٤- برامج وممارسات الموارد البشرية لابد أن تنفذ وتتحقق بطريقة يراعى فيها تحقيق التوازن بين حاجات الأفراد وأهداف المنظمة (٤: ٢٠-٢٢) .

مقدمة حول تخطيط الموارد البشرية :-

وهو ما يسميه البعض تخطيط برنامج استخدام الأفراد Planning the Personnel Program .

يمكن تعريف التخطيط فى أبسط معانية بأنه تحديد الشئ مسبقا أى قبل حدوثه كما أنه عملية اتخاذ قرار خاص بوضع الأساس الملائم لحدوث شئ معين فى المستقبل وذلك من الناحيتين الاقتصادية والفاعلية أو من ناحيتى التكلفة والأثر ، ولما كان هذا الأمر يتطلب نوعا من التفكير الذهنى والإجهاد العقلى كان من طبيعة التخطيط أنه وظيفة شاقة ومضنية بعض الشئ بسبب أنه يقوم مقدما على تحديد نوع العمل المطلوب إنجازه فيما بعد ، وكيفية أدائه ومكان هذا الأداء ومن المسئول عنه (٢ :١٣٥) .

مزايا التخطيط المحكم :

فيما يلى أهم المزايا التى يمكن أن تعود على المشروعات نتيجة التخطيط المحكم Proper Planning .

١- تحقيق العمل المتكامل Integrated Action لجميع أجزاء المشروعات بكفاية أكبر ، فالتخطيط من شأنه أن يهيئ الفرصة

للإدارة لرؤية هذه الأجزاء المختلفة فى إطار متكامل وفى وقت واحد ومن ثم يمكنها العمل على الموائمة والتنسيق بينهما .

٢- تقليل عدد الأحداث المفاجئة Emergencies التى تتطلب الحلـــول العاجلة ، فعن طريق التخطيط يمكن الاحتياط لمواجهـــة المواقـف الحرجة وتذليل الصعوبات التى تعترض فى سبيل الإدارة كما يتسنى التبصر بها وتوقعها قبل حدوثها هذا بالإضافة إلى العمل على تجنب حدوث الأزمات اتقاءا لمخاطرها فالوقاية ولاشك خير من العلاج..

٣- الاستخدام الأمثل لسبل الأداء والتنفيذ ، فالمدير المخطط عنده دائمـــا فسحة من الوقت للتحليل والدراسة ومن ثم يمكن اتخاذ القرار الملائم لهذه السبل ومن الواضح أن هذا السبيل هو افضل من استخدام أيـــة طريقة فى أى وقت ، كما وأن القـــرارات المرتجلـــة ليســـت هـــى القرارات البناءة فى الغالب .

٤- تسهيل عملية تفويض الســـلطة Delegation of Authority فالمخططات المحكمة على اختلاف أنواعها كالسياسات وخطط العمل يمكن استخدامها كوسائل لتفويض السلطة للتابعين والمرؤوسين فـهذه المخططات تحفظ ولاشك وقت الإدارة من الضياع بالإضافة إلـــى أن الخطط السليمة غالبا ما يتسر استخدام مرءوسين أقل مهارة .

٥- يوفر التخطيط الأسس العملية للرقابة Basis Of Control ولذلـــك تقوم بينهما علاقة مباشرة بمعنى أن دقة المراقبة تعتمد على أحكـــام التخطيط ومن المعروف أن الخطط بطبيعتها تتضمـــن المســـتويات والمعايير التى بواسطتها يمكن الحكم على سلامة الأداء من عدمه .

٦- أن التخطيط بطبيعته يدعو إلى إنجاز أعمالا فى المستقبل أو إلى اتخاذ إجراءات تواجه بها الإدارة مواقف وأحداث يحتمل وقوعها فيما بعد (٢ :١٣٨-١٣٩) .

مفاهيم تخطيط الموارد البشرية (القوى العاملة) :-

أولا : يرى البعض أن التخطيط للتنمية الاقتصادية والاجتماعية :

لا يقتصر على التفكير فى حجم الموارد المالية المتاحة بمفهومها الضيق ، وإنما يشمل أيضا التخطيط لإعداد القوى البشرية العاملة وتأهيل العامل البشرى فى تكلفة أية خطة يتناول جوانب متعددة أهمها الأعداد المطلوبة للعمل ، ومستوى كفايتها ، وأجورها ومدة تدريبها وعمالتها ومن ثم كان على المخطط أن يأخذ فى اعتباره دائما الناحية البشرية ، وأن يحدد فى كل خطة أو مشروع عدد العناصر البشرية اللازمة ، وتخصصاتها ، وما سبق لها من تجارب وخبرات مما يحتاج إلى دراسة وتنظيم وحصر — وإلى وضع خطط كاملة للتأهيل والتدريب والتعليم تتمشى مع الخطة القومية فى اتجاهاتها وفلسفتها وأهدافها وإمكانياتها .

كما يقصد بتخطيط القوى العاملة مجموعة العمليات الإحصائية والتحليلية والتنظيمية التى تقوم بها الأجهزة المختصة فى كل دولة نامية أو متقدمة بهدف تقييم الموارد البشرية بها والعمل على تطويرها علميا وفنيا عن طريق بناء مهارات وخبرات يمكن الاستفادة بها إيجابيا فى عمليات التنمية .

وبعبارة أخرى يعتبر تخطيط القوى العاملة بمثابة استثمار لرأس المال البشرى يقابل استثمار رأس المال المادى ، فكلا الاستثماريين لا غنى

عنه للدولة إذا كانت تهدف إلى تحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية سريعة وإلى استثمار أمثل لمواردها البشرية .

ويعبر عن "التخطيط البشرى " بالوجه الاجتماعى من التخطيط الذى يهدف إلى تخطيط الأفراد العاملين من أجل رفع معنوياتهم والنهوض بكفايتهم الإنتاجية بجانب تنمية مهارتهم .

ويقترح التخطيط البشرى الحديث الاستفادة مما وصلت إليه الدراسات الإنسانية فى علم النفس الصناعي والمهنى وسيكولوجية الجماعات ودوافع الأفراد والجهود الدولية والإقليمية لتوصيف العمل (٢ : ٦٥ -٦٧) .

ثانيا : وينظر البعض إلى تخطيط الموارد البشرية على أنه :-

تخطيط القوى العاملة ، أو تخطيط الأفراد ويعرف بأنه عملية الحصول على العدد الصحيح من الأفراد المؤهلين للوظائف المناسبة وفى الوقت المناسب .

وبمعنى أخر نجد أن تخطيط الموارد البشرية هو نظام توافق أو مقابلة عرض الأفراد داخليا " الأفراد الموجودين فعلا " وخارجيا "هؤلاء الذين سيتم تعيينهم أو البحث عنهم ، مع الوظائف المتاحة التى تتوقع المنظمة وجودها عبر فترة زمنية محددة .

وتمارس كل المنظمات تخطيط الموارد البشرية سواء بصورة رسمية أو بصورة غير رسمية ، وتتفاوت المنظمات فى مدى نجاحها فى القيام بوظيفة تخطيط الموارد البشرية .

وترجع أهمية الحاجة إلى تخطيط الموارد البشرية إلى وجود فترة زمنية بين إدراك الحاجة إلى شغل وظيفة ما وضمان الحصول على الفرد المؤهل لشغل هذه الوظيفة . وبمعنى أخر أنه لا يمكن الحصول على الفرد المناسب بصورة لحظية أو فورية وكذلك فإن التخطيط الفعال للموارد البشرية يساعد على تخفيض معدل دوران العمل من خلال توفير فرص للتطوير الوظيفى للأفراد من خلال منظمتهم مما يزيد من فرص بقائهم .

ويتضمن تخطيط الموارد البشرية تطبيق عملية التخطيط الرئيسية على حاجات الموارد البشرية لمنظمة ما . وإذا كتب لأى خطة للموارد البشرية بأن تكون فعالة وناجحة فإنها يجب أن تنبثق من الخطط طويلة الأجل للمنظمة ولكن فى بعض الأحيان عادة ما تنفصل أو تعزل خطط الموارد البشرية عن التخطيط على مستوى المنظمة ويرجع هذا إلى مدى الخطأ الشائع الذى يقع فيه مخططى الموارد البشرية ألا وهو التركيز على حاجات الإحلال قصير الأجل ، وليس على خطط المنظمة طويلة الأجل والتركيز على حاجات الإحلال قصيرة الأجل ما هو ألا نتيجة طبيعة لعدم تكامل تخطيط الموارد البشرية مع التخطيط على مستوى المنظمة ككل .

ووفقا لهذا فإن مدخل عدم التكامل يؤدى إلى مفاجئات غير متوقعة يضطر معها مخططى الموارد البشرية إلى التركيز على الأزمات قصيرة الأجل (٤ :٧٥-٧٦) .

<u>ثالثا :</u> وينظر البعض إلى تخطيط القوى البشرية بأنه عملية التأكد من توافر الأعداد من النوع المناسب ، الأفراد فى المكان المناسب وفى الوقت التى تكون هناك حاجة إليه .

وبصورة أكثر تحديدا فإن تخطيط الموارد البشرية هو تحليل منظم للموارد البشرية المتاحة بالتنظيم والتنبؤ بالاحتياجات المستقبلية منها في ضوء هذا التحليل مع التأكد على الاستخدام الأمثل لهذه الموارد والتخطيط اللازم للتأكد من أن العرض من القوى العاملة متوازن مع الاحتياجات المطلوبة منها . (١ : ٢١١) .

أهداف تخطيط الموارد البشرية :

١- مساعدة تنظيمات العمل على اكتشاف – وفي مرحلة مبكرة – النقطة – الحرجة في القوى العاملة . وذلك أن الدراسة التي تصاحب عملية تخطيط القوى العاملة تساعد على إظهار مناطق المشكلات أن وجدت في الحصول على الأعداد اللازمة من الأفراد بالمهارات والنوعيات التي تتطلبها المنظمة وبالتالي العمل على الاستعداد المسبق لمواجهة هذه المشكلات والآثار السلبية التي قد تنتج عند حدوثها .

٢- تحسين الكفاية الإنتاجية للمنظمة كنتيجة للتخطيط السليم للعنصر البشري حيث أنه من غير المعقول أن يعمل التنظيم بكفاءة إذا سمح بقصور أو زيادة في العمالة في أي فترة من الوقت أو إذا لم تستطيع ملء الوظائف الشاغرة بالعمالة ذات المهارة والكفاءة المناسبة .

٣- ضمان تحقيق التوازن بين العرض والطلب للموارد البشرية على مستوى يتمشى مع احتياجات التنظيم وفي الظروف البيئية المحيطة والأمر الذي يحقق الاستخدام الأمثل لهذا المورد الحيوي الهام .

٤- تحقيق أهداف المنظمة من خلال الاستخدام الأمثل للعنصر البشرى بما يضمن زيادة درجة الرضاء عن العمل من جانب العاملين .

٥- زيادة قدرة التنظيم على المنافسة بنجاح حيث يعتمد ذلك إلى حد كبير على كيفية التنبؤ والرقابة على تكلفة العمل وذلك نتيجة لكبر حجم تكلفة الأجور والمرتبات والتى تمثل بندا من بنود الإنفاق لتحقيق الأهداف المرجوة من تخطيط العمالة فى التنظيم لابد من توافر بعض الأسس أو الاعتبارات الهامة والأساسية التى تضمن مثل هذا التخطيط .

المقومات الأساسية لتخطيط الموارد البشرية :-

فيما يلى أهم المقومات الواجب توافرها لضمان تخطيط سليم للقوى البشرية على مستوى المنظمة :

١- اقتناع الإدارة العليا بأهمية تخطيط القوى العاملة لضمان تحقيق الاستخدام الأمثل للعنصر البشرى .

٢- ضرورة التكامل بين تخطيط القوى العاملة والتخطيط الشامل للمنظمة ويتحقق ذلك فى حالة مراعاة أهداف المنظمة واعتبارها نقطة البداية لتخطيط القوى العاملة .

٣- توافر نظام معلومات إدارية لتخطيط القوى البشرية مع ضرورة تحديث البيانات والمعلومات أولا بأول حتى يمكن وضع تخطيط سليم للعنصر البشرى بالمنظمة .

٤- ضرورة تزامن التخطيط قصير الأجل مع التخطيط طويل الأجل للقوى العاملة حتى يكون هناك رؤية مستقبلية ذات مدى بعيد مع توافر المرونة الكافية للتنفيذ فى الأجل القصير .

٥- المراجعة الدورية لتخطيط القوى العاملة حتى يمكن التأكد من فاعلية الخطط الموضوعة وإمكانياتها فى تحقيق أهداف المنظمة (١ :٢١٢-٢١٤).

الفرق بين مفهوم تخطيط الموارد البشرية وبعض المفاهيم التخطيطية الأخرى:

يجدر بناء ابتداء أن نشير إلى الفروق القائمة بين كل من مفاهيم تخطيط الموارد البشرية Human Resource Planning وتخطيط التعليم Educational Planning وتخطيط القوى العاملة Manpower Planning أن مفهوم تخطيط وتنمية الموارد البشرية هو الأوسع شمولا إذ يتجاوز دراسة مشاكل القوى العاملة كصغر إنتاجي وأدوات تهيئة القوى العاملة أجهزة التعليم والتدريب لكي يمتد أيضا إلى دراسة حقول أوسع كالتخطيط الصحى والخدمات المقدمة للموارد البشرية والتغذية والإسكان بما فى ذلك ظروف الأسرة بما فيها خدمات تخطيط الأسرة (٥ : ١٣٨-١٣٩) ويشير كل من هاربسون Harbison ومايرز Myers إلى أن مفهوم تنمية الموارد البشرية يأخذ فى الاعتبار الاهتمام بعنصر العمل ليس فقط لتحسين كفاءته كمدخل Input فى العملية الإنتاجية بل أيضا لزيادة مساهمة الأفراد بصورة واعية فى الحياة السياسية والوصول إلى حياة اجتماعية وثقافية أكثر تحضرا (٦ :٢) .

ومن هنا نرى أن مفهوم تخطيط الموارد البشرية يتجاوز البعد الاقتصادى ويجعله مقاربا أو مرادفا لمفهوم التخطيط الاجتماعى Social Planning(٥ :١٣٩) .

أبعاد تخطيط الموارد البشرية :

وتأخذ عمليات تخطيط الموارد البشرية " القوى العاملة " الأبعاد التالية:-

١- الأهداف التى تسعى إلى تحقيقها .

٢- الوسائل التى تلجأ إليها لتحقيق الأهداف .

٣- العمليات والبيانات المطلوبة لإجراء الدراسات اللازمة لذلك (٢ :١٤١) .

وسوف نشرح تلك الأبعاد بشيء من التفصيل .

أولا : الأهداف التى تسعى إلى تحقيقها :

أ- توسيع فرص التشغيل المنتج لكافة الأشخاص القادرين على العمل بحيث يؤدى ذلك إلى معالجة أشكال البطالة الهيكلية على المدى البعيد .

ب- تحقيق الاستخدام الكفء Efficient Utilization لعنصر العمل حيث يعنى ذلك العمل على رفع معدلات إنتاجية العمل والواقع أن توسيع فرص التشغيل المنتج يستلزم ضمنيا تحقيق الاستفادة الأكفأ ، من الأيدى العاملة .

ج- توفير متطلبات خطط التنمية الاقتصادية من الأيدى العاملة بالأعداد والأنواع اللازمة وفى مختلف الأنشطة الاقتصادية .

د- ينبغى أن تقود عملية تخطيط القوى العاملة إلى اقتراح السياسات والوسائل التى تساعد على توجيه معدلات الزيادة فى السكان والأيدى العاملة ، بما يتلاءم مع أهداف التنمية الاقتصادية والنهوض برفاهية المجتمع.

ثانيا : وسائل تحقيق أهداف تخطيط الموارد البشرية :

أ- ربط وتطوير المؤسسات التعليمية والتدريبية فى الدول النامية بمتطلبات خطط التنمية الاقتصادية من الأيدى العاملة بمختلف المهن والمهارات . ويتصل بهذا أيضا تنظيم عملية رفع مستويات مهارة العاملين وفق الحاجات التي يفرضها التقدم فى طرق الإنتاج وضروريات تطوير كفاءته .

ب- تحسين الإدارة وتنظيم العمل وهيكل الحوافز واتخاذ كافة الإجراءات الممكنة لتحقيق الاستفادة الكاملة من عنصر العمل .

ج- توجيه هيكل ومعدلات الأجور بما يساعد على توفير الأعداد والأنواع اللازمة ، الأيدى العاملة فى الوقت والمكان الذى تبرز فيه الحاجة إليها وبالشكل الذى يساعد بصورة أكبر على الاستفادة من النقطتين السابقتين على الوجه الأمثل .

د- اتخاذ بعض الإجراءات التى تساعد على التأثير فى المتغيرات الديموجرافية مثل معدل المواليد واتجاهات الهجرة الداخلية ومعدلات المشاركة بالشكل الذى ينسجم مع الظروف الخاصة بكل قطر .

هـ- إبداء الرأى والتوجيه بخصوص الآثار التى قد تترتب على القرارات والتطورات الاقتصادية والاجتماعية فى كافة القطاعات والمجالات بالنسبة لتحقيق أهداف سياسة القوى فى القطر ويترتب على ذلك القيام بالتنسيق بين أهداف السياسة الاقتصادية العامة من جهة وأهداف تخطيط القوى العاملة من جهة أخرى .

ثالثا : مستلزمات خطة الموارد البشرية " القوى العاملة " :-

أ- طبيعة النمو السكانى وبصفة خاصة وضع السكان فى سن العمل ويضمن ذلك معرفة معدلات نمو السكان وتوزيعهم حسب الجنس والعمر والمناطق .

ب- معرفة تطور احتياطى القوى العاملة وتوزيعها ويشمل ذلك تطور صافى أعداد الطلاب فى أجهزة التعليم والتدريب المختلفة وتطور إعداد ربات البيوت ومصادر الاحتياطى الأخرى .

ج- معرفة توزيع القوى العاملة المعروضة فى القطاعات المختلفة وحسب المهن والمهارات ، ويشمل ذلك كافة المشتغلين فى تلك القطاعات كما يشمل بالإضافة إلى ذلك توزيع العاطلين حسب التخصص ومستوى المهارة .

د- معرفة تطور الطلب على القوى العاملة من خلال دراسة الأنشطة الاقتصادية ويتضمن ذلك معرفة احتياجات مشاريع خطة التنمية القومية من الأيدى العاملة موزعين حسب المهن ومستوى المهارات وكذلك حسب القطاعات .

هـ- معرفة التطور المتوقع فى إنتاجية العمل ومعـــدلات الأجــور فـــى القطاعات المختلفة وأثرهما على التشغيل المرتقب فى تلك القطاعات.

و- معرفة التغييرات النوعية أى تلك التى لا يمكن صياغتها كميا Non Quantifiable والتى يمكن أن تمارس تأثيرا علـــى أى مــن التغيــيرات المذكورة أعلاه ومن أمثلتها التشريعات Legislation والأنظمـــة الإداريـــة ذات العلاقة ومن خلال الإحاطة بتلك البيانات والمعلومات يمكـــن الخـــروج بموازنات تفصيلية لجانبى عرض اليد العاملة والطلب عليها موزعة حســـب أنماطها . (٥ : ١٤١- ١٤٨)

تخطيط الموارد البشرية عملية متدرجة :-

ليس من المنطقى أن ينظر إلى جهود المنظمـــة المبذولـــة لتخطيـــط الموارد البشرية على أنها عملية موجودة أو غير موجودة ولكن بدلا من ذلك ينظر إليها على أنها تقع على مدى محور متصل Continuum يقع فى أحد أطرافه المنظمات التى لا تمارس أى نوع من تخطيط الموارد البشرية ، وفى الطرف الآخر تقع المنظمات التى يتكامل فيها بصفة كلية تخطيــط المـــوارد البشرية مع خطط الاستراتيجية .

وقد حدد أحد الباحثين خمسة مراحل عبر هذا المحور تشمل :-

المرحلة الأولى :-

تلك المنظمات التى ليس لديها خطط عمل طويلة الأجل ومن ثم تقوم بقدر قليل من تخطيط الموارد البشرية أو لا يكون لديها تخطيـــــط للمـــوارد البشرية على الإطلاق .

المرحلة الثانية :-

يكون لدى المنظمات خطة عمل طويلة الأجل ولكنها تميل إلى التشكيك فى صحة أو التردد فى قبول فكرة تخطيط الموارد البشرية فى نفس الوقت مثل هذه المنظمات تكون متأكدة إلى حد ما أن أهمية تخطيط المراد البشرية فى ازدياد مستمر .

المرحلة الثالثة :-

فإن المنظمات ترتبط وتقوم ببعض جوانب تخطيط الموارد البشرية ولكن هذه الجهود لا ترقى إلى حد التكامل مع خطة العمل طويل الأجل .

المرحلة الرابعة :-

فإن المنظمات تمارس درجة عالية من تخطيط الموارد البشرية .

المرحلة الخامسة :-

وفى هذه المرحلة تتعامل المنظمة مع تخطيط الموارد البشرية على أنه جزء هام وحيوى لخطة العمل طويلة الأجل وبطبيعة الحال فإن المنظمات فى هذه المرحلة تكون مهتمة بتخطيط الموارد البشرية اهتماماً كبيراً (٤ :٩٣،٩٤).

خطوات فى عملية تخطيط الموارد البشرية :-

يتكون تخطيط الموارد البشرية من أربعة خطوات رئيسية وهى :-

١- تحديد تأثير الأهداف التنظيمية على وحدات تنظيمية معينة .

٢- تعريف المهارات والخبرات والعدد الكلى من الأفراد " الطلب على الموارد البشرية " . المطلوب لتحقيق وإنجاز الأهداف على مستوى المنظمة والإدارات .

٣- تحديد الموارد البشرية الإضافية المطلوبة فى ضوء الموارد البشرية الحالية " صافى المتطلبات من الموارد البشرية " .

٤- تنمية خطط تنفيذية لمقابلة الحاجات المتوقعة من الموارد البشرية .

تكامل خطط الموارد البشرية مع الخطط الاستراتيجية للمنظمة :

هناك مجموعة من الاقتراحات التى تساعد فى عملية زيادة تكامل خطط الموارد البشرية مع الخطط الاستراتيجية للمنظمة وهى :

١- يجب على مخططى الموارد البشرية معرفة استراتيجية العمل وضمان توافق خطة الموارد البشرية مع استراتيجية العمل .

٢- يجب الربط بين دورة تخطيط العمل وتخطيط الموارد البشرية مما يشجع المديرين التنفيذيين على التفكير فى الموارد البشرية عند تفكيرهم فى خطة العمل .

٣- يجب أن يكون تخطيط الموارد البشرية هدف للمنظمة . فنظام تخطيط الموارد البشرية يعطى للإدارة العليا لإدراك حقيقة هامة ألا

وهى أن النمو المستمر للمنظمة قد يواجهه قيود متمثلة فى النقـــص والعجز فى الموارد البشرية ، وأن هذه المشكلة تحتاج إلى التركـــيز عليها ، والاهتمام بها فى المستويات العليا من المنظمة .

٤- ضمان قدرة برامج الموارد البشرية التقليدية على إشـــباع حاجـات الإدارة العليا والإدارات الوظيفية .

٥- تحديد مضامين الموارد البشرية بالنسبة لخطة عمل المنظمة .

٦- تحديد قضايا وأمور الموارد البشرية التى تؤثر فى أهداف العمل .

٧- تحويل أهداف العمل إلى أهداف الموارد البشرية التى تمثل الأســاس فى خطة استراتيجية للموارد البشرية (٤ : ٧٧-٨٢) .

العلاقة بين القوى البشرية والتنمية :-

أن القوى البشرية هم غاية التنمية وهم فى الوقت نفسه أداتها وإذا كان تحقيق أعلى مستوى ممكن لرفاهية البشر فى المجتمع هو الهدف النهائى للتنمية فإن ذلك لا يمثل ألا إحدى جانبى العلاقة بين التنمية والناس فالتنميـة لا تتحقـق بجهود البشر كأفراد وكأعضاء فى جماعات ومؤسسـات ويتعـدى اعتمـاد التنمية على البشر ، ثم أن مجرد حقيقة أن العمل هو أحد عنـاصر الإنتـاج بالمفهوم الاقتصادى الضيق فإن محرك عملية التنمية الحيوى هو تنظيم البشر الاجتماعى الذى يؤدى إلى إطلاق طاقات الجماهير الخلاقـة خاصـة عـن طريق مشاركتها فى تحديد أهداف المجتمع واتخاذ القرارات فيما يتعلق بكيفية الوصول إليها (٧ :٢٢٧-٢٢٨) وتعرف القوى البشرية باعتبارهـا " العـدد الكلى للسكان الذين يعملون بالفعل أو الذين سبق لهم أن مارسوا العمل ولكنهم لا يعملون فى الوقت الحاضر أو الذين لا يعملون ولكنهم قادرون على العمل

ويبحثون عنه (٨ : ٢٦٥) ويشير مفهوم القوى البشرية كذلك إلى القـــوى العاملة الكلية فى المجتمع دون توزيعها على المهن والتخصصات المختلفـــة فى النشاط الاقتصادى بينما يشير مفهوم قوة العمل إلى القوى العاملة النوعية أى الأفراد العاملين بمختلف التخصصات والقطاعات الاقتصاديـــة وترجـــع أهمية هذا التمييز بين المفهومين إلى أن المخطط فى الدول النامية لا يـــهتم فقط بمجرد توفير القوى العاملة الكلية ولكنه يولى اهتماماً أكيدا لقوة العمـــل النوعية حيث أن تحقيق معدل مرتفع من التنمية يتوقف على توفر متطلبـــات تنمية كل قطاع من قطاعـــات الاقتصـــاد القومـــى مـــن مختلـــف المـــهن والتخصصات . (٩ : ١٧٤)

أن معيار فعالية استخدام الأيدى العاملة يتحدد بمستوى إنتاجية العمل فى الإنتاج المادى وبخدمة السكان على أفضل وجـــه فـــى شـــتى مجـــالات الخدمات كما أن الفرد وما يمثله من خبرات ومواهب وطاقات وثقافة لابد أن يبرز فى الشئ الذى ينتجه هذا الفرد وفى الكيفية التى ينتج بها هـــذا الشـــئ (١٧٥:٩) .

أن القوى العاملة فى التنمية تتحدد فى جميع فئات وشـــرائح القـــوى العاملة فى المجتمع من العاملين فى الزراعة والصناعة والخدمات فى القطاع الحكومى والخاص والعام ، سواء كانوا يعملون أعمالا يدوية أم كانوا يعملون عملاً ذهنياً وسواء كانوا فى مستويات عليا أو مستويات دنيـــا مـــن السـلم الوظيفى أو الاجتماعى بشكل عام (١٠ -٢٦٢) .

مراجع الفصل

١- مصطفى كامل : إدارة الموارد البشرية ، القاهرة ، الشركة العربية للنشر والتوزيع ١٩٩٤.

٢- محمد ماهر عليش : إدارة الموارد البشرية ، بيروت ، دار القلم ١٩٨٥ .

٣- المجالس القومية المتخصصة : موسوعة المجالس القومية المتخصصة ، المجلد الرابع والعشرين ، الكتاب السنوى ، ١٩٩٧-١٩٩٨ .

٤- راوية محمد حسن : إدارة الموارد البشرية ، الإسكندرية ، المكتب الجامعى الحديث ١٩٩٩ .

٥- عقيل جاسم ، طارق العكيلى : تخطيط الموارد البشرية ، الإسكندرية ، المكتب الجامعى الحديث ، ١٩٩٨ .

6- F. Harbison & CH. Myers: Education, Manpower and Economic Growth, N.Y, Mc Graw-hill, 1964

٧- نادر فرجانى : التنمية والموارد البشرية فى كتاب مصر فى ربع قرن ، تحرير ، د. سعد الدين إبراهيم ، بيروت ، معهد الأنماء العربى ، ١٩٨١ .

٨- محمد عاطف غيث : قاموس علم الاجتماع ، الإسكندرية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٧ .

٩- عادل مختار الهوارى : التنمية الاقتصادية ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ١٩٩٧ .

١٠- عفاف عبد القوى: القوى العاملة المصرية ومتغيرات النظام العالمى الجديد فى كتاب المجتمع المصرى فى ظل متغيرات النظام العالمى ، تحرير د. أحمد زايد ، د. سامية الخشاب ، القاهرة ، المطبعة التجارية الحديثة ١٩٩٥ .

الفصل التاسع

السياسات البيئية والسكانية فى مصر

إعداد

د./ عاطف مصطفى مكاوى

محتويات الفصل:

- مقدمة .
- البيئة.
- مخرجات النظام البيئي.
- النمو السكانى فى العالم العربي.
- نمو السكان فى مصر.
- سياسات ضبط وتوجيه الظواهر السكانية.
- السياسات فى البيئة المصرية.

السياسات البيئية والسكانية فى مصر

مقدمة:

من المعلوم أن هناك تأثيراً متبادلاً بين الإنسان والبيئة التى يعيش فيها... فكما تؤثر البيئة فى الإنسان ونشاطه فإنها تتأثر به بشكل كبير ، ذلك أن وجود الإنسان فى حد ذاته يسبب قدراً من التلوث ، ناهيك عن إنتاجه واستهلاكه ، لذا فإن زيادة عدد السكان وزيادة أنشطتهم الإنتاجية والاستهلاكية يعنى زيادة معدلات التلوث (١ ، ٧٦) .

وتعتبر مشكلة تلوث البيئة من المشكلات التى تشكل خطورة كبيرة على حياة أى مجتمع من المجتمعات فى الوقت المعاصر ، وقد تفاقمت هذه المشكلة نتيجة للتطور العلمى والتكنولوجى بوجه عام والتقدم فى الصناعة بوجه خاص (٢،٢١) .

كما أن حجم مشكلة البيئة قد تزايد فى السنوات الأخيرة وتعددت جوانبها ومظاهرها ووصلت إلى مرحلة أصبحت معها تهدد حياة الإنسان من خلال جو ملوث وأمراض لا حصر لها (٣، ٨) .

ويمثل التلوث البيئى Environmental pollution إحدى المشكلات الهامة التى تواجهنا فى حياتنا المعاصرة نتيجة النشاط المتزايد للإنسان فى كافة مجالات الحياة (٤،٧) .

وبمرور الزمن وحدوث التطور والتقدم فى كافة مجالات الحياة دخل الإنسان عصر النهضة الصناعية وما صاحب ذلك من تقدم هائل فى مجالات الزراعة والصناعة والعلوم والتقنية والطب حيث زاد كل من الإنتاج الزراعى والصناعى وأرتفع متوسط عمر الإنسان عاماً بعد عام مما أدى إلى

الزيادة الهائلة فى عدد السكان على سطح الأرض .. ووصلت البشرية إلى مرحلة الانفجار السكانى Population Explosion حيث وصل تعداد البشر اليوم إلى ما يقرب من ستة مليارات نسمة ... ونتيجة لهذه الزيادة الرهيبة لعدد السكان نشأت عدة مشاكل لم تواجهها البشرية من قبل حيث سيكون لزاماً على إنسان القرن الحادى والعشرون التصدى لها والتغلب عليها . وهذه المشاكل تشمل مشكلة تناقص الغذاء ومشكلة ندرة المياه العذبة ومشكلة تناقص الطاقة وأخيراً مشكلة التلوث البيئى .

وتلوث البيئة أمست ظاهرة نلمسها جميعاً حيث لم تعد البيئة المحيطة بنا لها القدرة على تجديد مواردها الطبيعية وأختل التوازن الكائن بين عناصرها المختلفة وبالتالى لم تعد لها القدرة على تحليل مخلفات الإنسان وناتج نشاطاته المختلفة ... وبتطور الحياة وما صاحبها من تقدم علمى وصناعى أحرزه الإنسان فى كافة المجالات أصبح جو المدن ملوثاً بالدخان الناتج عن عادم السيارات وبالغازات الضارة المتصاعدة من محطات القوى الكهربائية ومن مداخن المصانع كذلك ألقت هذه لمصانع بمخلفاتها الكيميائية السامة فى مياه البحيرات والأنهار . وأصيبت التربة الزراعية بالتلوث نتيجة الاستخدام المتزايد للمخصبات الزراعية لتغذية النبات والمبيدات الحشرية لمقاومة الآفات .

والتلوث البيئى لا يتواجد فى منطقة دون أخرى ، فالعالم بأجمعه هوائه وبحاره ومحيطاته وأنهاره كذلك أرضه جميع هذه العناصر متصلة حيث تنتقل الملوثات البيئية من مكان إلى أخر . (٥، ١٤-١٦)

وبعد أن أتضح أثر التلوث البيئى بأنواعه المختلفة على كافة عناصر الطبيعة من هواء وأرض ومياه وما يسببه من أضرار خطيرة ومدمرة على

كافة المخلوقات من إنسان وحيوان ونبات وأيضا الجماد فقد لزم الأمـــر أن تتضافر كافة الجهود سواء على مستوى الإنسان الفرد أو الجماعات أو الدول كافة لدرء هذا الخطر المحدق بنا جميعا فوق كوكبنا الأرضى وذلك بالتعاون الوثيق وأتباع كافة السبل فى القضاء على كافة مسببات التلوث البيئى حتـــى يتسنى للبشرية جمعاء الحياة الأفضـــل فـــى ظـــلال قيـــم الحـــب والخـــير والجمال (١١٢،٦) .

وهذا يعنى وضع سياسات طويلة المدى للتعامل مع البيئة ومشكلاتها وكذلك للتعامل مع السكان "الإنسان" الذى يؤثر فيها ويتأثر بها ... وهذا مـــا سنتناوله تفضيلا من خلال النقاط التالية .

أ- البيئة .

ب- مدخلات النظام البيئى .

ج- مخرجات النظام البيئى .

د- ما هو تلوث البيئة ، وما مصادر ذلك التلوث .

هـ- النمو السكان فى الوطن العربى ، عوامله .

و- توزيع السكان والعوامل المؤثرة فى ذلك التوزيع .

ح- نمو السكان فى مصر ـ توزيعهم ـ وخصائصهم .

ط- سياسات ضبط وتوجيه الظواهر السكانية .

ى- السياسات فى البيئة المصرية .

البيئة

البيئة هى المحيط الذى تعيش فيه جميع الكائنات الحية ، وتتأثر بالظروف المحيطة به من شكل سطح الأرض والهواء والمياه ، بالإضافة إلى التربة والكائنات الحية ، ويطلق على كل ذلك أسم "عناصر البيئة الطبيعية"وقد أثرت هذه العناصر فى الماضى ، وما زالت تؤثر فى نشاط الإنسان واستخدامه للمواد المختلفة التى يحتاج إليها فى إشباع احتياجاته الأساسية من مأكل وملبس ومسكن وغير ذلك .وتتطور هذه الاحتياجات بتقدم الإنسان وبما يمتلك من أدوات ومعدات . (٧ ، ٦١)

مدخلات النظام البيئى

١- الشمس وهى أهم عناصر هذا النظام ، وهى تعطينا الطاقة اللازمة للحياة كما أن ضوءها وحرارتها مسئولان عن تغذية الكائنات الحية بالغذاء.

٢- الماء ويأتى كله عن طريق التساقط أصلا ، والمسئول الأول عن حدوثه الطاقة الشمسية أيضا عن طريق تبخر مياه المحيطات . كذلك تعتبر الأمطار مصدر مياه الرى سواء كانت من الأنهار أو البحيرات أو المياه الجوفية .

٣- تقوم طاقة الشمس والمياه بدور كبير فى تفكك وتحلل الصخور وهو ما يعرف باسم عملية التجوية ، ومن ثم فى تكوين التربة .

٤- للنبات والحيوان دور كبير تدخلان به النظام البيئى عن طريق نقله لبذور النباتات واستنباط لأنواع جديدة منها ، وإضافة المخصبات والمبيدات إلى التربة لزيادة الإنتاج .

وواضح أنه كلما زاد تقدم الإنسان كان دوره فى التأثير على البيئة أكبر عن طريق ما يضيفه إليها بهدف زيادة موارده .

مخرجات النظام البيئى

١- يعود جزء من الطاقة الحرارية التى يكتسبها سطح الأرض إلى الغلاف الغازى مرة أخرى ، كما يعود إليه أيضا الطاقة الكامنة فى ذرات بخار الماء بعد سقوط الأمطار والطاقة الموجودة فى أجسام الكائنات الحية بعد موتها ، وأى مصدر أخر للطاقة من المصانع أو الآلات.

٢- يخرج الماء مرة أخرى من النظام البيئى أما على هيئة بخار الماء من النباتات والمسطحات المائية ، وأما عن طريق الجريان السطحى الممثل فى الأنهار التى تصب فى البحار ، أو مياه الصرف الزائدة عن حاجة التربة والتى تنصرف فى مصارف تنتهى إلى البحار فى النهاية ، وهذا يعنى أن الدورة المائية على سطح الأرض تبدأ بتبخير المياه من البحر أو المحيط ثم تنتهى إليه مرة أخرى .

٣- تتعرض التربة لفقدان بعض عناصرها أما عن طريق الغسل الناتج عن غزارة الأمطار أو تفقد التربة كلها عن طريق نحتها وجرفها بفعل عوامل التعرية .

٤- يخرج كل من النبات والحيوان من البيئة أما عن طريق الهجرة لكليهما أو عن طريق الصيد للحيوانات والحصاد وإزالة الغابات والحشائش بالنسبة للنباتات . (٨، ٧٠-٧١)

ما هو تلوث البيئة :

يعرف تلوث البيئة بأنه اختلال الاتزان القائم بين مكونات النظام البيئى نتيجة تغييرات مستحدثة ينتج عنها للإنسان الضرر أو المرض أو الوفاة ... وتعرف الملوثات بأنها الميكروب أو المواد الصلبة أو السائلة أو الغازية أو الإشعاعات التى تلحق الأذى بالإنسان أو تسبب له المرض أو تؤدى به الهلاك .

مصادر التلوث :

ينشأ تلوث البيئة من مصادر طبيعية أو مصادر صناعية .

أ- مصادر التلوث الطبيعية :-

وهى نواتج الأنشطة البركانية من غازات وأبخرة تقذفها البراكين وما يصاحبها من رقائق الغبار والحمم ... وقد تنتج الملوثات الطبيعية من عمليات التحلل العضوى التى تنتج غازات النشادر وكبريتيد الهيدروجين وغيرها . أو قد تنتج من الشرر الكهربى الذى يحدثه البرق فينتج أكسجين الهواء الجوى مع النيتروجين وتتكون أكاسيد نيتروجينية .

ب- مصادر صناعية :-

وهى مخلفات النشاط البشرى مثل ما يتخلف عن المدن من قمامة وفضلات وما تنفثه وسائل المواصلات ومداخن المصانع من سموم وما يتراكم فى البيئة الريفية من بقايا الحيوانات والمبيدات الحشرية ومخلفات الوقود العضوى والنووى .

تلوث الهواء الناشئ عن احتراق الوقود :-

من المعروف أن نواتج احتراق أى نوع من أنواع الوقود العضوى مثل الفحم أو مقطرات زيت البترول أو الغاز الطبيعى هى ثانى أكسيد الكربون وبخار الماء والواقع أن ثانى أكسيد الكربون وبخار الماء ليست هى نواتج احتراق الوقود الوحيدة لأن أى نوع من أنواع الوقود لا تتكون من كربون وهيدروجين فقط ، بل توجد معه شوائب من الكبريت وغيره من العاصر .

وأهم نواتج الاحتراق التى تسبب تلوث الهواء هى :-

١- أكاسيد الكربون " أول وثانى أكسيد الكربون " .

٢- اكاسيد الكبريت " ثانى أكسيد الكبريت " .

٣- أكاسيد النيتوجين " أكسيد النيتريك وثانى أكسيد النيتروجين " .

٤- الهيدروكربونات غير المحترقة .

٥- مركبات الرصاص . (٩،٧٠-٧١)

النمو السكانى فى الوطن العربى :-

عدد سكان الوطن العربى فى تزايد مستمر فقد تزايد أكثر من ثلاثة أمثاله خلال الخمسين سنة الماضية ، هذه الزيادة تعرف باسم النمو السكانى وتختلف من دولة لأخرى ، وتساعدنا دراسة أعداد السكان وتزايدهم وتوزيعهم الجغرافى ، ومناطق تركزهم وأنماط معيشتهم على وضع مشرعات التنمية فى بلد ما ، والتغلب على كثير من مشكلاتها .

عوامل النمو السكانى فى العالم العربى :-

١- الزيادة الطبيعية :-

وهى ناتجة عن الفرق بين المواليد والوفيات ، ونسبة المواليد فـــى الوطن العربى مرتفعة بصفة عامة ، وهى من أعلى النسب فى العالم، أمـــا نسبة الوفيات فهى آخذه فى الانخفاض فى معظم الدول العربية نتيجة تحســن الأحوال الصحية ، والتطعيم ضد الأمراض ، والتقـــدم الطبـــى ، وارتفـــاع مستوى المعيشة ورغم ذلك فهناك بعض الدول العربية التى لا تزال ترتفــــع فيها نسبة الوفيات مثل الصومال والسودان .

٢- الزيادة غير الطبيعية " الهجرة " :-

يقصد بالهجرة انتقال الإنسان من منطقة إلى أخرى ويوجد نوعان من الهجرة فى الوطن العربى :-

أ- هجرة خارجية:-

أى انتقال الأفراد خارج حدود دولتهم ، فهناك بعض الدول العربيـــة يهاجر أبناؤها إلى الخارج مثل سوريا ولبنان ،ومصر ،بينمـــا تســـتقبل دول عربية أخرى أفراد للعمل بها مثل دول الخليج العربى .

ب- هجرة داخلية :-

وتتمثل فى هجرة أهل الريف والبدو إلى المدن داخل الدولة بحثا عن العمل وتوفر الخدمات ووسائل الترفيه بها .

لابد أن يكون هناك توازن بين النمو السكانى فى دولة ما ومواردها الاقتصادية ، غير أن هناك دول يتزايد فيها السكان ، بدرجة لا تتناسب مع مواردها الاقتصادية ، لذلك يزيد فيها الاستهلاك عن الإنتاج وتعانى من مشكلة الزيادة السكانية كما فى مصر ، بينما توجد دول أخرى يقل فيها السكان عن حاجة الإنتاج ، وتعانى نقصا فى الأيدى العاملة مثل دول الخليج العربى وليبيا والعراق ، ويمكن حل هذه المشكلة بأن تستعين الدول العربية التى يوجد لديها عجز فى الأيدى العاملة بالدول العربية التى يوجد فائض فى العمالة وأن تسمح لهم بالانتقال إليها ، وهذا ما يحدث حاليا بين كثير من الأقطار العربية .

توزيع السكان :-

يختلف توزيع السكان فى الوطن العربى من منطقة إلى أخرى ، فهناك مناطق يتركز فيها السكان وتزداد بها الكثافة السكانية ، وهناك مناطق يعرض عنها السكان ، نادرة الكثافة .

ويقصد بكثافة السكان متوسط عدد السكان لكل كيلو مربع .

العوامل المؤثرة فى توزيع السكان :-

يرجع الاختلاف فى توزيع السكان إلى عوامل طبيعية وأخرى بشرية.

أولا العوامل الطبيعية :-

أ- **موارد المياه :** يتجمع السكان وترتفع كثافتهم ، حيث الأنهار كما فى مصر والسودان والعراق أو حيث الأمطار كما فى اليمن ، وسواحل

البحر المتوسط ، والأجزاء الشمالية من العـــراق أو حيــث الميـــاه الجوفية كما فى الواحات المنتشرة فى صحارى الوطن العربـــى ـــ ويندر السكان حيث تقل موارد المياه أو تنعدم كما فى الصحــــارى العربية .

ب- التضاريس : يتركز السكان فى المناطق السهلية الخصبة فى أوديـــة الأنهار فهى مناطق جذب سكانى ، حيث يستقر السكان وتقوم حرفة الزراعة .

ويقل السكان حيــــث توجـــد المرتفعـــات أو المنـــاطق الرمليـــة أو الصحراوية ، غير أنه توجد بعض المناطق المرتفعة التى يتجمع بها الســكان لاعتدال مناخها ،وسقوط الأمطار عليها كما فى مرتفعات اليمـــن ، وجبــال لبنان .

<u>ثانيا العوامل البشرية :</u>

وأهمها الأنشطة الاقتصادية التى يمارسها السكان ، فمن المعـــروف أنها تؤثر فى توزيع الكثافة السكانية فمثلا :

١- النشاط الزراعى : تزيد فيه كثافة السكان كما فى مصـــــر والـــهلال الخصيب فى أودية دجلة والفرات .

٢- النشاط الصناعى : ترتفع كثافة السكان بالمدن الصناعية الكبر مثـــل القاهرة فى مصر ، وطرابلس فى ليبيا ، وحلب فى سوريا ، والدمـــام فى السعودية .

٣- **النشاط التعدينى** : يتجمع السكان فى مناطق التعدين ومصادر الطاقة كما فى ساحل الخليج العربى ، وحول خليج السويس ، وليبيا ، ودول المغرب العربى تونس والجزائر ، والمغرب ، وموريتانيا .

٤- **النشاط الرعوى** : تقل الكثافة السكانية حيث حرفة الرعى كما فـــى شمال السودان وشبه الجزيرة العربية ، حيث أن حرفة الرعى تحتاج إلى انتقال الرعاة من منطقة لأخرى بحثا عن العشب والكلأ .

توزيع الكثافة السكانية فى العالم العربى :

يمكن تقسيم الوطن العربى إلى الأقسام التالية بعد اســتبعاد المــدن الكبرى ذات الكثافة السكانية العالية :-

١-**مناطق مرتفعة الكثافة** : وادى النيل ودلتاه فى مصر .

٢-**مناطق متوسطة الكثافة** : فى الجهات الساحلية فى بلاد الشام وشـــمال أفريقيا ومناطق الزراعة بالقرب من مجارى الأنهار فى كــل مــن العــراق والسودان وجنوب الصومال وموريتانيا .

٣-**مناطق منخفضة الكثافة** : كما فى هضبة الشطوط بـــالجزائر ،وشـــمال ليبيا، وإقليم مريوط ، وشمال سيناء بمصر ، ومناطق الرعى بالسودان و موريتانيا والعراق ، والجهات الساحلية من شبه الجزيرة العربية .

٤-**مناطق شبه خالية من السكان** " أقل من نسمة واحد للكيلو متر المربــع " فى الصحارى العربية .

وللتعرف على عدد السكان فى كل قطر عربى يتم تعداد للسكان كمـــا يحدث فى مصر كل عشر سنوات لإحصاء عدد السكان وتوزيعـــهم حســـب

الأعمار والجنس " ذكور / إناث " والحالة التعليمية وأنواع العمل ... الـخ . (١٠ ، ٢٧ – ٢٩)

نمو السكان في مصر :

من استعراض نتائج التعدادات المصرية المختلفة بدءا من التعداد الأول عام ١٨٨٢ وحتى التعداد الأخير في عام ١٩٩٦ نلاحظ أن السكان في مصر كانوا يتضاعفون كل نصف قرن خلال القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين ، ثم تسارع النمو السكاني فأصبح يتضاعفون كل ما يقل عن ٣٠ عاما ، وهو ما حدث في الفترة حتى عام ١٩٨٦ .

ويلاحظ على سبيل المقارنة أن معدل النمو السكاني بين تعدادي ١٩٧٦ ، ١٩٨٦ كان ٢,٨ % وقد انخفض هذا المعدل بين تعدادي ١٩٨٦، ١٩٩٦ إلى ٢,١% وربما يكون لعديد من المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية بعض الأثر في انخفاض معدل النمو السكاني السنوي ... ومن هذه المتغيرات التعليم والصحة والاتجاه إلى الأخذ بأسلوب الأسرة الصغيرة في بعض قطاعات المجتمع .

توزيع سكان وتقسيم مصر إلى أقاليم سكانية :-

ينتشر سكان مصر على رقعة صغيرة من الأراضي لا تتعدى ما يتراوح بين ٤-٥% من مساحة مصر . وفي هذه النسبة الصغيرة يتركز أكثر من ٩٨% من سكان مصر داخل هذه المساحة .

ويمكن أن نفرق بين كل من الأقاليم الفرعية التي تعتبر أقاليم سكانية في مصر ، والتي تغير نصيبها من سكان مصر خلال الفترة من ١٩٤٧ـ ١٩٩٦ وعلى رأس هذه الأقاليم الدلتا وهي تضم ثماني محافظات ، وكانت

فى عام ١٩٤٧ تضم ٤٣,٥% من سكان مصر ، وانخفضت فى عـام ١٩٩٦ إلى ٤٢,٥% ثم إقليم الصعيد بمحافظاته الثمانى أيضا وكان يضم فـى عـام ١٩٤٧ ما نسبته ٣٧,٩% من جملة سكان مصر ، و انخفضت إلـى ٣٦,٥% فى عام ١٩٩٦ .

ثم تأتى كل من القاهرة والإسكندرية فى المرتبـة الثالثـة وكـانت المدينتان تضمان فى عام ١٩٤٧ نسبة ١٥,٩% من سكان مصر وارتفعـت إلى ١٧,١% فى تعداد ١٩٩٦ ــ ثم تأتى محافظات القناة الثلاث وكانت تضم ١,٩% عام ١٩٤٧ وارتفعت النسبة إلى ٢,٧% فى عام ١٩٩٦ ...

ومعنى هذا أن الانخفاض الذى حدث فى كل من نسبة سكان الدلتـا والصعيد قابلة ارتفاع فى نسبة سكان القاهرة والإسكندرية ومنطقة القنـاة ، وأخيرا فإن الصحارى المصرية بمحافظاتها الخمس كانت تضم ٠,٨% مـن سكان مصر عام ١٩٤٧ وارتفعت النسبة إلى حوالى ١,٥% فى تعداد ١٩٩٦ على أنه يوجد بعد أخر فى توزيع السكان وهو الذى يرتبط بتوزيع السـكان على كل من المدن والريف ...

فقد كانت نسبة سكان الريف تقترب من ٨٠% من جملة سكان مصر فى بداية القرن العشرين ولم تكن نسبة سكان المدن تزيد على ٢٠% ومـع مرور الزمن ، وتوافر عنصر الجذب فى المدن والطرد فى الريف المصرى أخذت نسبة سكان المدن تتزايد بينما تنخفض نسبة سـكان الريـف ، حتـى وصلت نسبة سكان المدن فى تعداد ١٩٨٦ إلى ٤٤% مـن جملـة السـكان وبجملة تصل إلى ٢١,٢ مليون نسمة فى مقابل ٥٦% يسكنون الريف وبجملة تصل إلى ٢٧ مليون نسمة .

غير أنه فى تعداد ١٩٩٦ حدث فيه تغيير طفيف فى النسبة حيث انخفضت نسبة سكان المدن إلى ٤٣% من جملة سكان مصر وبجملة تصل إلى حوالى ٢٥,٥ مليون نسمة وارتفعت نسبة سكان الريف قليلا إلى ٥٧% وبجملة تصل إلى ٣٣,٨ مليون نسمة .

الخصائص السكانية : وسنركز فيها على النقاط التالية :

أ- حجم الأسرة :-

أخذ حجم الأسرة فى مصر فى الانخفاض تدريجيا ، ويرتبط ذلك بزيادة الوعى التنموى من ناحية وارتفاع نسبة التعليم ، بالإضافة إلى الأعباء الاقتصادية التى أصبحت متزايدة جدا ، نظرا لارتفاع تكاليف الحياة ووجود نسبة من البطالة تؤدى إلى انخفاض مستويات الدخول لقطاعات كثيرة فى المجتمع ، وعديد من المتغيرات الأخرى. على أنه يبقى أن حجم الأسرة فى المدن أقل نسبيا من حجم الأسرة فى الريف .

ب- التركيب الاقتصادى :-

أما بالنسبة للتركيب الاقتصادى فإن نسبة كبيرة من السكان فى قوة العمل تعمل فى الزراعة وتصل هذه النسبة إلى ٢٩,٦% فى عام ١٩٩٥ فى مقابل ١٨,٥% يعملون فى الصناعة ، ٥١,٩% يعملون فى الخدمات بأقسامها المختلفة من خدمات اجتماعية إلى خدمات شخصية وفى الوقت نفسه يقدر أن المستخدمين بأجر يشكلون ٥٠,٧% من قوة العمل فى مصر ، ويعمل بالحكومة والقطاع العام ٣٥,٣% من السكان .

ج- **التركيب الاجتماعي :-**

المجتمع المصرى مجتمع مترابط ، وتمثل الأسرة وحدة أساسية فى المجتمع وإذا كانت ثمة مؤشرات على هذا فإنها ترتبط بنسبة المتزوجين فى المجتمع ، غير أنه يلاحظ أنه طرأت على المجتمع عديد من المتغيرات المرتبطة بالمستويات الاقتصادية التى يعيش فيها السكان وفرص العمل والبطالة والدخول المنخفضة بالنسبة لمعظم قطاعات العاملين . (١١، ٩٧ – ١٠٢)

سياسات ضبط وتوجيه الظواهر السكانية :-

أن سياسات ضبط وتوجيه الظواهر السكانية هى العملية التى يحاول بها المجتمع والإنسان المحافظة على التوازن بين حجم السكان فى مجتمع من المجتمعات وبين وسائل العيش المتاحة فى هذا المجتمع . بحيث أنه إذا كانت هناك زيادة فى حجم السكان ناتجة عن نمو السكان بمعدل سريع بفعل عوامل المواليد والهجرة إلى المجتمع تفوق ما توفر فى هذا المجتمع من وسائل للعيش فإن المجتمع قد يتدخل بالقوانين والتشريعات والإجراءات الكفيلة بالحد من هذه الزيادة .

وكذلك إذا كان هناك نقص فى عدد السكان ناجم عن نقص المواليد وزيادة معدل الوفيات وزيادة معدلات الهجرة من المجتمع بمعدل لا يوازى ما يتوافر فى هذا المجتمع من وسائل للعيش فإن المجتمع قد يتدخل بالقوانين والتشريعات والإجراءات التى تفيد فى إعادة التوازن بين حجم السكان ووسائل العيش . (١٢، ٨٤–٨٥)

أنواع سياسات الضبط والتوجيه السكانى :-

تنقسم سياسات الضبط السكانى إلى نوعين رئيسيين وهما :-

أ- إجراءات العمل على زيادة السكان :

وتمثل البلاد الاسكندنافية ومنها السويد على وجه الخصوص أبرز مثال على الدول التى يسود فيها الاتجاه الأول فى نمو السكان والذى صاحب فيه الانخفاض فى معدل الوفيات انخفاضا مماثلا وسريعا فى معدل المواليد ، وفى الثلث الأول من القرن العشرين أثر معدل المواليد هذا فى انخفاض عدد السكان نتيجة لانخفاض نسبة المواليد السنوية إلى حوالى ٦٠% بالنسبة للوفيات ونتيجة لهذا اضطرت هذه البلاد إلى البحث عن سياسة سكانية مناسبة ، سياسة تهدف إلى زيادة السكان ولقد كشفت دراسة مستوى المعيشة عن أن نسبة كبيرة من السكان كانوا يعيشون تحت المستوى المطلوب .

وهكذا وجهت عناية متزايدة نحو تحسين مستوى المعيشة أكثر مما توجه نحو زيادة السكان ، وأخذت السياسة السكانية فى السويد ببعض المبادئ الأساسية أهمها تتمثل فى توجيه كل أسرة نحو أن تحدد بنفسها عدد الأطفال حسب ما يتوافر لديها من موارد وبالإضافة إلى ذلك وسعت الدولة من نطاق المساعدات فى مجال الصحة والخدمات الاجتماعية لكى تسهم فى رفع مستوى المعيشة وأخذت فى اعتبارها الحقيقة القائلة بأن الزيادة فى عدد الأطفال عن العدد المرغوب فيه يخفض من مستوى معيشة الأسرة مهما كان دخلها ، وهذه الإجراءات معمول بها فى المجتمعات المتقدمة التى لا يبدأ فيها الأفراد يكسبون عيشهم إلا بعد أن يتزودوا بالإمكانيات الضرورية اللازمة لتنميتهم ذهنيا وجسمانيا وبالتعليم أيضا وبالرعاية الصحية والاجتماعية اللازمة .

ب- إجراءات العمل على خفض نمو السكان :-

تعتبر اليابان بمثابة مثالا واضحا على النوع الثانى لاتجاه نمو السكان الذى يتميز بالزيادة السريعة فى السكان والذى يصاحب فيه الانخفاض المستمر فى معدل الوفيات عادة انخفاضا بطيئا فى معدل المواليد والنتيجة أن الاختلاف أو الفارق بين المعدلين كان كبيرا ، ولقد دخلت اليابان هذه المرحلة من التحول أو التغير الديموجرافى فى عام ١٨٧٠ وعندئذ كانت البلاد قد بدأت تبذل جهود ضخمة فى مجالا لتصنيع ، وفى نفس الوقت كانت اليابان حريصة على رفع مستوى التعليم بين السكان التى تؤدى بدورها إلى رفع المستويات الصحية والقضاء على المجاعات والأوبئة والمخاطر التى كانت قد تعرضت لها فى الماضى ، ولقد قضى أيضا على التقاليد البالية التى كانت سائدة بين كل طبقات السكان . (١٣، ٩٠-٩١)

ج- الوضع فى مصر :-

أن التعامل مع المشكلة السكانية فى مصر يسير فى جانبين متوازنين يستهدف أحدهما تنظيم الأسرة وضبط معدل المواليد ــ بينما يركز الأخر على التنمية الشاملة والتى تستهدف تحسين نوعية الحياة ورفع مستوى معيشة أفراد المجتمع .

السياسات البيئية فى مصر :-

- فى مصر تم إنشاء جهاز لشئون البيئة يتبع مجلس الوزراء فى عام ١٩٨٢ ليتولى رسم السياسات البيئية وإعداد الخطط اللازمة للحفاظ على البيئة وتنميتها بالإضافة إلى تنفيذ بعض المشروعات البيئية التجريبية .

- ولقد كانت مواجهة مصر للمشكلات البيئية بأسلوب علمى جاد حيث تم إعداد تقرير وطنى عن حالة البيئة فى مصر ، كما تم إعداد الخطة القومية التنفيذية فى عام ١٩٩٥ لتكون بذلك البداية الجادة لمواجهة المشكلات البيئية والتردى البيئى فى مصر ولقد تضمن هذا القانون الهام محورين أساسين هما :-

الأول : التصدى للمشكلات البيئية والملوثات الصادرة عن المنشآت القائمة بالفعل وقت صدور القانون حيث منح مهلة قدرها ثلاث سنوات للمنشآت القائمة لتوفيق أوضاعها طبقا لأحكام هذا القانون ولائحته التنفيذية وأجاز القانون لمجلس الوزراء بناء على عرض الوزير المختص بشئون مد هذه المهلة لمدة لا تتجاوز عامين على الأكثر إذ دعت الضرورة لذلك وتبين لمجلس الوزراء جدية الإجراءات التى اتخذت فى سبيل تنفيذ أحكام القانون .

الثانى : دراسات تقييم الأثر البيئى للمشروعات المستقبلية وذلك لضمان عدم تسرب أو صدور ملوثات جديدة للبيئة وبذلك يمكن تحقيق التنمية والحفاظ على البيئة والموارد الطبيعية فى ذات الوقت وهو ما يطلق عليه التنمية المتواصلة أو التنمية المستدامة والتى تضمن للأجيال القادمة حقها فى حياة كريمة نظيفة كذلك حقها فى الموارد الطبيعية المختلفة .

وخلال عام ١٩٩٧ تضمن خطاب السيد رئيس الجمهورية فى افتتاح دورة مجلس الشعب والشورى تكليف الحكومة بتنفيذ عدة برامج قومية من بينها برنامج حماية البيئة فى مصر . كما تضمنت وثيقة مصر والقرن الحادى والعشرون الصادرة عن مجلس الوزراء عدد من الأهداف البيئية ، كما تضمنت الخطة الخمسية للتنمية فى مصر " ٩٧/١٩٩٨-٢٠٠١/٢٠٠٢" تخصيص استثمارات لحماية البيئة على مدى سنوات الخطة قدرها ٢٦,٤٤

مليار جنيه وهو ما يعكس مدى اهتمام القيادة السياسية ومدى اهتمام مجلس الوزراء بحماية البيئة والحفاظ على الموارد الطبيعية . ومن هنا كانت رؤية وزارة الدولة للشئون البيئية والتى تتمثل فى أننا نعمل للحاضر وعيوننا على المستقبل .

وتتمثل الأهداف التى تحكم العمل البيئى فى مصر فى أهداف قصير المدى يلزم تحقيقها فى المرحلة الحالية وتتمثل فى خفض معدلات التلوث الحالية للحفاظ على الصحة العامة وكذلك الارتقاء بنوعية الحياة للمواطن المصرى . كما أن هناك أهداف متوسطة المدى تتمثل فى حماية الموارد الطبيعية والبيئية من أجل الأجيال القادمة ، كذا حماية التنوع البيولوجى بالإضافة إلى تنمية البيئة المصرية فى إطار تنمية متواصلة . أما الهدف الاستراتيجى فيتمثل فى إدخال البعد البيئى فى جميع السياسات القومية والخطط والبرامج بالإضافة إلى تغيير سلوكيات أفراد المجتمع لتكون سلوكيات صديقة للبيئة ومرشدة للموارد الطبيعية .

وحتى يمكن تنفيذ الأهداف المذكورة فهناك عدة محاور أساسية للعمل البيئى فى مصر تتمثل فى الآتى :-

١-تعميق الشراكة على المستوى الوطنى .

فحماية البيئة هى مسئولية مشتركة بين كافة أجهزة الدولة والمؤسسات الحكومية والمنظمات غير الحكومية وأفراد المجتمع بأسره .

٢- تعميق الشراكة على المستوى الثنائى والإقليمى .

فهناك العديد من البرامج والأنشطة يتم تنفيذها لحماية البيئة المصرية من خلال تعاون مصر مع دول الجوار أو من خلال تعاون مصر مع المجتمع الدولى والمنظمات الدولية .

٣- تطبيق القانون رقم ٤ لسنة ١٩٩٤ .

وقانون حماية البيئة هو وسيلة فعالة لحماية البيئة وليس غاية فى حد ذاته ، ولقد تضمن هذا القانون عدة ملامح أساسية تمثلت فى منح مهلة قدرها ثلاث سنوات للمنشآت القائمة وقت صدوره لتوفيق أوضاعها طبقا لمواده المختلفة ولائحته التنفيذية ، كما تضمن إعداد دراسات تقييم بيئى للمشروعات المستقبلية ، وتضمن تقرير حوافز اقتصادية لتشجيع المشاركة فى حماية البيئة ، وتضمن وضع حدود للملوثات المختلفة ، الناشئة عن الأنشطة الصناعية والسياحية والزراعية وغيرها ، كما تضمن هذا القانون حماية الحياة البرية والتنوع البيولوجى ، بالإضافة إلى إنشاء صندوق لحماية البيئة يتم استخدام حصيلتها فى تنفيذ أنشطة ومشروعات مختلفة تهدف إلى الحفاظ على البيئة وحمايتها وتنميتها .

٤-تنمية المحميات الطبيعية وصون التنوع البيولوجى .

وفى هذا المجال فقد تم إعلان ٢١ محمية طبيعية تمثل مساحتها ٨,٥% من مساحة مصر ومن المستهدف إعلان ٣٠محمية طبيعية تمثل مساحتها ١٥% من مساحة مصر ، ويضمن هذا المحور كذلك تشجيع القطاع الخاص للتنمية والإدارة المتواصلة للمحميات الطبيعية وتشجيع المشروعات

السياحية المتوافقة بيئيا والتى يتم إنشاؤها طبقا للأسس البيئية بشأن الحفاظ على المياه والهواء والتربة وترشيد استخدام الموارد .

٥- دعم القدرة المؤسسية لجهاز شئون البيئة وفروعه بالمحافظات .

حيث تم بناء القدرات فى مجال التفتيش والرصد البيئى بوحدات الإدارة البيئية بالمحافظات ، وإنشاء واستكمال شبكة للرصد البيئى على مستوى الجمهورية ، واستكمال الفروع الإقليمية للجهاز بالمحافظات وعددها ثمانية فروع بالإضافة إلى إنشاء مكاتب للبيئة بالمدن الصناعية الجديدة فى إطار برامج الإدارة البيئية المتكاملة لهذه المدن .

٦- دعم أنظمة الإدارة البيئية المتواصلة .

وذلك من خلال مجموعة أنشطة أو محاور فرعية تتمثل فى إدخال البعد البيئى فى كافة المشروعات القومية ، والترويج لمبادئ نظم الإدارة البيئية المتكاملة ، وإعداد خطط العمل البيئى بالمحافظات ، ووضع أنظمة لتحسين جودة الهواء ، ودعم نظم الإدارة المتكاملة للسواحل المصرية ، بالإضافة إلى بناء القرارات فى مجال التفتيش والرصد البيئى بوحدات الإدارة البيئية بالمحافظات .

٧- تفصيل آليات اقتصاديات السوق فى مجال حماية البيئة :-

وذلك من خلال منح إعفاءات جمركية لمعدات مكافحة التلوث واستخدام تكنولوجيا حديثة للبيئة ، ومنح مزايا ضريبية لمشروعات الاستثمارات فى مجال البيئة وغيرها . (١٤،١-٤)

المراجع

١- عبد العزيز أحمد دياب : تلوث الهواء وأسعار المنازل فى مدينة جدة "دراسة تحليلية اقتصادية " فى مجلة العلوم الاجتماعية ، الكويت ، المجلد ، ١٧ العدد٣ ، ١٩٨٩ .

٢- محمد صابر سليم : دراسات بيئية ، الجزء الثانى ، القاهرة ، الانجلو المصرية ، ١٩٩٣ .

٣- طلعت إبراهيم الأعوج : التلوث الهوائي والبيئة ، وزارة الدولة لشئون البيئة ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٩ .

٤- توفيق محمد قاسم : التلوث مشكلة اليوم والغد ، وزارة الدولة لشئون البيئة ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٩ .

٥- المرجع السابق .

٦- المرجع السابق .

٧- أحمد على إسماعيل وآخرون : جغرافية الإنسان والبيئة والموارد ، ج م ع ، وزارة التربية والتعليم ، قطاع الكتب ، ٢٠٠٠ .

٨- المرجع السابق .

٩- محمد سمير عبد المعز وآخرون : العلوم جزء أول الكيمياء ، جمهورية مصر العربية ، وزارة التربية والتعليم ، قطاع الكتب ، ٢٠٠٠ .

١٠- أحمد حسين اللقانى وآخرون :جغرافية الوطن العربى ومعالم التاريخ الإسلامى ،جمهورية مصر العربية ، وزارة التربية والتعليم ، قطاع الكتب ، ٢٠٠٠ .

١١- أحمد إسماعيل : ورشة عمل حول البعد الاجتماعى التنموى لقضية السكان ، المؤتمر السنوى الأول ، البحوث الاجتماعية ، المجلد الثانى ، ورشة العمل ، القاهرة ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، ١٩٩٩ .

١٢- فخرى شوشه وباسم فياض : الدراسات السكانية ، القاهرة ، المعهد العالى للتعاونى الزراعى ، ٢٠٠٠ .

١٣- المرجع السابق .

١٤- هشام القصاص ، فؤاد مجاهد : محاضرات فى التوعية البيئية ، القاهرة ، المعهد العالى للتعاون الزراعى ، مركز إدارة المشروعات، ١٩٩٩ .

محتويات الكتاب

رقم الإيـــداع بـدار الكتـــب: ٢٠٠١/٤٠٥١

مطبعة الموسكي

ت ٢٢٠٢٤٠١ـ٢٢٠٢٤٠١ـ ٠١٠١٤٤٣٣٩٥